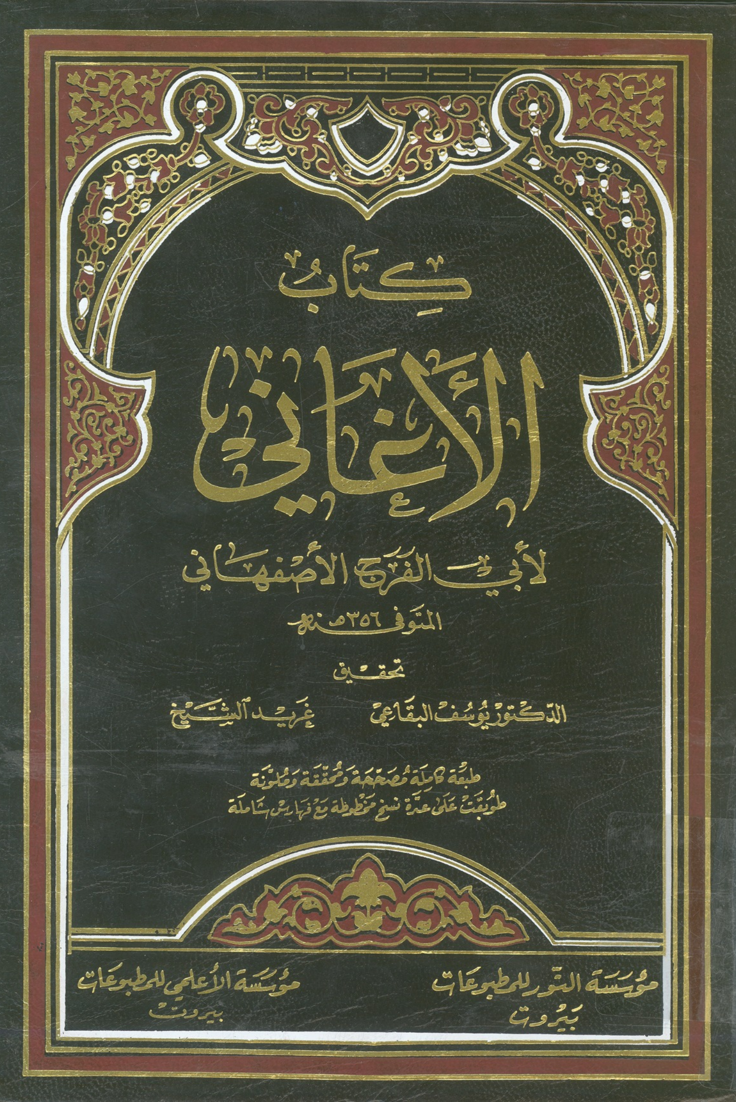
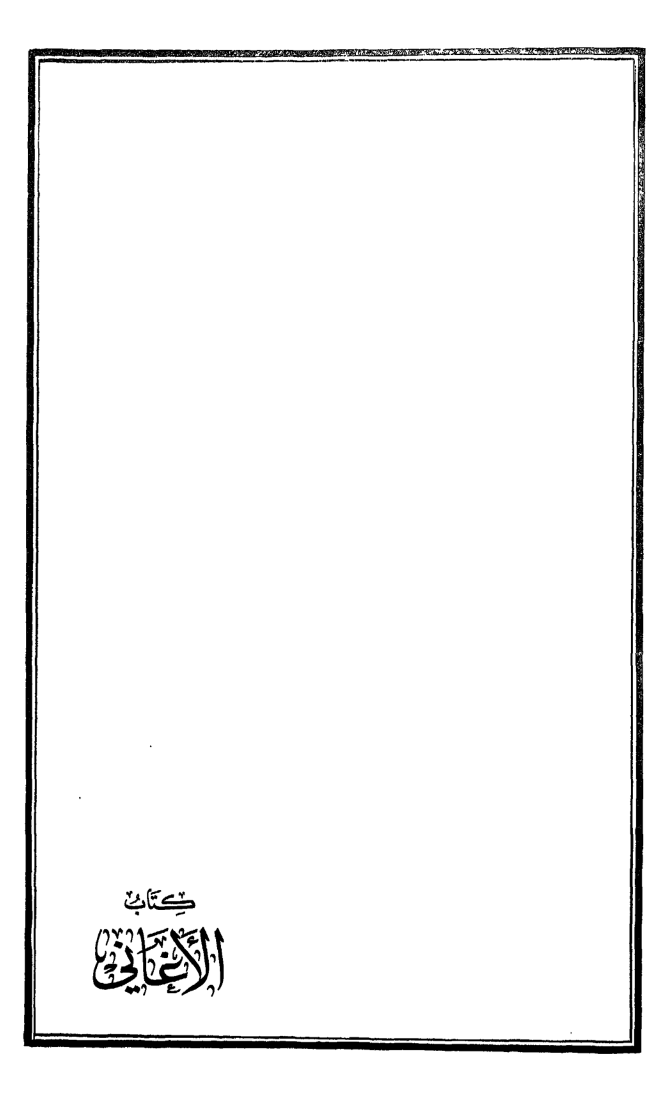
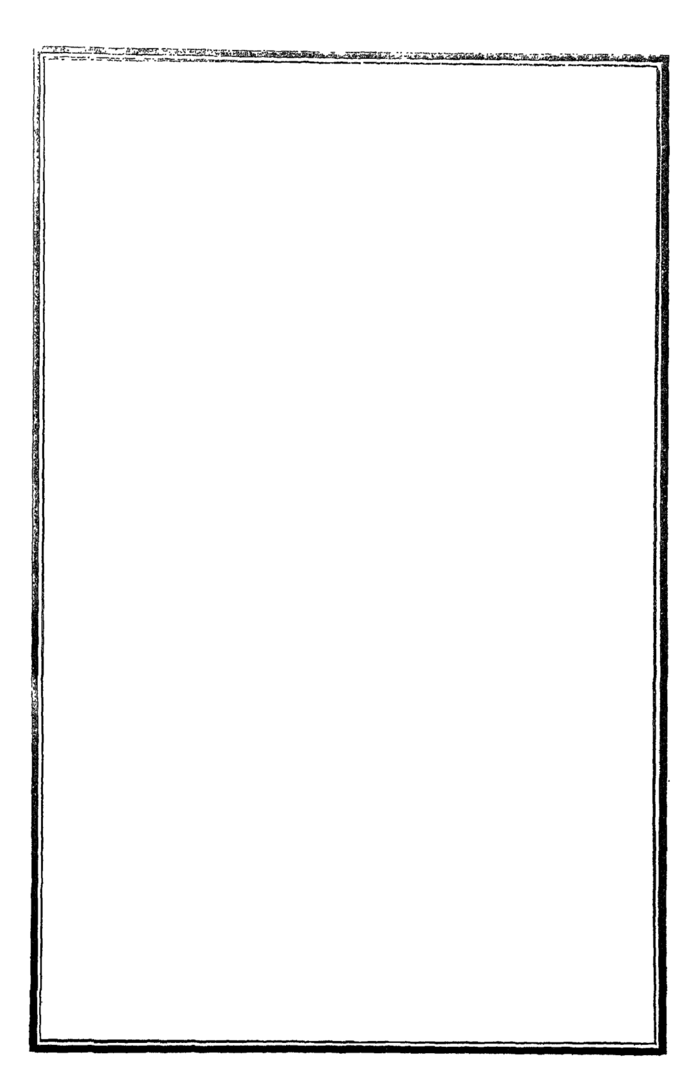

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت


كتاب
الأغاني



كتاب
الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الثاني والعشرون

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .
ملك الأعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخبار خالد بن عبد الله

[٦٦ ـ ١٢٦ هـ/٦٨٦ ـ ٧٤٣ م]

[نسبه وأجداده]

هو خالدُ بنُ عبد الله بنِ يزيدَ بن أسدِ بن كُرْزِ بن عامرِ بن عبد الله بن عبد شمس بن غَمغمَة بن جرير بن شِقٍّ بن صَعْب ـ وشقٌّ بن صعب هذا هو الكاهن المشهور ـ بن يشكرَ بن رُهم بن أقزل ـ وهو سعدُ الصبح ـ بن زيد بن قَسْر بن عَبقر بن أَنمار بن إراش بن عمرو بن لحيانَ بن الغوث بن القرز، ويقال: الفرز بن نَبْتَ بن مالك بن زيد بن كَهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يعرُبَ بن قحطانَ.

فأمّا غَلبةُ بجيلة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلةَ ليست برجل، إنما هي امرأة قد اختُلِف في نسبها، فقال ابن الكلبيّ: يقال لها بجيلةُ بنت صعب بن سعد العشيرة، تزوّجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصُهَيْبَةَ وجَذِيمَةَ وأشهل وشهلاء وطريفاً والحارث ومالكاً وفهْماً وشيبة. قال ابنُ الكلبي: ويقال إن بجيلة امرأةٌ حبشيَّة كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غير خَثْعم، فإنه انفرد، فصار قبيلة على حِدَتِه، ولم تحضنْهُ بجيلةُ، واحتج مَنْ قال هذا القول بقول شاعرهم:

[الوافر]

وما قَرُبَتْ بَجيلَه مِنْكَ دُوني ... بِشَيءٍ غَيْرِ ما دُعِيَتْ بَجِيلَهْ
وما لِلغَوْثِ عِنْدَكَ أنْ نُسِبْنا ... علينا في القَرَابَةِ مِنْ فَضِيلَه[1]

---

(١) الغوث بن القرز: من أجداد الشاعر.

وَلَـكِـنَّـا وإيَّـاكُـمْ كَـثُـرْنـا فَصِرْنا في المَحَلِّ على جَدِيلَهْ

جَدِيلة هاهنا موضع لا قبيلة، وهم أهلُ بيت شرف في بجيلَة، لولا ما يقال في عبد الله بن أسد؛ فإن أصحابَ المثالب[1] ينفونه عن أبيه، ويقولون فيه أقوالاً أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا - إن شاء الله - وعلى ما قيل فيه أيضاً: فقد كان له ولابنه خالدٍ سُؤْدُدٌ وشرف وجود.

وكان يقال لكُرْز كُرْزُ الأعِنَّة، وإيّاه عنى قيسُ بن الخطيم بقوله لمّا خرج يطلب النصر على الخزرج: [الوافر]

فَإنْ تَنْزِلْ بِذِي النَّجْدَاتِ كُرْزٍ تُلاَقِ لَدَيْهِ شَرْباً غَيْرَ نَزْرِ[2]

لـه سَجْلانِ سَجْلٌ مِنْ صَرِيحٍ وسَجْلُ رَثِيئةٍ بِعَتِيقِ خَمْرِ[3]

ويَمْنَعُ مَنْ أرادَ ولا يُعَايَا مُقَاماً في المَحَلَّةِ وَسْطَ قَسْرِ[4]

وكان أسدُ بن كُرْز يُدْعَى في الجاهلية رَبّ بجيلة، وكان ممّن حرّم الخمر في جاهليته تَنَزُّهاً عنها، وله يقول القَتَّال السُّحَمِيّ: [الوافر]

فَأبْلِغْ رَبَّنا أسَدَ بْنَ كُرْزٍ بِأنَّ النَّأيَ لم يَكُ عن تَقَالِي

[الوافر]

فَأبْلِغْ رَبَّنا أسَدَ بْنَ كُرْزٍ بِأنِّي قد ضَلَلْتُ وما اهْتَدَيْتُ

[الطويل]

وله يقول تأبّط شراً:

وَجَدْتُ ابْنَ كُرْزٍ تَسْتَهِلُّ يَمِينُهُ ويُطْلِقُ أغْلالَ الأسِيرِ المُكَبَّلِ

وكان قوم من سُحْمة عرضوا لِجَارٍ لأسد بن كرز، فأطْرَدوا إبلاً له، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة في الجاهلية، وتتبّعهم حتى عاذوا به، فقال القتَّال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه، ويستقيله[5] فِعلَهم بجاره، ولم أذكرَها ها هنا لطولها، وأنَّ ذلك

(١) المثالب: جمع المَثْلَبَة: العيب والمسبة.

(٢) الشَّرْب: مجموعة الشاربين.

(٣) السَّجْل: الدلو العظيمة. والصريح: اللبن الخالص. والرثيئة: اللبن الحامض الذي خُلِط بالحلو فثخن واشتدّ.

(٤) لا يعايا: لا يلحقه ضرر. وقَسْر: بطن من بجيلة.

(٥) يستقيله فعلهم: يطلب منه إقالتهم من عقوبة ذنبهم.

ليس من الغرض المطلوب في هذا الكتاب، وإنما نذكر هاهنا لمَعاً وسَائِرُه مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابَها وأخبارها، وسَمَّيْته كتابَ التعديل والانتصاف. ولبني سُحمة يقول أسد بن كرز في هذه القصة، وكان شاعراً فاتكاً مِغواراً: [الطويل]

أَلا أَبْلِغا أَبْناء سُحْمَةَ كُلَّها ... بَني خَثْعَم عَنّي وذلٌّ لِخَثْعَمِ
فَما أَنْتُمُ مِنّي ولا أنا مِنْكُمُ ... فراشَ حَريقِ العَرْفَجِ المُتَضَرِّمِ(١)
فلستُ كَمَنْ تُزْرِي المَقَالَةُ عِرْضَهُ ... دَنِيئاً كَعودُ الدَّوْحَةِ المُتَرَنِّمِ(٢)
وما جَارُ بَيتي بالذَّليلِ فَتُرْتَجى ... ظُلامَتُهُ يَوماً ولا المُتَهَضَّمِ
وَأَقْزَلُ آبائي وقَسْرٌ عَمَارتي ... هُمَا رَدَّيَاني عِزَّتي وَتَكرُّمي(٣)
وأَحْمَسُ يَوماً إنْ دَعَوْتُ أَجَابَني ... عَرَانِينُ منهم أهلُ أَيْدٍ وأَنْعُمِ(٤)
فمَنْ جَارُ مَوْلىً يَدْفَعُ الضَّيْمَ جَارُهُ ... إذا ضَاعَ جَارِي يَا أُميمةُ أَوْ دَمِي
وكيف يخافُ الضَّيْمَ مَنْ كان جَارُه ... مع الشَّمْسِ ما إن يستطاع بِسلمِ

وهي قصيدة طويلة.

ولأسد أشعار كثيرة ذكرتُ هذه منها ها هنا لأنْ تعلم إعراقَهم في العلم والشعر، وسائرُها يُذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل، إن شاء الله تعالى.

[اسلام جدّه أسد وابنه يزيد]

وأدرك أسدُ بنُ كُرْزٍ الإسلامَ هو وابنُه يزيد بنُ أسد، فأسلما، فأما أسدٌ فلا أعلمه رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواية كثيرة، بل ما روى شيئاً.

وأمّا يزيد ابنُه فروى عنه رواية يسيرة، وذكر جريرُ بن عبد الله خبرَ إسلامه، حدَّث بذلك عنه خالدُ بن يزيدَ عن إسماعيلَ بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، قال: أسلم أسدُ بن كرز، ومعه رجل من ثقيف، فأهدى إلى النبيّ ﷺ قوساً، فقال له: «**يا أسد، من أين لك هذه النَّبْعَةُ**»؟ فقال: يا رسول الله تنبُتُ بجبلنا بالسَّرَاة، فقال الثَّقفيّ: يا رسول الله، الجبلُ لنا أم لهم؟ فقال: «بل

(١) العرفج: ضرب من الشجر يتّخذ للوقود.
(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة. والمترنّم: من الرَّنَمَة: نبات دقيق.
(٣) العمارة: القبيلة.
(٤) العرانين: جمع العرنين: السيّد الشريف. والأَيْدُ: القوة والشدّة.

الجبل جبلِ قَسْرٍ، به سُمِّيَ أبوهم قَسْر عبقر». فقال أسد: يا رسول الله، ادْعُ لي. فقال: «اللَّهُمَّ اجعلْ نَصْرَكَ ونَصْرَ دِينِكَ في عَقِبِ أسد بن كُرْز» وما أدري ما أقول في هذا الحديث، وأكره أن أُكذِّبَ بما رُوِيَ عن رسول اللهﷺ، ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه لو كان رسول اللهﷺ دعا له بهذا الدّعاء لم يكنْ ابنه مع معاوية بِصفّين على عليٍّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه. ولا كان ابن ابنه خالدٌ، يلعنه على المنبر. ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره ـ قبحه الله ولعنه ـ إلا أني أذكر الشيءَ كما رُوِيَ، ومَنْ قال على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يَقُلْ فقد تَبوّأ مقعده من النار. كما وعدهﷺ.

وكان جريرُ بن عبد الله نافرَ قضاعة، فبلغ ذلك أسدَ بن عبد الله وكان بينه وبينه ـ أعني جريراً ـ تباعدٌ، فأقبل في فوارسَ من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه، فرآه جرير، ورأى أصحابَه في السلاح ارتاع، وخافه، فقيل له: هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك، فقال جرير: ليت لي بِكُلِّ بلد ابنَ عَمٍّ عاقّاً مثلَ أسد، فقال جعدةُ بنُ عبد الله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد: [الطويل]

تَـدَارِكَ رَكْـضُ الـمَـرْءِ مِـنْ آلِ عَـبْـقَـرٍ ... جَريراً وقد رَانَـتْ عـلـيـه حَـلائِـبُـهْ[١]
فـنَـفَّـسَ واسـتَـرْخَـى بـه الـعَـقْـدُ بـعـدَ مـا ... تَـغَـشَّـاهُ يـومٌ لا تَـوَارَى كَـواكِـبُـهْ[٢]
وَقَـاكَ ابْـنُ كُـرْزٍ ذو الـفَـعَـالِ بِـنَـفْـسِـهِ ... ومـا كُـنْـت وَصَّـالاً لـه إذْ تُـحَـارِبُـهْ
إلـى أسَـدٍ يـأوي الـذَّلـيـلُ بِـبَـيْـتِـهِ ... ويَـلْـجَـأ إذ أعْـيَـتْ عـلـيـه مَـذَاهِـبُـهْ
فَـتًـى لا يَـزَالُ الـدَّهْـرَ يَـحْـمِـلُ مُـعْـظَـمـاً ... إذا المُجْتَدَى المَسؤولُ ضَنَّتْ رَوَاجِبُهْ[٣]

[جدّه يزيد يروي حديثاً عن النبيﷺ]

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومَه مع أبيه على النبيﷺ، وقد روى عنه أيضاً حديثاً ذكره هُشَيْمُ بن بشر الواسطيّ عن سنان بن أبي الحكم قال: سمعتُ خالدَ بن عبد الله القسريّ، وهو على المنبر يقول: حَدَّثني أبي عن جدّي يزيدَ بن أسد، قال: قال رسول اللهﷺ: «يا يزيد، أحِبْ لِلنَّاسِ ما تُحبُّه لِنَفْسِكَ». وخرج

(١) رانت عليه: غلبت عليه، والضمير يعود على المرء. والحلائب: أنصار الرجل من بني عمّه خاصّة.
(٢) نفَّسَ: تنفّسَ. وتَوارى: تتوارى.
(٣) المُجتدى: الذي يُسأل العطاء. والرواجب: أصول الأصابع. المُعْظَم: العظيم من الأعطيات.

يزيدُ بن أسد في أيّام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام، فكان بها، وكان مطاعاً في اليمن عَظِيم الشأن.

ولمّا كتب عثمان إلى معاويةَ حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام، فوجد عثمانَ قد قُتِل. فانصرف إلى معاوية، ولم يُحْدِثْ شيئاً. ولما كان يوم صِفِّينَ قام في الناس فخطب خطبة مذكورة، حرضهم فيها. فذكر مَنْ روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامةُ خَزٍّ سوداء، وهو مُتَّكِيءٌ على قائم سيفه، فقال بعد حمد الله تعالى والصّلاة على نبيهﷺ: وقد كان من قضاء الله جَلَّ وعَزَّ أن جمعنا وأهلَ ديننا في هذه الرّقعة من الأرض، والله يعلم أني كنت لذلك كارهاً، ولكنهم لم يُبْلِعُونا رِيقَنا، ولم يَدَعُونا نَرْتادُ لِديننا وننظر لمعادنا، حتى نزلوا في حريمنا وبيضتنا[1]. وقد علمنا أنَّ بالقوم حُلَمَاءَ وطَغَاماً[2] فلسنا نأمن طغَامهم على ذرارينا ونسائنا، وقد كنا لا نحبُّ أن نقاتلَ أهلَ دِينَنا، فأحرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالُنا حَمِيَّةً، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، والذي بعث محمداً بالحقّ لَوَدِدتُ أنّي مِتُّ قبل هذا، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً لم يستطع العبادُ ردّه، فنستعين بالله العظيم، ثم انكفأ.

[بعض أخبار خالد وصداقته لعمر بن أبي ربيعة]

ولم تكن لعبد الله بن يزيد نباهةُ مَنْ ذكرتُ من آبائه، وأهلُ المثالب يقولون إنه دَعِيٌّ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيامَ خلافة عبد الملك بن مروان، فلما قُتِلَ عمرو هربَ حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أَمَّنَ النَّاسَ عامَ الجماعة، فأمَّنه. ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة، وكان في حداثته يَتَخَنَّثُ، ويتتبعُ المغنّين والمخنّثين ويمشي بين عمرَ بنِ أبي ربيعة وبين النساء في رسائلهن إليه وفي رسائله إليهن، وكان يقال له خالد الخِرِّيت[3] فقال مصعب الزبيريّ: كلّ ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره، فقال: أرسلت الخِرِّيت أو قال: أرسلت الجَرِيَّ[4] فإنما يعني خالداً القسريّ، وكان يترسَّلُ بينه وبين النساء.

---

(١) البيضة: الحوزة والحِمى.
(٢) الطَّغَام: أرذال الناس وأوغادهم.
(٣) الخِرّيت: الدليل الماهر في أمر الدّلالة.
(٤) الجَرِيّ: الرسول.

أخبرني بذلك الحرميّ ومحمد بن مزيد وغيرُهما، عن الزبير، عن عمّه، وأخبرني عمّي قال: حدَّثني الكراني، عن العمريّ، عن الهيثم بن عَدِيّ، قال:

بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي ومعه خالد بن عبد الله القسريّ، وهو خالد الخزاعيّ الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء وهند اللّتين كان عمر يشبّب بهما، وهما يتماشيان فقصداهما، وجلسا معهما مليّاً، فأخذتهم السماء، ومُطِروا، فقام خالد وجاريتان للمرأتين، فظلّلوا عليهم بمِطرفة[1] وبردين له، حتى كفّ المطرُ، وتفرَّقوا، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

أفـي رَسْـم دَارٍ دَمْـعُـكَ الـمُـتَـرَقْـرِقُ ... سَفَاهاً وما اسْتِنْطَاقُ ما لَيسَ يَنْطِقُ[2]؟
بحيثُ الْتَقى جَمْعٌ ومُفْضَى مُحَسِّرٍ ... مَعَالِمُ قد كَادَتْ على الدَّهْرِ تَخْلُقُ[3]
ذَكَرْتُ بها ما قد مَضَى مِنْ زَمَانِنا ... وذِكْـرُكَ رَسْـمَ الـدَّارِ مِـمَّـا يُـشَـوِّقُ
مُقَاماً لنا عِنْدَ العَشاءِ ومَجْلِساً ... لـنـا لـم يُـكَـدِّرْهُ عـلـيـنـا مُـعَـوِّقُ
ومَمْشَى فَتَاةٍ بِالكِسَاءِ يَكُنُّها ... بـه تَـحْـتَ عَـيْـنٍ بَـرْقُـهـا يَـتَـألَّـقُ
يَـبِـلُّ أَعَـالِـي الـثَّـوْبِ قَـطْرٌ وتَـحْـتَـه ... شُـعَـاعٌ بـدا يُـعْـشِـي الـعُـيـونَ ويـشْـرِقُ
فَـأَحْـسَـنُ شَـيءٍ بَـدْءُ أَوَّلِ لَـيْـلَـةٍ ... وآخِـرُهـا حُـزْنٌ إذا نَـتَـفَـرَّقُ

الغناء في هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه منحول.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني أبو العباس المرْوَزيّ، قال حدَّثنا ابن عائشة قال: حضر ابنُ أبي عتيق عمَر بن أبي ربيعة يوماً وهو ينشد قوله:

[الطويل]

ومَـنْ كـانَ مَـحْـرُوبـاً لإهْـرَاقِ دَمْـعَـةٍ ... وَهَـى غَـرْبُـهـا فَـلْـيَـأْتِـنَـا نَـبْـكِـهِ غَـدَا[4]
نُـعِـنْـهُ عـلـى الإثْـكَـالِ إنْ كَـانَ ثَـاكِـلاً ... وإنْ كـان مَـحْـزُونـاً وإنْ كـانَ مُـقْـصَـدا[5]

قال: فلمّا أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخِرِّيت، وقال: قم بنا إلى

(١) المِطرفة: رداء من خزّ موشّى بالأعلام.
(٢) سفاهاً: جهلاً وطيشاً.
(٣) مُحَسِّر: اسم موضع بين مكة وعرفة (معجم البلدان ٥/ ٦٢). وتخلُقُ: تبلى.
(٤) وَهَى: ضعف. والغَرْب: مسيل الدمع من العيون.
(٥) المُقْصَد: الذي طُعِنَ فما أُخطِئَتْ مقاتله.

عمر، فمضيا إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئنا لموعدك، قال: وأي موعد بيننا؟ قال: قولك. فليأتنا نَبْكِه غدا.

قد جئناك لموعدك، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك، أو ننصرف على أنَّك غير صادق، ثم مضى وتركه.

قال ابن عائشة: خالد الخِرّيت هو خالد القسريّ.

أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم قال: حدّثنا أبو هِفّان عن إسحاق، وأخبرنا محمد بن مزْيَد، عن حمّاد، عن أبيه، عن الحزاميّ والمثنّى ومحمد بن سلام، قالوا: خرجتْ هند والرّباب إلى متنزَّه لهما بالعقيق في نسوة فجلستا هناك تتحدّثان مَلِيّاً، ثم أقبل إليهما خالدٌ القَسريُّ، وهو يومئذ غلام مؤنّث، يصحبُ المغنّين والمخنّثين، ويترسّلُ بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء. فجلس إليهما. فذكرتا عمر بن أبي ربيعة، وتشوّقتاه، فقالتا لخالد: يا خِرِّيت ـ وكان يعرف بذلك ـ لك عندنا حُكْمُكَ إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم أنا بعثنا بك إليه، فقال: أفعل فكيف تريان أن أقول له؟ قالتا: تُؤذنه[1] بنا، وتُعلمه أنَّا خرجنا في سِرٍّ منه، ومُرْهُ أن يتنكّرَ، ويلبس لِبسة الأعراب، ليرانا في أحسن صورة، ونراه في أسوإ حال، فنمزح بذلك معه. فجاء خالد إلى عمر، فقال له: هل لك في هند والرَّباب وصواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حَذَر منك وكِتمانٍ لك أمْرَهما؟ قال: والله إني إلى لقائهن لَمُشتاقٌ، قال: فتنكَّرْ، والْبِسْ لِبْسَةَ الأعراب، وهَلُمَّ نَمْضِ إليهنَّ، ففعل ذلك عمر، ولبسَ ثياباً جافِيةً، وتعمّم عِمَّةَ الأعراب، وركب قعوداً[2] له على رَحْلٍ غير جيّد، وصار إليهنَّ، فوقف منهن قريباً، وسلّم، فعرفنه، فقلن: هَلمَّ إلينا يا أعرابيّ، فجاءهنَّ، وأناخ قَعوده، وجعل يحدثهنّ، وينشدهن، فقلن له: يا أعرابي، ما أظرفكَ، وأحسن إنشادَك! فما جاء بك إلى هذه الناحية؟ قال: جئتُ أنْشُدُ ضالّةً لي، فقالت له هند: انزلْ إلينا، واحْسِرْ عمامتكَ عن وجهك، فقد عرفنا ضالّتك، وأنت الآن تُقَدِّرُ أنّك قد احتلتَ علينا، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخِرّيت، حتى قال لك ما قال، فجئتنا على أسوإ حالاتك، وأقبح ملابسك، فضحك عمرُ، ونزل إليهن، فتحدّث معهن، حتى أمسوا، ثمّ إنّهم تفرَّقوا، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

---

(١) تؤذنه: تُعلِمه.

(٢) القَعود: الفتيّ من الإبل.

صوت

[الطويل]

أَلَمْ تَعْرِفِ الأَطْلالَ والمُتَرَبَّعا ... بِبَطْنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعا[١]
إلى السَّرْحِ من وَادِي المُغَمَّسِ بُدِّلَتْ ... مَعَالِمُهُ وَبْلاً ونَكْبَاءَ زَعْزَعا[٢]
فَيَبْخَلْنَ أو يُخْبرنَ بِالعِلْمِ بعد ما ... نَكأْنَ فُؤاداً كان قِدْماً مُفَجَّعا
لِهِنْدٍ وأتْرَابٍ لِهِنْدٍ إذِ الهَوَى ... جَمِيعٌ وإذْ لم نَخْشَ أن يَتَصَدَّعا

في هذه الأبيات ثقيل أول لمعبد.

تَبالَهْنَ بالعِرفَانِ لَمَّا رَأَيْنني ... وقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعا[٣]
وقَرَّبْنَ أسْبَابَ الهَوَى لِمُتَيَّمٍ ... يَقِيسُ ذِرَاعاً كُلَّما قِسْنَ إصْبَعا

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، وذكر مثل ذلك أبو عُبَيدة معمر بن المثنى: أنَّ كُرزَ بن عامر جدَّ خالد بن عبد الله عَبدٌ كان آبقاً[٤] عن مواليه عبد القيس من هَجَر، ويقال إن أصله من يهود تَيْماء، وكان أبَقَ، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمغمةَ بن شِقّ الكاهن، ثم وهبوه لقوم من بني طُهَيَّة، فكان عندهم حتى أدرك، وهرب، فأخَذَتْه بنو أسد بن خزيمة، فكان فيهم، وتزوّجَ مولاةً لهم يقال لها زَرْنَب، ويقال إنها كانت بَغِيّاً، فأصابها، فولدت له أسدَ بن كُرْز، سمّاه باسم أسد بن خزيمة لِرِقَّةٍ كانت فيهم، ثم أعتقوه، ثم إن نَفراً من أهل هَجَر مرّوا به، فعرفوه، فلما رجعوا إلى هَجَر أخذوا فداءه، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يَزَلْ فيهم، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطّائف، فلما رأى دار بجيلة أعجبته، فاشترى نفسَه وابنه، فجاء، فنزل فيهم، فأقام مُدَّةً، ثم ادَّعَى إليهم وعاونه على ذلك حَيٌّ من أحمس يقال لهم بنو مُنَبّه، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة ـ سُمّيَ بذلك لأن عينَه أصِيبَتْ فكان يغطّيها بِخرقة ـ وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شِقّ، فنزل كرز في بني سُحْمة هارباً من ذي الرُّقعة، ثم وثبَ على ابن عَمٍّ للقَتّال بن مالك السُّحميّ فقتله، وهرب إلى البحرين مع التجّار،

(١) حُلَيّات: جمع حلية: نبت من أجود المراعي. والبلقع: الجرداء.
(٢) السَّرْح: شجر عظام طوال. والمُغَمّس: موضع قرب مكة في طريق الطائف (معجم البلدان ٥/ ١٦١). والوَبْل: المطر الشديد. والنكباء الزعزع: الريح العاتية.
(٣) أكَلّ دابّته: أتعبها. وأوضعها: أسرع بها حتى أنهكها.
(٤) الآبق: الهارب.

فأقام مدّة، ثم مات، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدَّعيَ في بَجِيلة، ولا تُلْحِقُه إلى أن مات، ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري، وكتب له، وكان كاتباً مُفوَّهاً[١]، وذلك في إمارة عثمان بن عفَّان. فنال حَظّاً وشرفاً، وكان يقال له: خطيب الشّيطان، ووسَمَ خيلَه: القسريّ، ثم تَدسَّسَ ليملكَ خيلاً في بلاد قسر، فمنعته بجيلة ذلك أشدّ المنع، فلم يقدرْ عليه، حتى عظم أمره، ونشأ ابنه خالد، ومات هو، فكان خالد في مرتبته، ثم وَلِيَ العراق، وقال قيس بن القتال له في هذا المعنى: [الوافر]

ومَنْ سَمَّاكَ بِاسْمِكَ يابْنَ كَرْزٍ؟ وأينَ المَوْلِدُ المعروفُ تَدْرِي؟

[الطويل]

وقال بُجير بن ربيعة السُّحْميُّ:

نَفَتْهُ مِنَ الشِّعْبَيْنِ قَسْرٌ بِعِزِّها إلى دَارِ عَبْدِ القَيْسِ نَفْيَ المُزَنَّمِ[٢]

[ادعاؤه في قسر]

قال أبو عبيدة: وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نُصير كلام عند عبد الملك بن مروان. فقال له عبد الله: إنما أنت عبد لعبد القيس، فقال: اسكت، فقد عرفناك إن لم تعرفْ نفسَكَ، فقال له عبد الله: أنا ابن أسد بن كرز، نحن الَّذين نَضْمَنُ الشَّهر، ونُطعِمُ الدهر، فقال له: تلك قَسْرٌ، ولستَ منهم، وإنَّما أنت عبدٌ آبِقٌ، قد كنتُ أَرَاكَ تروم مثل ذلك، فلا تقدرُ عليه. ثم نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام، فأقام بها مدّة، ثم مضى إلى حبيب، فقال له: دَعْ ذِكْرَ البحرين لِفرارك، أتراك منهم وأنت عَبْدٌ، وأهلك من يهود تيماء! فأسكتهما عبد الملك، ولم يسرّه ما قال عبد الله لأبي موسى بن نصير، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير: [البسيط]

جاريتَ غَيْرَ سَؤُومٍ في مُطَاوَلَةٍ يابْنَ الوَشائِطِ من أبناءِ ذِي هَجَرِ[٣]

لا مِنْ نِزَارٍ ولا قَحْطَانَ تَعْرِفُكُمْ سِوَى عَبيدٍ لِعَبْدِ القيسِ أو مُضَر

---

(١) المُفَوَّه: البليغ.

(٢) المُزنَّم: الدَّعِيّ.

(٣) الوشائط: الدخلاء الذين ينتمون إلى جماعة ليسوا منهم.

[تَوَارُثُ الكذب في عائلته]

وقال أبو عبيدة: فأخبرني عبد الله بن عمر بن زيد الحكميّ قال: كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان، وكان أكذبَ النَّاسِ في كلِّ شيء معروفاً بذلك، ثم نشأ ابنُه عبدُ الله فسلك منهاجَه في الكذب، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وسخاءً كانا فيه سترا ذلك من أمره.

قال عُمَر بن زيد: فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة، فجعل يأتي بأحاديث أُنكرها، فقلت له: من أنت يابن أخي؟ قال: إسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسريّ. فقلت: يا بن أخي. لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفتُ نسبَك. فجعل يضحك.

أخبرني اليزيديُّ، عن سليمانَ بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، وذكره أبو عبيدة ـ واللفظ له ـ قالا: كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر، فدهش وتحيّر، فقال: أطعموني ماء، فقال الكُمَيْتُ في ذلك، ومدح يوسفَ بن عمر: [الطويل]

خَرَجْتَ لهم تَمْشِي البَرَاحَ ولم تَكُنْ ... كَمَنْ حِصْنُهُ فيه الرِّتَاجُ المُضَبَّبُ[1]
وما خَالِدٌ يستطعمُ المَاءَ فَاغِراً ... بِعِدْلِكَ والدَّاعِي إلى الموتِ يَنْعَبُ[2]

وقال ابن الكلبيّ: أوّل كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألني عن جدّته أم كُرز، وكانت أمةً بغيّاً لبني أسد يقال لها: زرنب. فقلت له: هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين، فَسُرَّ بذلك، ووصلني.

[تَبَرُّؤ بني أسد منه]

قال: قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسديّ: يا أبا الصّباح، قد ولدتمونا، فقال: ما أعرف فينا ولادة لكم، وإن هذا لكذب. فقيل له: لو أقررت للأمير بولادة ما ضرّك، قال: أأفسُدُ وأستنبطُ ما ليس مني، وأُقرّ بالكذب على قومي؟ فأمر خالدٌ خِداشاً الكنديَّ ـ وكان عاملهُ ـ بضرب مولًى لعبّاد بن إياس

---

(١) المشي البَرَاح: الواضح. والرِّتاج: الباب العظيم. والمضبّب: الذي فيه ضبّة وهي حديدة أو خشبة.
(٢) العِدْل: المثل والمعادل.

الأسدي، فقتله، فرُفِع إلى خالد، فلم يُقِدْهُ[1]، فوثب عبّادٌ على خِداش فقتله، وقال: [الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ جَارَتْ قَضِيَّةُ خَالِدٍ عَنِ القَصْدِ ما جَارَتْ سُيوفُ بَنِي نَصْرِ

فأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، قال: حدّثنا المدائني، عن سحيم بن حصين قال: قتل خداش الكِنديّ رجلاً من بني أسد، وكان الكنديّ عاملاً لخالد القسري، فطُولِبَ بالقَودِ، وهو على دَهْلَك[2]، فقال: والله لئن أقدتُ من عاملي لأقيدنّ من نفسي، ولَئِنْ أقدتُ من نفسي لَيُقِيدَنّ أمير المؤمنين من نفسه، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه، ليقِيدَنّ رسول الله ـ ﷺ ـ من نفسه، ولئن أقاد رسول الله من نفسه هاهْ هاهْ! يعرّض بالله عَزَّ وجَلَّ، لعنة الله على خالد.

[أعشى همدان يفحش في هجائه وهجاء أمه]

أخبرني الحسن قال: حدّثنا الخراز، عن المدائني، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبي اليقظان، قالوا: كانت أم خالد روميّة نصرانية، فبنى لها كَنِيسةً في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يُؤَذِّنَ ضُرِبَ لها بالناقوس، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم.

فقال أعشى همدان يهجوه، ويعيّره بأُمه، وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك الوقت قالوا: ابن البظراء، فأَنِفَ من ذلك، فيقال: إنه ختن أمّه وهي كارهة، فعَيَّره الأعشى بذلك حين يقول: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وإِنِّي لَسَائِلٌ أَبَظْرَاءُ أم مَخْتُونَةٌ أمُّ خَالِدِ
فإن كانَتِ المُوسَى جَرَتْ فوقَ بَظْرِها فما خُتِنَتْ إلاَّ وَمَصَّانُ قَاعِدُ[3]
يَرَى سَوْأَةً مِنْ حيثُ أطلعَ رَأسَهُ تَمُرُّ عليها مُرْهَفَاتُ الحَدَائِدِ

وقال أيضاً فيه، يرميه باللّواط: [الوافر]

ألم تَرَ خالداً يَخْتَارُ ميماً ويَتْرُكُ في النِّكاحِ مَشَقَّ صَادِ[4]

---

(١) لم يُقِدْه: لم يقاصصه.

(٢) دهلك: جزيرة في بحر اليمن (معجم البلدان ٢/ ٤٩٢).

(٣) المَصّان: هو الماصّ بظر أمّه، ويريد به هنا خالداً نفسه. وفي البيت إقواء.

(٤) يكنّى بالميم عن الاست لأن حلقتها مستديرة، وبالصاد عن فرج المرأة لأن حلقته مستطيلة.

وَيُبْغِضُ كُلَّ آنِسَةٍ لَعُوبٍ ... وَيَنْكِحُ كُلَّ عَبْدٍ مُسْتَقَادِ[١]
أَلا لَعَنَ الإِلَهُ بَنِي كُرَيْزٍ ... فَكُرْزٌ مِن خَنَازِيرِ السَّوَادِ[٢]

قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري: اكتبْ لي النسب فبدأت بنسب مُضَر فمكثت فيه أياماً، ثم أتيته. فقال: ما صنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر وما أتممته. فقال: اقطعْه ـ قطعه الله مع أصولهم ـ واكتب لي السيرة، فقلت له: فإنه يمرّ بي الشيء من سيَرِ علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ فأذكُره، فقال: لا، إلاّ أن تراه في قعر الجحيم. لعن الله خالداً ومن ولاه، وقبحهم، وصلوات الله على أمير المؤمنين.

[زندقته وانحرافه عن الحقّ]

وقال أبو عبيدة: حدّثنا أبو الهذيل العلاّف، قال: صَعِدَ خالدٌ القسريّ المنبر، فقال: إلى كم يغلبُ باطلُنا حَقَّكم، أَمَا آنَ لربّكم أن يغضبَ لكم؟ وكان زنديقاً، أمّه نصرانية، فكان يُوَلِّي النصارى والمجوسَ على المسلمين، ويأمرهم بامتهانهم وضَرْبهم، وكان أهل الذمّة يشترون الجواريَ المسلماتِ ويطؤوهنَّ، فيطلق لهم ذلك، ولا يُغَيِّر عليهم[٣].

وقال المدائنيّ: كان خالد يقول: لو أمرني أمير المؤمنين نقضتُ الكعبة حجراً حجراً، ونقلتها إلى الشام.

قال: ودخل عليه فراسُ بنُ جعدةَ بن هبيرة وبين يديه نبقٌ[٤]، فقال له: العَنْ عليَّ بنَ أبي طالب ولك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة ديناراً.

قال المدائنيّ: وكان له عامل يقال له خالدُ بن أمَيّ، وكان يقول: والله لخالد بنُ أميّ أفضل أمانة من علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ.

وقال له يوماً: أيّما أعظم رَكِيَّتنا[٥] أم زمزم؟ فقال له: أيها الأمير، من يجعل

---

(١) المستقاد: التابع الذليل.
(٢) السّواد: اسم يُطلق على العراق وذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار.
(٣) لا يغيّر عليهم: لا يغار.
(٤) النّبق: حَمْل شجرة السّدر.
(٥) الرّكيّة: البئر.

الماء العذب النُّقَاخ[١] مثل الملح الأُجاج؟! وكان يسمّى زمزم أم الجعلان[٢].

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدّثنا أبو غسّانَ دَماذُ، عن أبي عبيدة، قال: أتى الفرزدقُ خالدَ بن عبد الله القسريّ، يَستحمِله في ديات حَمَلها، فقال له: إيه يا فرزدق، كأني بك قد قلتَ: آتي الحائكَ ابنَ الحائك، فأخدعه عن ماله إن أعطاني، أو أذمّه إن منعني. فأنا حائكٌ ابن حائك. ولستُ أُعطيك شيئاً. فاذممني كيف شئت، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها: [الخفيف]

لَيْتَنِي من بَجِيلَةِ اللُّؤْمِ حَتَّى ... يُعْزَلَ العَامِلُ الَّذِي بِالعراق
فإذا عَامِلُ العِرَاقَيْنِ وَلَّى ... عدتُ في أسرةِ الكرامِ العِتَاقِ

قال: وإنَّما أراد خالد بقوله: الحائك ابن الحائك تصحيح نسبه في اليمن، والانتفاء من العبودية لأهل هجر.

[عزله عن العراق بسبب تطاوله على الخلافة]

كان خالد شديدَ العصبيّة على مُضَر. وبلغ هشاماً أنه قال: ما ابني يزيدُ بن خالدٍ بدون مسلمةَ بنِ هشام، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق.

قال: وخطب بمكّة وقد أخذ بعضَ التابعين، فحبسه في دور آل الحضرمي، فأعظم الناس ذلك وأنكروه، فقال: قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدوَّ أمير المؤمنين ومن حاربه، والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتُها، والله لأميرُ المؤمنين أكرمُ على الله من أنبيائه. عليهم السلام، ولعن الله تعالى خالداً وأخزاه.

أخبرني أبو عبيدة الصّيرفيُّ، قال: حدّثنا الفضلُ بنُ الحسن المصريّ، قال: حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثني عبيد الله بن حُباب، قال: حدّثني عطاءُ بنُ مسلم قال: قال خالدُ بنُ عبد الله، وذكر النبيﷺ، فقال: أَيُّما أكرمُ عندكم على الرجل: رسوله في حاجته أو خليفته في أهله؟ يُعَرِّضُ بأنَّ هشاماً خيرٌ من النبيﷺ.

قال أبو عبيدة: خطب خالد يوماً، فقال: إن إبراهيم خليل الله استسقى ماءً،

(١) النُّقَاخ: العَذْب الصافي.
(٢) الجُعلان: جمع جُعَل: حيوان يشبه الخنفساء يكثر في المواضع النديّة.

فسقاه الله ملحاً أُجاجاً. وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماءً، فسقاه الله عَذباً نُقاخاً. وكان الوليد حفر بئراً بين ثنيّة ذي طُوى وثنيّة الحَجون[1]، فكان خالد ينقل ماءها، فيوضع في حوض إلى جنب زمزم. ليرى الناسُ فضلَها. قال: فغارت تلك البئر، فلا يُدْرَى أين هي إلى اليوم؟

[نيله من علي بن أبي طالب عليه السلام]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ قال: حدّثنا العباس بن ميمون طايع، عن ابن عائشة، قال: كان خالد بن عبد الله زِنْديقاً، وكانت أمّه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه. فرأى يوماً عِكرمةَ، مولى ابن عباس، وعلى رأسه عمامةٌ سوداءُ، فقال: إنه بَلَغني أنَّ هذا العبدَ يشبه عَلِيَّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه وسلامُه ـ وإنّي لأرجو أن يُسَوِّدَ اللهُ وجهَه كما سَوَّد وجهَ ذاك.

قال: حَدَّثني مَنْ سمعه، وقد لعن عليّاً ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فقال في ذكره: عليُّ بن أبي طالب ابنُ عَمِّ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وزوجُ ابنته فاطمةَ، وأبو الحسن والحسين، هل كَنَّيْتُ. اللَّهُمَ الْعَنْ خالداً وأَخْزِهِ، وجَدِّدْ على روحه العذابَ.

وقال أبو عبيدة: ذكر إسماعيل بن خالد بنُ عبد الله القسريُّ بني أُمية عند أبي العباس السفاح في دولة بني هاشم، فذمهم وسبهم، وقال له حَمَّاس الشاعر مولى عثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين، أَيَسُبُّ بَنِي عَمِّكَ وعُمَّالَهم وعَمَّاتِكَ رجلٌ اجتمع هو والخِرِّيتُ في نسب؟ إن بني أمية لحمُك ودمُك، فكُلْهم ولا تُؤَكِّلهم. فقال له: صدقتَ. وأمسك إسماعيل فلم يُحِرْ جواباً.

[سليمان يأمر بضربه مائة سوط]

وقال ابن الكلبيّ: كان خالدُ بن عبد الله أميراً على مكّة فأمرَ رأس الحَجَبة أن يفتحَ له الباب[2] وهو ينظر، فأبى فضربه مائة سوط. فخرج الشَّيْبِيُّ إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه فصادف الفرزدق بالباب فاسترفده[3]. فلما أُذِنَ لِلنَّاسِ، ودخلا

(١) الحجون: جبل بأعلى مكة (معجم البلدان ٢/).

(٢) الباب: هنا باب الكعبة.

(٣) استرفده: طلب رِفْدَه أي استعان به.

شَكَا الشَّبيُّ ما لحقه من خالد، ووثب الفرزدق، فأنشأ يقول: [الطويل]

سَلُوا خَالِداً لا أكْرَمَ الله خَالِداً ... مَتَى وَلِيَتْ قَسْرٌ قُرَيْشاً تَدِينُها[1]
أَقَبْلَ رسولِ الله أمْ ذاكَ بَعْدَهُ! ... فتِلكَ قُرَيشٌ قد أغَثَّ سَمِينُها[2]
رَجَونا هُدَاهُ لا هَدَى الله خَالِداً ... فما أُمُّهُ بِالأُمِّ يُهْدَى جَنِينُها

فحمِيَ سليمان وأمر بقطع يَدِ خالد، وكان يزيدُ بن المهلَّب عنده، فما زالَ يُفَدِّيه، ويُقَبِّلُ يَدَه، حتى أمر بضربه مائةَ سوط، ويُعفَى عن يمينه، فقال الفرزدق في ذلك: [الطويل]

لَعَمْرِي لقد صُبَّتْ على ظَهْرِ خَالِدٍ ... شَآبِيبُ ما اسْتَهْلَلْنَ مِنْ سَبَلِ القَطْرِ[3]
أَيُضْرَبُ في العِصيانِ مَنْ كَانَ طَائعاً ... ويَعْصِي أَمِيرَ المُؤمنينَ أخو قَسْرِ؟
فَنَفْسَكَ لُمْ فيما أَتَيْتَ فإنَّما ... جُزِيتَ جَزاءً بِالمُحَدْرَجَةِ السُّمرِ[4]
وأنتَ ابنُ نَصْرَانيَّةٍ طالَ بَظْرُها ... غَذَتْك بأوْلادِ الخَنازِيرِ والخَمْرِ
فَلَوْلا يَزِيدُ بنُ المُهَلَّبِ حَلَّقَتْ ... بِكَفِّكَ فَتْخَاءُ إلى الفَرْخِ في الوكْرِ[5]
لَعَمْرِي لَقَدْ صالَ ابنُ شَيْبَةَ صَوْلَةً ... أَرَتْكَ نُجومَ اللَّيْلِ ظَاهِرَةً تَسْرِي

فحقدها خالد على الفرزدق، فلما وُلِّيَ وحفر نهر العراق بواسط[6] قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوه منها: [الطويل]

وأهْلَكْتَ مَالَ اللَّهِ في غَيْرِ حَقِّهِ ... على النَّهْرِ المَشْؤُوم غَيْرِ المُبارِكِ
وتَضْرِبُ أقْواماً صِحَاحاً ظُهُورُهُمْ ... وَتَتْرُكُ حَقَّ الله في ظَهْرِ مالِكِ

وقال ـ ويقال إنها للمفرج بن المرقع ـ: [الوافر]

كَأَنَّكَ بِالمُبارَكِ بَعْدَ شَهْرٍ ... يَخُوضُ غِمَارَهُ نَقْعُ الكِلابِ[7]
كَذَبْتَ خَلِيفَةَ الرَّحْمٰنِ عَنْهُ ... وَكَيْفَ يَرَى الكَذُوبُ جَزَا الكِذَّابِ

(١) تدينها: تُخضعها.
(٢) أغثّ سمينها: ضمرَ سمينها.
(٣) الشآبيب: جمع الشؤبوب: الدفعة من المطر. والسَّبَل: المطر.
(٤) المحدرجة: السَّوط.
(٥) الفتخاء: العقاب اللينة الجناحين.
(٦) واسط: اسم لعدة مواضع، منها واسط الحجاج وهو أعظمها وأشهرها (معجم البلدان ٥/ ٣٤٧).
(٧) نقع الكلاب: جِيَف الكلاب المنقوعة في الماء.

فأخذ خالد الفرزدق، فحبسه، واعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك، فقال الفرزدق في السجن: [الطويل]

أَبْلِغْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ رِسالَةً ... فَعَجِّلْ هداكَ الله نَزْعَكَ خالِدَا

بَنَى بِيعَةً فيها الصَّلِيبُ لأُمِّهِ ... وهَدَّمَ من بُغْضِ الإلهِ المَساجِدَا

فبعث هشامٌ إلى خالد بن سويد يأمره بإطلاق الفرزدق، فأطلقه، فقال الفرزدق يهجو خالداً القَسْريّ: [الوافر]

ألا لَعَنَ الرَّحْمٰنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ ... أتتْنَا تَخَطَّى مِنْ بَعِيدٍ بِخالِدِ

وكَيْفَ يَؤُمُّ المُسْلِمِينَ وأُمُّهُ ... تَدِينُ بأنَّ الله لَيْسَ بِواحِدِ

أخبرنا الحسن، قال: حَدَّثنا أحمدُ بنُ الحارث، قال: حدّثنا المدائني، قال: شتم عبد الله بن عيّاش الهمذانيّ خالدَ بن عبد الله في أيام منصور بن جمهور، فسمعه رجل من لَخم، فقدَّمه إلى منصور واستعداه عليه، فقال له منصور: ما تريدُ؟ فقال ابن عيَّاش: أمرنا أيها الأمير برقية العقرب. وفيه عجب، لخميٌّ يستنصر كلبيّاً على هَمَذَانيٍّ لِبَجَليٍّ دَعِيّ.

وقال المدائنيُّ في خبره: كان خالد بن عبد الله قريباً من هشام بن عبد الملك مكِيناً عنده فأَدَلَّ[1]، وتمرَّغَ[2] عليه، حتى إنه التفتَ يوماً إلى ابنه يزيد بن خالد عند هشام، فقال له: كيف بك يا بنيَّ إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين؟ قال: أُواسيهم ولو في قميصي. فتبيّنَ الغضب في وجه هشام، واحتملها.

قال المدائنيّ: حدّثني بذلك عبد الكريم مولى هشام أنه كان واقفاً على رأس هشام، فسمع هذا من خالد، قال: وكان إذا ذُكِرَ هشامٌ قال له: ابنُ الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إن هذا البَطِر الأشِر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذِّكر، فقال: ماذا يقول؟ لعله يقول: الأحول قال: لا والله، ولكن ما لا تنشقُّ به الشفتان، قال: فلعله قال: ابن الحمقاء، فأمسك الشّاميّ، فقال: قد بلغني كلّ ذلك عنه.

---

(١) أَدَلَّ: أظهر دلالاً.

(٢) تمرَّغ عليه: أطال التردد عليه.

[استغلاله لنفوذه في زيادة دخله وبخله]

واتّخذَ خالدٌ ضياعاً كثيرة حتى بلغت غلّتهُ عشرة آلاف ألف درهم، فدخل عليه دِهقانٌ كان يأنسُ به فقال له: إن الناس يحبّونَ جِسْمَكَ، وأنا أُحِبُّ جسمك وروحك، قد بلغت غَلَّةُ ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلّتك، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا، فاحذرْ، فقال له خالد: إن أخي أسدَ بن عبد الله قد كلّمني بمثل هذا، أفأنتَ أمرته؟ قال: نعم، قال: ويحك! دَعْهُ، فرُبَّ يومٍ كان يَطْلُب فيه الدرهم، فلا يجده.

وقال المدائنيّ في خبره: كان خالد بنُ عبد الله بخيلاً على الطعام، فوفد إليه رجل له به حرمة، فأمر أن يكتبَ له بعشرة آلاف درهم، وحضَر الطعامُ، فَأُتِيَ به، فأكل أكلاً منكراً، فأغضبه، وقال للخازن: لا تَعْرِضْ عَلَيَّ صَكَّه، فعرَّفه الخازن ذلك، فقال له: ويحَكَ! فما الحيلة؟ قال: تشتري غداً كل ما يُحتاجُ إليه في مَطْبخه، وتهَبُ الطَّبَّاخَ دراهمَ، حتى لا يشتريَ شيْئاً، وتسألُه إذا أكل خالد أن يقول له: إنك اليومَ في ضيافة فلان، فاشترى كل ما أراد، حتى الحطبَ، فبلغَ خمسمائة درهم، فأكل خالد؛ فاستطاب ما صُنِعَ له. فقال له الطبَّاخ: إنك كنت اليومَ في ضيافة فلان، قال له: وكيف ذاك؟ فأخبرَه، فاستحيا خالد ودعا بصكّه، فصيَّره ثلاثين ألفاً، ووقع فيه، وأمر الخازن بتسليمها إليه.

قال: وكان لبعض التجّار على رجل دَيْنٌ، فأراد استعداء خالدٍ عليه، فلاذَ الرجلُ بِبَوَّابِ خالد، وَبرَّهُ، فقال له: سأحتالُ لك في أمر هذا بحيلة، لا يُدخِلُه عليه أبداً، قال: فافعل، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل، وخالد يأكل سمكاً، فجعل يأكل أكلاً شنيعاً كثيراً، فغاظ ذلك خالداً، فلمّا خرج قال لبوابه: فيم أتاني هذا؟ قال: يستعدي على فلان في دَين يدعيه عليه. قال: والله إني لأعلم أنه كاذب، فلا يدخلنّ عليّ. وتقدَّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه.

[لحنه في خطبه]

وقال المدائنيّ في خبره: كان خالد يوماً يخطب على المنبر، وكان لُحَنَةً، وكان له مؤدّب يقال له الحسين بن رَهمة الكلبيّ، وكان يجلس بإزائه، فإذا شَكَّ في شيء أومأ إليه، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم، فلما قام يخطب على

المنبر قام إليه التغلبيُّ في وسط خطبته، وقال: قد حضرتني مسألة، قال: ويحكَ! أما ترى الشيطان عينه في عيني، يعني حُسيناً، قال: لا بُدَّ والله منها، قال: هاتها، قال: أخبِرْني، قَلْمسَانُ[١] إذا سَافَ[٢]، ثم رفع رأسه وَكَرَفَ[٣] أيّ شيء يقول؟ قال: أراه يقول: ما أطيبه يا رَبَّاه، قال: صَدَقْتَ ما كان ليستشهدَ على هذا سوى رَبّه.

قال المدائني: وقال خالد يوماً على المنبر: هذا كما قال الله عَزَّ وجَلَّ: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ثم أُرتِجَ عليه، فقال للتغلبيّ: قُمْ فافتحْ عَلَيَّ يا أبا زمزم سورة كذا وكذا، فقال: خَفِّضْ عليكَ أيها الأمير، لا يَهُولَنَّكَ ذلك، فما رأيتُ قَطُّ عاقلاً حفظ القرآن، وإنَّما يحفظه الحمقى من الرجال، قال: صَدَقْتَ، يرحمكَ الله.

وقال المدائنيّ: حدّثني أبو يعقوب الثقفيّ، قال: قال خالد بن عبد الله للعُريان: يا عُريَانُ، أعجزت عن الشُّرَطِ، حتى أُوَلِّي غيرَكَ! فإن الغناء قد فشا وظهر قال: لم أَعْجَزْ، وإن شئتَ فاعزِلني، فقال له: خُذ لي المُغَنِّيات، فأحْضَرَهُ خمساً منهن أوْ ستاً، فأدخلهُنّ إليه، فنظر إلى واحدة منهن بيضَاء دعجاءَ[٤]؛ كأنَّها أُشربتْ ماءَ الذَّهَبِ، فدعا لها بكرسيٍّ، فجلست. ثم قال لها: أين البَرْبط[٥] الذي كانت تضرب به؟ فأُحضِرَ، ثم سوّته، فغنَّتْ: [الطويل]

إلى خالدٍ حتّى أَنَخْنَ بخالِدٍ فَنِعْمَ الفَتَى يُرْجَى وَنِعْمَ المُؤَمَّلُ

فقال: اعْدِلي عن هذا إلى غيره، فغنّت: [الطويل]

أَرُوحُ إلى القَصَّاصِ كُلَّ عَشِيَّةٍ أُرَجِّي ثَوابَ الله في عَدَدِ الخُطَا

قال: وأقبل قاصُّ المصر. فقال له خالد: أكانت هذه تروح إليك؟ قال: لا، وما مثلها يروحُ إليَّ، قال: خذ بيدها فهي لك، ومولاها بالباب، فسأل عنها فقيل: وهبَهَا لِلقاصِّ، فتحمَّلَ عليه[٦] بأشْرَاف الكوفة، فلم يَرْدُدْها، حتى اشتراها منه بمائتي دينار.

(١) القلسمان: الحمار.
(٢) سَاف: شَمَّ.
(٣) كرف الحمار: شَمَّ بول الأتان ثم رفع رأسه وقلب جحفلته.
(٤) الدَّعجاء: ذات الدعج، وهو اتساع العين في شدّة بياض وسواد.
(٥) البربط: العود.
(٦) تحمَّل عليه: توسَّل إليه.

وقال المدائنيّ: قال خالد في خطبته: والله ما إمارة العِراق ممّا يشرفني! فبلغ ذلك هشاماً، فغاظه جدّاً، وكتب إليه: بلغني يابنَ النَّصرانية أنك تقول: إن إمارةَ العراق ليست مما يشرّفك، صدقتَ والله، ما شيءٌ يشرّفكَ، وكيف تشرُفُ وأنت دَعِيٌّ إلى بجيلةَ القبيلةِ القليلةِ الذّليلةِ، أمَا والله إني لأظُنُّ أنَّ أوّلَ ما يأتيكَ ضَغِنٌ[1] من قيس، فَيشدّ يديك إلى عنقك.

[هشام يعزله ويأمر بتعذيبه]

وقال المدائنيّ: حَدَّثني شَبيبُ بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال: لم تَزَلْ أفعالُ خالد به، حتى عزلَه هشام، وعَذَّبه، وقتل ابنَه يزيد بن خَالد، فرأيتُ في رِجْلِه شريطاً قد شُدَّ به، والصبيان يجرّونَهُ، فدخلتُ إلى هشام يوماً، فحدّثته، وأطلتُ، فتنفّسَ ثم قال: يا خالدُ، رُبَّ خالدٍ كان أحبَّ إليَّ قرباً، وألَذَّ عندي حديثاً منك، قال: يعني خالداً القسريّ، فانتهزتها، ورجوت أن أشفعَ له فتكون لي عند خالدٍ يدٌ، فقلت: يا أمير المؤمنين، فما يمنعك من استئناف الصّنيعة عنده؟ فقد أدَّبْته بما فَرَط منه، فقال: هيهات، إن خالداً أوجفَ فأعجفَ[2]، وأَدَلَّ فأملّ[3]، وأفرط في الإِسَاءة، فأفرطْنا في المكافأة، فحَلِمَ الأديمُ[4]، ونَغلَ الجرحُ[5]، وبلغ السَّيْلُ الزُّبَى[6] والحزام الطُّبْيَيْن[7]، فلم يبقَ فيه مُسْتَصْلحٌ، ولا لِلصَّنيعةِ عنده موضعٌ، عُدْ إلى حديثك.

فأمَّا أَخباره في تخنثه وإرسال عمرَ بن أبي ربيعة إيَّاه إلى النساء، فأخبرني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هِفّان، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي، وأخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء، قال: حدّثني الزبير بن بكار، قال: حَدَّثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي، عن إبراهيم بن قُدامة الحاطبيّ، عن أبيه، واللفظُ لعلي بن صالح في خبره، قالا: قال الحاطبيّ: أتيت

---

(١) الضَّغِن: الحاقد.
(٢) أوجف: أسرع. وأعجف: هَزُل.
(٣) أدَلَّ: أكثر من الإدلال. وأمَلَّ: أضجر.
(٤) الأديم: الجلد، وحَلِمَ الأديمُ: كثر عليه الدود فثقبه وأفسده.
(٥) نغل: فسد.
(٦) الزُبى: جمع الزُّبْيَة: التلّة لا يعلوها ماءٌ. والمثل يُضرَبُ عند تفاقم الخطر وبلوغه غايته.
(٧) الطُّبْيُ: حلمة الضرع التي فيها اللّبن.

عمر بن أبي ربيعة بعد أن نَسَك بسنين، فانتظرته في مجلس قومه، حتى إذا تفرّقَ القومُ دَنَوْتُ منه، ومعي صاحبٌ لي، فقال لي صاحبي: هل لك في أن تُرِيغَهُ[١] عن الغزل، فننظر هل بَقِيَ منه شيء عنده؟ فقلت له: دونك. فقال: يا أبا الخطاب أحسنَ والله رَيْسَان العذري ـ قاتله الله ـ! قال: وفيم أحسنَ؟ قلت: حيث يقول:

[البسيط]

لو جُزَّ بِالسَّيْفِ رَأْسِي في مَوَدَّتِها ... لَمَالَ لا شَكَّ يَهوِي نَحْوَها رَاسِي

فقال: نعم أحسن، فقلت: يا أبا الخطّاب، وأحسنَ والله تحيَّةُ بنُ جُنادة العذريّ، قال: في ماذا؟ قلت: حيث يقول: [البسيط]

سَرَتْ لِعَيْنَيْكَ سَلْمَى بَعْدَ مَغْفَاها ... فَبِتَّ مُسْتَوْهِناً من بَعْدِ مَسْرَاها
فقلتُ: أَهْلاً وَسهْلاً مَنْ هَدَاكِ لنا ... إنْ كُنْتِ تِمْثَالَها أو كنتِ إيَّاها[٢]

وفي رواية الزبير خاصة:

تَأْتِي الرِّيَاحُ الّتي مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمُ ... حَتَّى أَقُولَ: دَنَتْ مِنَّا بِرَيَّاهَا
وقد تَرَاخَتْ بها عَنَّا نَوًى قَذَفٌ ... هَيْهَاتَ مُصْبَحُها مِنْ بَعْدِ مُمْسَاها[٣]
مِنْ حُبِّها أَتَمَنَّى أَنْ يُلاَقِيَنِي ... مِنْ نَحْوِ بَلْدَتِها نَاعٍ فَيَنْعَاها
كَيْمَا أَقُول فِرَاقٌ لا لِقَاءَ له ... وتُضْمِرَ اليَأْسَ نَفْسِي ثُمَّ تَسْلاَها
ولو تَمُوتُ لَرَاعَتْنِي وقُلْتُ لَها ... يا بُؤْسَ لِلدَّهْرِ لَيْتَ الدَّهْرَ أَبْقَاها

ويروى:

... لَرَاعَتْنِي مَنِيَّتُها ... وقُلْتُ يَا بُؤْسَ لَيْتَ الدَّهْرَ أَبْقَاها

فضحك عمر ثم قال: يا ويحه أحسن والله، لقد هَيَّجْتُما عَلَيَّ ما كان ساكناً مني فلأُحَدِّثنّكما حديثاً حُلواً: بينا أنا أوّل أعوامي جالسٌ إذا بخالد الخِرّيت قال: مَرَرْتُ بأربع نسوة قَبِيلٍ[٤]، يَرِدْنَ ناحية كذا وكذا من مكة، لم أَرَ مثلَهن قَطّ، فيهنَّ هند، فهل لك أن تأتيهنَّ مُتنكِّراً فتسمَع من حديثهنَّ، ولا يَعلمْن؟ فقلت: وكيف لي

(١) أراغه عن الأمر: طلبه منه.
(٢) تمثالها: صورتها.
(٣) القَذَف: البعيد.
(٤) القَبِيل: الجيل.

بأن يخفى ذلك؟ قال: تلبس لبسةَ الأعراب، ثم تقعدُ على قَعود، كأنك تَنْشُدُ ضَالَّةً، فلا يشْعُرْنَ حتى تهجمَ عليهن، قال: فجلست على قَعُودٍ. ثم أتيتهُنَّ فسلّمت عليهن، فآنَسْنني، وسَألْنَنِي أن أنشدَهن، فأنشدتهن لِكُثيِّر وجميل وغيرهما، وقلن: يا أعرابيّ، ما أملحكَ، لو نزلت، فتحدّثت معنا يومنا هذا، فإذا أمسيت انصرفت، فأنختُ قَعُودي، وجلستُ معهن، فحدّثتهن، وأنشدتهنَّ، فدنت هند، فمدّتْ يدها، فجذَبت عِمَامتي، فألقَتها عن رأسي، ثم قالت: تالله لَظَنَنْتَ أنَّكَ خدعتنا، نحن والله خدَعْناك، أرسَلنا إليك خالداً الخِرِّيتَ في إتياننا بك على أقبحِ هَيْئَتِكَ، ونحن على أحسن هيئتنا. ثم أخَذنَ بنا في الحديث، فقالت إحداهن: يا سَيّدي لو رأيتني منذ أيام، وأصبحت عند أهلي، فأدخلت رأسي في جيبي[1]، فنظرت إلى حِري، فرأيته ملءَ العُسِّ[2] والقَسّ فَصِحْتُ: يا عُمَرَاه! فصحْتَ: لَبَّيْكِ لَبَّيْكِ، ولم أزلْ معهنَّ في أحسن وقت إلى أن أمسينا، فتفرّقنا عن أنعم عيش، فذلك حين أقول: [الطويل]

أَلَـمْ تَـعْـرِفِ الأَطْـلاَلَ والـمُـتَـرَبَّـعـا ... بِـبَـطْـنِ حُـلَـيَّـاتٍ دوَارِسَ بَـلْـقَـعـا

وذكر الأبيات. انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً.

صوت

[الطويل]

أَنَـائِـلُ مَـا رُؤْيَـا زَعَـمْـتِ رَأَيْـتِـهـا ... لَـنَـا عَـجَـبٌ لَـوْ أَنَّ رُؤْيَـاكِ تَـصْـدُقُ

أَنَـائِـلُ مـا لِـلْـعَـيْـشِ بَـعْـدَكِ لَـذَّةٌ ... ولا مَـشْـرَبٌ نَـلْـقَـاه إلاَّ مُـرَنَّـقُ[3]

أَنَـائِـلُ إنِّـي والَّـذِي أَنَـا عَـبْـدُهُ ... لقد جَعَلَتْ نَفْسِي مِنَ البَيْنِ تُشْفِقُ

لَـعَـمْـرُكَ إنَّ الـبَـيْـنَ مِـنْـكَ يَـشُـوقُـنِـي ... وبَـعْـضُ بُـعَـادِ الـبَـيْـنِ والـنَّـأْيِ أَشْـوَقُ

الشعر لصخر بن الجعد الخُضرِيّ. أخبرنا بذلك محمد بن مزيد، عن الزّبير بن بكار أن عَمّه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضريّ، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر. ومن الناس مَنْ يروي هذه الأبيات لجميل، ولم يأتِ ذلك من وجه يَصحُّ، والزُّبيرُ أعلم بأشعار الحجازيين. والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي، وفيه لابن المكي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

---

(١) الجيب: طوق القميص.
(٢) العُسّ: القدح العظيم.
(٣) المُرَنَّق: غير الصافي، الكَدِر.

أخبار صخر بن الجَعْد ونسبه

[توفي نحو سنة ١٤٠ هـ/ نحو سنة ٧٥٧ م]

[نسبه وقصّته مع محبوبته كأس]

صخرُ بنُ الجعدِ الخُضْريّ، والخُضرُ ولدُ مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر، وصخر أحد بني جِحاش بن سَلَمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف، قال: وسُمّي ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادِهم، وكان مالك شديد الأُدْمة. وخرج ولدُه إليه فقيل لهم الخُضْر، والعرب تسمي الأسودَ الأخْضَرَ. وهو شاعر فصيح من مُخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد كان يَعْرِض لابن ميّادة لمّا انقضى ما بينه وبين حَكَمٍ الخُضْريّ من المهاجاة، ورام أن يهاجيَه، فترفَّع ابنُ ميّادة عنه.

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ، عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن الزبير بن بكار مجموعاً، وأخبرني بأخبار له متفرقة الحرميّ بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار.

وحدّثني بها غيرُهما من غير رواية الزبير، فذكرت كلَّ شيء من ذلك مفرداً، ونسبته إلى راويه.

قال الزبيرُ فيما رواه هارون عنه: حَدَّثني مَنْ أثق به عن عبد الرحمٰن بن الأحول بن الجَون قال: كان صخرُ بن الجَعْد مُغْرَماً بكأس بنت بُجَيْر بن جُنْدب، وكان يُشَبِّبُ بها، فَلَقِيَهُ أخوها وَقَّاصٌ، وكان شجاعاً، فقال له: يا صخرُ، إنّكَ تشبّبُ بابنة عَمِّكَ، وشَهَرْتَها، ولَعَمْري ما بها عنكَ مذهبٌ؛ ولا لنا عنك مَرْغَبٌ، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أُزَوِّجْكَهَا، وإن لم تكنْ لك فيها حاجة فلا أعلمَنْ ما عرضت لها بِذِكْرٍ، ولا أسْمَعَنَّهُ منك. فأُقْسِمُ بالله لئن فعلتَ ذلك ليخالطَنَّكَ سيفي،

فقال له: بل والله إن لي لأشَدَّ الحاجة إليها. فوعده موعداً وخرج صَخْرٌ لِموعِدِه، حتى نزل بأبياتِ القوم، فنزل منزل الضيف، فقام وقَّاصٌ فَذَبَحَ، وجمع أصحابه. وأبطأ صخرٌ عنهم، فلما رأى ذلك وقّاص بعث إليه: أن هَلُمَّ لِحَاجتك، فأبطأ، ورجع الرسولُ فقال مثلَ قوله، فغضِبَ، وعَمِدَ إلى رجل من الحَيِّ ليس يُعْدَلُ[1] بصخر، يقال له حِصْنٌ، وهو مُغضَبٌ لما صنع، فحَمِدَ الله وأثنى عليه، وزَوَّجه كأسَ، وافترقَ القوم، ومَرُّوا بصخر، فأعلَموه تزويجَ كأسٍ بحصن، فرحل عنهم من تحت اللَّيل، واندفع يهجوها بالأبيات التي قذَفها فيها فيما قذفَها، وذلك قوله حين يقول:

وأنْكَحَها حِصناً لِيَطْمِسَ حَمْلَها ... وقد حَمَلَتْ مِنْ قَبْلِ حِصنٍ وجَرَّتِ

أي زادت على تسعة أشهر. قال: وترافع القومُ إلى المدينة، وأميرُها يومئذ طارق مولى عثمان، قال: فتنازعوا إليه، ومعهم يومئذٍ رجل يقال له حَزْمٌ، وكان من أشد الناس على صخر شرّاً. قال: وفيه يقول صخر: [االطويل]

كَفَى حَزَناً لو يَعْلَمُ النَّاسُ أنَّني ... أُدَافِعُ كَأساً عِنْدَ أبْوابِ طَارِقِ[2]

أتَنْسَيْنَ أيَّاماً لَنَا بِسُوَيْقَةٍ ... وأيَّامَنا بِالجِزْعِ جِزْعِ الخَلائِقِ[3]

لَيَالِيَ لا نَخْشَى انْصِدَاعاً مِنَ الهَوَى ... وأيَّامَ حَزْمٌ عِنْدَنا غَيْرُ لائِقِ[4]

إذا قُلْتُ لا تَفْشِي حَدِيثي تَعَجْرَفَتْ ... زِياداً لِوُدٍّ هَا هُنَا غَيْرِ صَادِقِ[5]

قال: فأقاموا عليه البيِّنة بِقَذْفِ كأس، فضُرِبَ الحَدَّ، وعاد إلى قومه، وأسفَ على ما فاته من تزويج كأس، فطفِقَ يقول فيها الشعر.

قال الزبير: فأنشدني عمّي وغيرُه لصخر قوله: [الطويل]

لقد عَاوَدَ النَّفْسَ الشَّقِيَّةَ عِيدُها ... نَعَمْ إنَّهُ قد عَادَ نَحْساً سُعُودُها[6]

---

(١) لا يُعْدلُ: لا يتساوى.

(٢) أدافع: أُقاضي.

(٣) سُويقة: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٣/ ٢٨٦). والخلائق: أرض بنواحي المدينة (معجم البلدان ٢/ ٣٨١).

(٤) حزم: مرفوع على الابتداء.

(٥) زياداً: استزادةً.

(٦) عِيدُها: ما اعتادت عليه.

وَعـاوَدَهُ مـن حُـبِّ كَـأْسٍ ضَـمَـانَـةٌ ... على النَّأْيِ كَانَتْ هَيْضَةً تَسْتَقِيدُها[١]
وَأَنـى تُـرَجِّـيـهـا وأَصْبَـحَ وَصْـلُـهـا ... ضعيفاً وأَمْسَتْ هَمَّهُ لا يَكِيدُها
وقـد مَـرَّ عَـصْـرٌ وَهْـيَ لا تَـسْـتَزِيدُنِي ... لما اسْتُوْدِعَتْ عِنْدِي ولا أَسْتَزِيدُها
فـمـا زِلْـتَ حَـتَّـى زَلَّـتِ الـنَّـعْـلُ زَلَّـةً ... بِرِجْلِكَ في زَوْرَاءَ وَعْثٍ صُعُودُها[٢]
أَلاَ قُلْ لِكَأْسٍ إنْ عرضْتَ لِبَيْنِها ... فَأَين بُكَا عَيْنِي وأين قَصِيدُها؟
لَعَلَّ الـبُـكَـا يـا كَـأْسُ إنْ نَفَعَ الـبُـكَـا ... يُـقَـرِّبُ دُنْـيَـانَـا لَـنَـا فَـيُـعِـيـدُهَـا
وكَـانَـتْ تَـنَـاهَـتْ لَـوْعَـةُ الـوُدِّ بـيـنـنـا ... فـقـد أَصْـبَـحَـتْ يُـبْـساً وأُذْبِـلَ عُـودُهـا

ويروى: وقد ذَاء عودُها يقال: ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد.

لَـيَـالِـيَ ذَاتُ الـرِّمْـسِ لا زَالَ هَـيْـجُـهـا ... جنوباً ولا زَالَتْ سَحَابٌ تَجُودُها[٣]
وعَـيْـشٌ لـنـا فـي الـدَّهْـرِ إذ كَـانَ قَـلْـبُـهُ ... يَطِيبُ لَدِيهِ بُخْلُ كَأْسٍ وَجُودُها
تَـذَكَّـرْتُ كَـأْساً إذ سَـمِـعْـتُ حَـمَـامَـةً ... بَكَتْ في ذُرَا نَخْلٍ طِوَالٍ جَرِيدُها[٤]
دَعَـتْ سَاقَ حُرٍّ فَاسْتَجَبْتُ لِصَوْتِهَا ... مُـوَلَّـهَـةً لـم يَـبْـقَ إلاَّ شَـرِيـدُهـا[٥]
فـيـا نَـفْـسُ صَـبْـراً كُـلُّ أَسْـبَـابِ وَاصِـلٍ ... سَتَنْمِي لها أسبابُ هَجْرٍ تُبِيدُها

قال أبو الحسن الأخفش:

ستنمي لها أسباب صَرْمٍ تُبيدها أجود.

ولَـيْـلٍ بَـدَتْ لِـلـعـيـنِ نَـارٌ كَـأَنَّـهـا ... سَنَا كَوْكَبٍ لِلْمُسْتَبِينِ خُمُودُها
فـقـلـتُ: عَـسَـاهـا نَـارُ كَـأْسٍ وعَـلَّـهـا ... تَشَكَّى فَأَمْضِي نَحْوَها وأَعُودُها
فـتـسـمـعَ قـولـي قـبـلَ حَـتْـفٍ يَـصِـيـدُنـي ... تُـسَـرُّ بـه أو قَـبْـلَ حَـتْـفٍ يَـصِـيـدُهـا
كَـأَنْ لـم نَـكُـنْ يـا كَـأْسُ إِلْـفَـي مَـوَدَّةٍ ... إذِ الـنَّـاسُ والأَيَّـامُ تُـرْعَـى عُـهُـودُهـا

أخبرني عبد الله بن مالك النحويّ، قال: حَدّثنا محمد بن حبيب، قال: لما ضُرِبَ صخرُ بن الجعد الحدَّ لكأسٍ، وصارت إلى زوجها نَدِمَ على ما فرط منه،

---

(١) الضمانة: العلّة المتأنّية من الحب والعِشق. والهيضة: المرض بعد المرض. وتستقيدها: تقتصّ منها بمثل فِعلها.

(٢) الزوراء: الأرض البعيدة. والوعثُ: العَسِرُ.

(٣) ذات الرمس: موضع قريب من المدينة. والهَيْج: الريح الشديدة. وتجودها: تمطر فيها.

(٤) الجريد: جمع الجريدة: السّعفة.

(٥) ساق حُرّ: ذَكَر القماري.

واستحيا من النّاس لِلْحَدّ الّذي ضُرِبَهُ، فلحِقَ بالشام، فطالت غيبتُه بها، ثم عَاد فمرّ بنخل كان لأهله ولأهل كأْسٍ، فباعوه، وانتقلوا إلى الشام، فمرَّ بها صخر ورأى المبتاعين لها يَصرِمونها[1]، فبكى عند ذلك بكاءً شديداً، وأنشأ يقول: [الطويل]

مَرَرْتُ على خَيْمَاتِ كَأْسٍ فَأَسْبَلَتْ ... مَدَامِعُ عَيْنِي والرِّيَاحُ تُمِيلُها
وفي دَارِهِمْ قَوْمٌ سِوَاهُمْ فَأَسْبَلَتْ ... دُمُوعٌ مِنَ الأجفانِ فَاضَ مَسِيلُها
كَذَاكَ اللَّيَالِي لَيْسَ فيها بِسَالِمٍ ... صَدِيقٌ ولا يَبْقَى عليها خَلِيلُها

وقال وهو بالشام: [الطويل]

ألا لَيْتَ شِعري هل تَغَيَّرَ بَعْدَنَا ... عَنِ العَهْدِ أَمْ أَمْسَى على حَالِه نَجْدُ؟
وعَهْدِي بِنَجْدٍ منذُ عشرينَ حِجَّةً ... ونَحنُ بِدُنْيَا ثَمَّ لَمْ نَلْقَها بَعْدُ
به الخَوْصَةُ الدَّهْمَاءُ تَحتَ ظِلالِها ... رِياضٌ بها الحَوْذانُ والنَّفَلُ الجَعْدُ[2]

قال: ومَرَّ على غديرٍ كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعون عليه، فوقف طويلاً عليه يبكي وكان يقال لذلك الغدير جَنان فقال صخر: [الطويل]

بَلِيتُ كَمَا يَبْلَى الرِّدَاءُ ولا أَرَى ... جَنَاناً ولا أَكْنَافَ ذِرْوَةَ تَخْلُقُ[3]
أَلَوِّي حَيَازِيمِي بِهِنَّ صَبَابَةً ... كَما تَتَلَوَّى الحَيَّةُ المُتَشَرِّقُ[4]

[رثاؤه لكأس]

أخبرني عبدُ الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، قال: قال السَعيديّ: حدّثني سَبرةُ مولى يزيدَ بن العوّام، قال: كان صخر بن الجعد المحاربي خِدْناً لِعَوَّام بن عقبة، وكان عوّام يهوَى امرأة من قومه، يقال لها سوداء، فماتت، فرثاها، فلما سمع صخرُ بن الجَعْد المرثيّة، قال: وَدِدْتُ أن أعيشَ حتى تموت كأس، فأرثيَها، فماتت كأس، فقال: [الطويل]

علــى أُمِّ دوادَ الســلامُ ورَحْمَــةٌ ... مِنَ اللَّهِ يَجْرِي كُلَّ يومٍ بَشِيرُها

---

(١) يصرمونها: يقطعونها.
(٢) الخُوص: ورق النخل. والدهماء: السوداء. والحوذان: نبات عشبي له زهر أحمر في أصله صفرة. والنَّفَل: نبت طيّب الرائحة من الفصيلة القرنية الفراشية.
(٣) تخلق: تبلى.
(٤) الحيازيم: جمع الحيزوم: الصدر. الحيّة المتشرّق: التي تحاول الدفء عند شروق الشمس.

غَدَاةَ غَدا الغَادُونَ عنها وغُودِرَتْ بلَمَّاعَةِ القِيعانِ يُسْتَنُّ مورُها[١]
وغُيِّبْتُ عنها يَوْمَ ذاكَ ولَيْتَني شَهِدْتُ فيحوي مَنْكِبيَّ سَرِيرُها

ويروى: فيعلو مَنكِبيَّ.

نَزَتْ كَبِدِي لَمَّا أتاني نَعِيُّها فقلتُ: أدَانٍ صَدْعُها فَمُطِيرُها[٢]

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني خالد بن الوضاح قال: قال عَبْدُ الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجُمَحِيُّ لعبد الله بن مصعب: سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه: مَنِ الذي يقول: [الوافر]

ألا يَا كَأْسُ قد أفْنَيْتُ شِعْرِي فَلَسْتُ بِقَائِلٍ إلاّ رَجِيعَا؟[٣]

ولم أدْرِ لمن الشعر؟ فقال عبد الله بن مصعب: هو لِصخرِ الخُضْرِيِّ، وأنشدَ باقيَ الأبيات، وهي:

تُرَجِّي أنْ تُلاقِيَ آلَ كَأسٍ كَمَا يَرْجُو أخُو السَّنَةِ الرَّبِيعا[٤]
فلَسْتَ بِنَائِمٍ إلاّ بِحُزْنٍ ولا مُسْتَيْقِظاً إلاّ مَرُوعا
فإنَّكَ لو نَظَرْتَ إذَا الْتَقَيْنَا إلى كَبِدِي رَأيْتَ بها صُدُوعا

قال ابن حبيب في رواية عبد الله بن مالك: لَمَّا زُوِّجَتْ كأسٌ جزعَ صخرُ بن الجعد لما فرط منه وندِمَ وأسِفَ، وقال في ذلك: [الطويل]

هَنِيئاً لِكَأْسٍ قَطْعُها الحَبْلَ بَعْدَما عَقَدْنا لِكَأْسٍ مَوْثِقاً لا نَخُونُها[٥]
وإشْمَاتُهَا الأعْدَاءَ لَمَّا تَألَّبوا حَوَالَيَّ واشْتَدَّتْ عَلَيَّ ضُغُونُها[٦]
فإنَّ حَرَاماً أنْ أخُونَكَ ما دَعَا بِيَلْيَلَ قُمْرِيُّ الحَمَامِ وجُونُها[٧]
وقد أيْقَنَتْ نَفْسِي لقد حِيلَ دُونَها ودُونَك لو يَأتِي بِيَأْسٍ يَقِينُها

(١) القيعان: جمع القاع: الأرض المستوية المطمئنة التي تنصبّ إليها مياه الأمطار فتمسكها فتنبت العشب. واللّماعة: التي يلمع فيها السراب. ويستنّ: يسرع. والمُور: الغبار الذي تثيره الرياح.
(٢) نزت: وثبت.
(٣) الرّجيع: المتكرّر.
(٤) السَّنَة: الجدب والمحل.
(٥) المَوْثق: العهد.
(٦) تألّبوا: تجمّعوا. والضغون: الأحقاد.
(٧) يَلْيَل: قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة فيها عيون كثيرة غزيرة (معجم البلدان ٥/ ٤٤١). والجُون: جمع الجوناء: الناقة السوداء.

وَلَـكِـنْ أَبَـتْ لا تَـسْـتَـفِـيـقُ ولاَ تَـرى عَـزَاءً ولا مَـجْـلـودَ صَـبْـرٍ يُـعِـيـنُـهـا(١)
لَـوَ انَّـا إِذِ الـدُّنْـيـا لَـنَـا مُـطْـمَـئِـنَّـةٌ دَحَا ظِلُّها ثمَّ ارْجَحَنَّتْ غُصُونُها(٢)
لَـهُـوْنَـا ولَـكِـنَّـا بِـغُـرَّةِ عَـيْـشِـنَـا عَـجِبنَا لِدُنيانَا فَكِدْنا نُعِينُها(٣)
وكُـنَّـا إذا نـحـنُ الْـتَـقَـيْـنـا وما نُـرَى لِـعَـيْـنَـيْـنِ إلاَّ مِـنْ حِـجَـابٍ يَـصُـونُـهـا
أَخَـذْنـا بِـأطـرافِ الأحـاديـثِ بَـيـنـنـا وأوْسَـاطِـهـا حَـتَّـى تُـمَـلَّ فُـنـونُـهـا

قال ابن حبيب: أرسلتْ كأسٌ بعد أنْ زُوِّجَت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يَرَى النائم: كأنه يُلْبِسُها خماراً، وأنَّ ذلك جَدَّدَ لها شوقاً إليه وصَبابة، فقال صخر: [الطويل]

أَنَـائِـلُ مـا رُؤيَـا زَعَـمْـتِ رَأيْـتِـهـا لَـنَـا عَـجَـبٌ لَـوْ أنَّ رُؤْيَـاكِ تَـصْـدُقُ
أَنَـائِـلُ لـولا الـوُدُّ مـا كـانَ بَـيْـنُـنَـا نَضَا مثل ما يَنْضُو الخِضَابُ فيَخْلُقُ(٤)

أخبرنا حبيب بن نصر، قال: حدّثنا عبد الله بن شبيب، قال: حدّثني محمد بن عبد الله البكري، قال: قدم صخر بن الجعد الخُضْريّ المدينة، فأتى تاجراً من تجارها يقال له سَيَّارٌ، فابتاع منه بُرّاً وعِطراً، وقال: تأْتينَا غُدوةً فأقضيك، وركب من تحت ليلته، فخرج إلى البادية، فلما أصبح سيَّار سأل عنه؛ فعُرِّفَ خبرَه، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه، حتى أتوا بئرَ مُطَّلِب، وهي على سبعة أميال من المدينة، وقد جهدوا من الحَرِّ، فنزلوا عليها، فأكلوا تمراً كان معهم، وأراحوا دوابَّهم وسَقوْها، حتى إذا بَرَد النهار انصرفوا راجعين، وبلغ الخبرُ صخرَ بن الجعد، فقال: [البسيط]

أَهْـوِنْ عَـلـيَّ بِـسَـيَّـارٍ وصَـفْـوَتِـهِ إذا جَـعَـلْـتُ صِـرَاراً دونَ سَـيَّـارِ(٥)
إِنَّ الـقَـضَـاءَ سَـيَـأْتِـي دُونَـهُ زَمَـنٌ فَـاطْـوِ الصَّحِيفةَ واحْفَظْهَا مِنَ العَارِ
يُسَائِلُ الـنَّـاسَ هـل أَحْـسَـسْـتُـمُ جَـلَـباً مُـحَـارِبِـيّـاً أَتَـى مِـنْ نَـحْـوِ أَظْـفَـارِ(٦)

(١) مجلود صبر: أي الصبر الذي أكره نفسي عليه.
(٢) دحا: امتد. وارجحنتْ: تمايلت.
(٣) غُرّة العيش: أوّله ومعظمه. وعجبنا لدنيانا: أنكرناها.
(٤) بيْنُنا: فراقُنا. ونَضا: زال.
(٥) صِرَار: ماء قرب المدينة (معجم البلدان ٣/٣٩٨).
(٦) يسائل: أي سيّار. والجلب: ما جُلِبَ من متاع وشاءٍ وإبل. ومحاربياً: منسوب إلى محارب، يعني نفسه. وأظفار: طائفة من الكواكب.

وَمَا جَلَبْتُ إليهِمْ غَيْرَ رَاحِلَةٍ وغَيْرَ رَحْلٍ وسَيْفٍ جَفْنُهُ عَارِ
ومَا أُرِيتُ لَهُمْ إلاَّ لأَدْفَعَهُمْ عَنِّي ويُخْرِجُني نَقْضي وإمْرَاري(١)
حَتَّى اسْتَغَاثُوا بأَرْوَى بِئْرِ مُطَّلِبٍ وقد تَحَرَّقَ منهم كُلُّ تَمَّارِ(٢)
وقَالَ أَوَّلُهُمْ نُصْحاً لآخِرِهِمْ: ألاَ ارْجِعُوا واتْرُكُوا الأَعْرابَ في النَّارِ

[جارية والده الجعد تخدعه فيعتقها ويُزَوّجها]

أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، قال: حَدَّثنا ابن الأعرابي، قال: كان الجعد المحاربيّ أبو صخر بن الجعد قد عُمِّرَ حتى خَرِفَ، وكان يكنى أبا الصَّموت؛ وكانت له وليدة يقال لها سَمْحاء، فقالت له يوماً: يا أبا الصَّموت، زعم بَنُوكَ أنك إن مِتَّ قَتَلُوني، قال: ولِمَ؟ قالت: ما لي إليهم ذنْب غير حُبّي لك، فأَعْتَقَها على أن تكون معه، فمكثَتْ يسيراً، ثم قالت له: يا أبا الصَّمُوت، هذا عَرابةُ من أهل المعدِن يَخطُبني، قال: أيْنَ هذا مما قلت لي؟ قالت: إنَّهُ ذو مال، وإنَّما أردت مالَهُ لك، قال: فأْتِني به، فأتته فزوّجه إيّاها، فولدت له أولاداً، وقَوَّتْهُ بما كانت تصيبُه من الجَعْد، وكانتْ تأتي الجعدَ في أيَّام، فتخضبُ رأسه، ثم قطعته، فأنشأ الجعد يقول: [البسيط]

أَمْسَى عَرَابَةُ ذا مالٍ وذَا وَلَدٍ مِنْ مَالِ جَعْدٍ وجَعْدٌ غير محمودِ
تَظَلُّ تُنْشِقُهُ الكَافورَ مُتَّكِئاً على السَّريرِ وتُعْطِيني على العُودِ

قال: والجَعْد هو القائل لامرأته: [الطويل]

تُعَالِجُنِي أُمُّ الصَّمُوتِ كَأَنَّمَا تُدَاوِي حِصَاناً أَوْهَنَ العَظْمَ كاسِرُهْ
فلا تَعْجَبِي أُمَّ الصَّمُوتِ فإنَّهُ لِكُلِّ جَوَادٍ مَعْثَرٌ هُوَ عَاثِرُهْ
وقد كُنْتُ أَصْطَادُ الظِّبَاءَ مُوَطِّئاً وأضْرِبُ رَأْسَ القِرْنِ والرُّمْحُ شَاجِرُهْ(٣)
فأَصْبَحْتُ مِثْلَ العُشِّ طَارَتْ فِرَاخُهُ وغُودِرَ في رَأْسِ الهَشِيمَةِ سَائِرُهْ(٤)

---

(١) النّقض: حلّ طاقات الحبل. والإمرار: الفتل. ويريد بالنقض والإمرار: المراوغة والخداع.
(٢) الأروى: أنثى الوعل. وبئر مطّلب: حيث نزل هو ورفاقه. والتمّار: آكل التمر.
(٣) مُوَطِّئاً: منحدراً. وشاجره: مشتبك به.
(٤) الهشيمة: الشجرة اليابسة البالية. وسائره: ما بقي منه.

[أولاده يرثونه حَيّاً]

فلمّا كبرَ حَمَلَهُ بنوه، فأتوا به مكّةَ، وقالوا له: تَعَبَّدْ هاهنا، ثم اقتسموا المال، وتركوا له منه ما يُصْلِحُه، فقال: [الوافر]

أَلاَ أَبْـلِـغْ بَـنِـي جَـعْـدٍ رسـولاً ... وإنْ حَـالَـتْ جِـبَـالُ الـغَـوْرِ دُونِـي
فـلـم أرَ مَـعْـشَـراً تَـرَكُـوا أَبَـاهُـم ... مِـنَ الآفَـاقِ حَـيْـثُ تَـرَكْـتُـمُـونـي
فَـإنّـي والـرَّوافِـضِ حَـوْلَ جَـمْـعٍ ... ومَحْطِمُهُنَّ مِنْ حَضْبَا الحجُونِ[١]
لَـوَ انِّـي ذو مُـدَافَـعَـةٍ وَحَـوْلٍ ... كَـمَا قد كُنتُ أحْيَاناً كمـوني[٢]
إذاً لَـمَـنَـعْـتُـكُـمْ مَـالِـي ونَـفْـسِـي ... بِـنَـصْـلِ الـسَّـيْـفِ أو لَقَـتَـلْـتُـمـونِـي

وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حَدَّثنا الزبير بن بكار، قال: حَدَّثنا محمدُ بن عبد الله بن عثمان البكريّ، عن عروة بن زيد الخضري، عن أبيه، قال: كنتُ في رَكْبٍ فيهم صخر بن الجعد، ودرنٌ مولى الخضريِّين معنا، ونحن نريد خيبر، فنزلنا منزلاً تعشّينا فيه، فهيّجنا إبلَ صخر، فلما ركبنا ساق بنا واندفع يَرجُز، ويقول:

لـقـد بَـعَـثْـتُ حَـادِيـاً قُـرَاصِـفـا[٣]

فردَّده قِطْعاً من اللّيل لا يُنْفِده[٤]، ولا يقول غيرَه، ثم قال لنا: إني نسيت عِقالاً، فرجع يطلبه في المُتَعَشَّى، ونزل دَرَنٌ يسوق بالقوم، فارتجز دَرَن ببيت صخر، وقال:

لـقـد بَـعَـثْـتُ حَـادِيـاً قُـرَاصِـفَـا ... مِـنْ مَـنْـزِلٍ رَحَـلْـتُ عَـنْـه آنِـفَـا
يَـسُـوقُ خُـوصـاً رُجَّـفـاً حَـوَاجِـفَـا ... مِـثْـلَ الـقِـسِـيِّ تَـقْـذِفُ الـمَـقَـاذِفا[٥]
حَـتَّـى تَـرَى الـرِّبَـاعِـيَ الـعُـتَـارِفـا ... مِـنْ شِـدَّةِ الـسَّـيْـرِ يُـزَجَّـى وَاجِـفَـا[٦]

---

(١) والروافضِ: الواو واو القسم. والروافض من الجمال: الإبل التي تحمل الحجيج. والجمع: علم على المزدلفة. ومحطمهن: من الحطم يعني الازدحام. والحجون: جبل بأعلى مكة (معجم البلدان ٢/ ٢٢٥).

(٢) الحول: القوّة. وكموني: استتاري لمفاجأة عدوّي.

(٣) القراصف: المسرع.

(٤) لا ينفده: لا يكمله، لا يستطيع إجازته.

(٥) الخُوص: جمع الخوصاء: الناقة التي غارت عينها. ورُجَّفاً: مهتزّة.

(٦) الرِّباعي: من ربعت الإبل إذا سرحت في المرعى. والعُتّارف: الشديدة القوية. ويُزَجّى: يُسَاق والواجف: المسرع.

قال: فأدركه صخر، وهو في ذلك، فقال له: يابن الخبيثة أتجترىء على أن تنفد بيتاً أعياني؟ فقاتله، فضربه، حتى نزلنا، ففرقنا بينهما.

صوت

[الطويل]

إذا سَـرَّهَـا أَمْـرٌ وفـيـه مَـسَـاءتـي　　قَضَيْتُ لها فِيمَا تُحِبُّ على نَفْسِي
ومَـا مَـرَّ يَـوْمٌ أرْتَـجِـي مـنـه رَاحَـةً　　فَـأذْكـره إلاَّ بَـكَـيـتُ عـلـى أمْـسِـي

الشعر لأبي حفصٍ الشَّطرنجيّ، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

أخبار أبي حفص الشِّطرنجيّ ونسبه

[اسمه ونشأته وانقطاعه إلى عُلَيَة بنت المهدي]

أبو حفص عمر بن عبد العزيز، مولى بني العباس، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسماً أعجمياً، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غَيَّرَهُ وسَمَّاه عبد العزيز.

أخبرني بذلك عَمِّي، عن أحمد بن الطيِّب، عن جماعة من موالي المهدي. ونشأ أبو حفص في دار المهديّ ومع أولاد مواليه، وكان كأحدِهم، وتأدَّب، وكان لاعباً بالشِّطرنج مشغوفاً به، فَلُقِّب به لغلَبته عليه.

فلمّا مات المهدي انقطع إلى عُليَّة، وخرج معها لمّا زُوِّجَتْ، وعاد معها لمّا عادت إلى القصر، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء، فَتنتحِل بعض ذلك، وتترك بعضه، ومما ينسب إليها من شعره ولها فيه غناء، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارها:

تَـحَـبَّـبْ فَـإِنَّ الـحُـبَّ دَاعِـيَـةُ الـحُـبِّ

وهو صوت مشهور لها.

حَدَّثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حَدَّثني أحمد بن الطيب السَّرخَسِي قال: حدثني الكنديّ، عن محمد بن الجهم البرمكيّ، قال: رأيت أبا حفص الشّطرنجيّ الشَّاعر، فرأيت منه إنساناً يُلهيك حضورُه عن كلِّ غائب وتُسليك مجالستُه عن هموم المصائب، قُرْبُهُ عُرْسٌ، وحديثُه أُنْسٌ، جِدُّه لَعِبٌ، ولَعِبه جِدٌّ، دَيِّنٌ مَاجدٌ، إن لَبِسْتَهُ على ظاهره لَبِسْتَ مموموقاً[1] لا تملّه، وإن تتبَّعتَه لِتَستبطِنَ

(١) الموموق: المحبوب.

خبرتَه وقفتَ على مُرُوَّة[١] لا تطير الفواحشُ بِجَنَبَاتها، وكان فيما علمته أقل ما فيه الشعر، وهو الذي يقول:

صوت [الطويل]

تـحبَّـبْ فَـإنَّ الـحُـبَّ دَاعِـيَـةُ الـحُـبِّ وكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبِ القُرْبِ
إذا لـم يَكُنْ في الحُبِّ عَتْبٌ ولا رِضاً فَأيـنَ حَلاواتُ الرَّسَائِلِ والكُتْبِ؟
تَـفَـكَّـرْ فَـإنْ حُـدِّثْـتَ أَنَّ أَخَـا هَـوًى نَجا سَالِماً فَارْجُ النَّجَاةَ مِنَ الكَرْبِ
وأَطْيَـبُ أيَّـامِ الـهَـوَى يَـوْمُـكَ الَّـذِي تُرَوَّعُ بِالتَّحْرِيشِ فيه وبالعَتْبِ[٢]

قال: وفي هذه الأبيات غناء لعُلَيَّةَ بنتِ المهديّ، وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها، فيقولها، وتغنّي فيها. قال: وأنشدني لأبي حفص أيضاً:

صوت [الخفيف]

عَـرِّضَـنْ لِـلَّـذي تُـحِـبُّ بِـحُـبٍّ ثـمَّ دَعْـهُ يَـرُوضُـهُ إبْـلِـيسُ
فَـلَـعَـلَّ الـزَّمَـانَ يُـدْنِـيـكَ مِـنْـهُ إنَّ هـذا الـهَـوَى جَـلِـيـلٌ نَـفِـيسُ
صَـابِـرِ الـحُـبَّ لا يُـصَـرِّفْـكَ فـيـه مِـنْ حَـبـيـبٍ تَـجَـهُّـمٌ وعُـبُـوسُ
وأَقِـلَّ الـلَّـجَـاجَ واصْبِرْ علـى الجهـ ـدِ فـإنَّ الـهَـوَى نَـعِـيـمٌ وبُـوسُ[٣]

في هذه الأبيات للمَسْدُودِ هزج ذكره لي جحظة وغيرُه عنه. وأمّا قوله:

تَـحَـبَّـبْ فـإنَّ الـحُـبَّ دَاعِـيَـةُ الـحُـبِّ

فقد مضت نسبته في أخبار عُلَيَّة.

[ردّه على رسالة للرشيد على لسان ماردة]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان، قال:

---

(١) المروّة: تخفيف: المروءة.
(٢) التحريش: المداعبة والملاحاة بين المحبّين.
(٣) بوس: بؤس مخفّفة.

حدّثني أبو العباس الكاتب قال: كان الرشيد يحبّ ماردةَ جاريتَه، وكان خَلَّفها بالرَّقَّة، فلمَّا قدمَ إلى مدينة السَّلام[1] اشتاقها، فكتب إليها:

صوت

[المتقارب]

سَلامٌ على النَّازِحِ المُغْتَرِبْ ... تَحِيَّةَ صَبٍّ به مُكْتَئِبْ[2]
غَزَالٌ مَرَاتِعُهُ بِالبَلِيخِ ... إلى دَيْرِ زَكَّى فَقَصْرِ الخَشَبْ[3]
أَيَا مَنْ أَعَانَ على نَفْسِهِ ... بِتَخْلِيفِه طَائِعاً مَنْ أَحَبْ
سَأَسْتُرُ والسَّتْرُ مِنْ شِيمَتِي ... هَوَى مَنْ أُحِبُّ بِمَنْ لا أُحِبْ

فلمّا ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشِّطرنجيّ صاحب عُلَيَّةَ، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات، فقال: [المتقارب]

أَتَانِي كِتَابُكَ يَا سَيِّدي ... وفيه العَجَائِبُ كُلّ العَجَبْ
أَتَزْعُمُ أَنَّكَ لي عَاشِقٌ ... وأَنَّكَ بي مُسْتَهَامٌ وصَبْ
فلو كانَ هذا كذا لم تَكُنْ ... لِتتركَنِي نُهْزَةً لِلكُرَبْ[4]
وأنتَ بِبَغْدَادَ تَرْعَى بها ... نَبَاتَ اللَّذَاذَةِ مَعْ مَنْ تُحِبْ
فيَا مَنْ جَفَاني ولم أَجْفُهُ ... ويا مَنْ شَجَانِي بِمَا في الكُتُبْ
كِتَابُكَ قد زَادَنِي صَبْوَةً ... وأَسْعَرَ قَلْبِي بِحَرِّ اللَّهَبْ
فهَبْنِي نَعَمْ قد كَتَمْتُ الهَوَى ... فكيفَ بِكِتْمَانِ دَمْعٍ سَرَبْ
ولولا اتِّقَاؤُكَ يا سَيِّدِي ... لَوَافَتْكَ بي النَّاجِيَاتُ النُّجُبْ[5]

فلمّا قرأ الرشيد كتابها أنفذَ من وقته خادماً على البريد، حتى حَدَرَها[6] إلى بغداد في الفرات، وأمر المغنّين جميعاً، فغَنَّوْا في شعره.

قال الأصبهاني: فمِمَّنْ غَنَّى فيه إبراهيم الموصليّ؛ غنّى فيه لحنَيْنِ، أحدهما

---

(١) مدينة السلام: بغداد.
(٢) النازح: البعيد. والصَّبّ: العاشق ذو الحبّ الشديد والاشتياق.
(٣) البليخ: اسم نهر بالرقّة (معجم البلدان ١/ ٤٩٣). ودير زَكّى: دير بالرّها على جنبيه نهر البليخ. (معجم البلدان ٢/ ٥١٢).
(٤) النُّهْزَة: الفرصة.
(٥) الناجيات: جميع الناجية: الناقة السريعة. والنُّجُب: جمع النجيبة: الناقة الأصيلة.
(٦) حَدَرها: استقدمها.

ماخوريّ، والآخر ثاني ثقيل عن الهشامي. وغَنّى يحيى بن سعد بن بكر بن صَغِير العين فيه رملاً. ولابن جامع فيه رمل بالبنصر، ولفليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى، وللمعلّى خفيف رمل بالوسطى، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى، ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر، هذه الحكايات كلها عن الهشامي، وقال: كان المختار في هذه الألحان كلها عند الرشيد الذي اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم.

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال: حَدَّثني محمد بن يزيد النحويّ، قال: حَدَّثني جماعة من كُتّاب السلطان، أنَّ الرشيد غضب على عُلَيَّة بنت المهدي، فأمرت أبا حفص الشِّطرنجيَّ شاعرَها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد، ويسألُه الرضا عنها، فيستعطفه لها فقال:

صوت

[البسيط]

لو كانَ يَمْنَعُ حُسْنُ العَقْلِ صَاحِبَهُ ... مِنْ أَنْ يكونَ له ذَنْبٌ إلى أَحَدِ
كانَتْ عُلَيَّةُ أَبْرَا النَّاسِ كُلِّهِمُ ... مِنْ أَنْ تُكَافَا بِسُوءِ آخِرَ الأَبَدِ
مالي إذا غِبْتُ لم أُذْكَرْ بِوَاجِدةٍ ... وإن سَقِمْتُ فطالَ السُّقْمُ لم أُعَدِ[1]
ما أَعْجَبَ الشَّيءَ تَرْجُوهُ فتُحْرَمُهُ ... قد كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قد مَلأْتُ يَدِي

فأتاها بالأبيات، فاستَحسَنتها، وَغَنَّت فيها، وألقت الغناء على جماعة من جواري الرَّشيد، فغنَّيْنَه إيّاه في أول مجلس فيه معهن، فطرِبَ طرَباً شديداً وسألهنَّ عن القِصّة فأخبرنه بها فبعث إليها فحضرت فقبَّل رأسَها واعتذرت فقَبِلَ عُذرَها. وسألها إعادةَ الصوت. فأعادته عليه، فبكى وقال: لا جرم أني لا أغضبُ أبداً عليك ما عِشْتُ.

[بيتان في دنانير بمئتي دينار]

حَدّثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حَدَّثنا الحسين بن يحيى، عن عمرو بن بانة، قال: دخل أبو حفص الشِّطرنجيّ على يحيى بن خالد، وعنده ابن جامع، وهو يلقي على دنانيرَ صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها، وقال لأبي حفص: قلْ في دنانير بيتين يُغَنّي فيهما ابنُ جامع، ولكَ بكلِّ بيت مائة دينار إن جاءت كما أريد، فقال أبو حفص:

(١) لم أُعدْ: لم أُزرْ.

صوت

[السريع]

أَشْبَهَكِ المِسكُ وأشْبَهْتِهِ قَائِمَةً فِي لَوْنِهِ قَاعِدَهْ
لا شَكَّ إذْ لَونُكُمَا وَاحِدٌ أنَّكُمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَهْ

قال: فأمر له يحيى بمائة دينار، وغَنَّى فيهما ابنُ جامع.

قال الأصبهاني: لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج.

[يعاتب أبا عيسى بن الرشيد لعدم زيارته له في مرضه]

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان أبو حفص الشِّطرنجيّ ينادم أبا عيسى بنَ الرشيدَ، ويقول له الشعر، فينتحله، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته، وكذلك بعُلَيَّة عَمّتهم، وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويَأْنسونَ به، فمرِضَ فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى فكتب إليه: [الطويل]

إخَاءُ أبي عِيسى إخَاءُ ابْنِ ضَرَّةٍ وَوُدِّيَ وُدٌّ لابْنِ أُمٍّ ووَالِدِ
أَلَمْ يَأْتِهِ أنَّ التَّأَدُّبَ نِسْبَةٌ تُلاصِقُ أهواءَ الرِّجَالِ الأبَاعِدِ
فمَا بَالُهُ مُسْتَعْذِباً مِنْ جَفَائِنَا مَوَارِدَ لم تَعْذُبْ لنا مِنْ مَوارِدِ
أقَمْتُ ثَلاثاً حِلْفَ حُمَّى مُضِرَّةٍ فلم أرَهُ في أهلِ وُدِّي وعَائِدِي[1]
سَلامٌ هي الدُّنْيَا قُروضٌ وإنَّما أخوكَ مُدِيمُ الوَصْلِ عند الشَّدَائِدِ[2]

حَدَّثني جعفر بن الحسين، قال: حدّثني ميمون بن هارون، قال: حَدَّثنا أبي عن أبي حفص الشِّطرنجي قال: قال لي الرشيد يوماً: يا حبيبي، لقد أحسنتَ ما شئتَ في بيتين قلتَهما، قلت: ما هما يا سيدي؟ فمِنْ شرفهما استحسانُك لهما، فقال: قولك:

صوت

[الكامل]

لم أَلْقَ ذا شَجَنٍ يَبُوحُ بِحُبِّهِ إلاَّ حَسِبْتُكِ ذلك المَحْبُوبَا

(١) حِلْفُ حمّى: ملازمُ حُمّى.
(٢) القروض: جمع القرض: الدَّيْن.

حَـذَراً عَـلـيـكِ وإنّـنـي بـكِ واثـقٌ ... ألاَّ يَـنَـالَ سِـوَايَ مـنـكِ نَـصِـيـبَـا

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ليسًا لي، هما للعباس بن الأحنف، فقال: صِدْقُك والله أعجبُ إليّ، وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول: [الطويل]

إذا سَـرَّهَـا أمْـرٌ وفـيـه مَـسَـاءَتِـي ... قَضَيْتُ لها فيما تُريدُ على نَفْسِي
ومـا مَـرَّ يـومٌ أرْتَـجِـي فـيـه رَاحَـةً ... فَـأذْكُـرَهُ إلاَّ بَـكَـيـتُ عـلـى أمْـسِـي

في البيتين الأولين اللذين للعباس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصلي، وفيهما لابن جامع رملٌ عن الهشامي، الروايتان جميعاً لعبد الرحمٰن، وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّس.

[رثاؤه نفسه قبل موته]

أخبرني محمد بن يحيى الصّولي، قال: حدّثني الحسين بن يحيى، قال: حدَّثني عبد الله بن الفضل، قال: دخلت على أبي حفص الشّطرنجي شاعِر عُلَيّة بنتِ المهديّ أعوده في علَّتِهِ التي مات فيها، قال: فجلست عنده فأنشدني لنفسه:

صوت [المتقارب]

نَعَى لـكَ ظِـلَّ الـشَّـبَـابِ الـمَـشِـيـبُ ... ونَـادَتْـكَ بـاسْـمِ سِـواكَ الـخُـطُـوبُ
فـكُـنْ مُـسْـتَـعِـدّاً لِـدَاعـي الـفَـنَـاءِ ... فـإنَّ الَّـذي هُـوَ آتٍ قَـرِيـبُ
أَلَـسْـنَـا نَـرى شَـهَـوَاتِ الـنُّـفـو ... سِ تَـفْـنَـى وتَـبْـقَـى عـلـيـهـا الـذُّنُـوبُ
وقَـبْـلَـكَ دَاوَى الـمَـرِيـضَ الـطَّـبِـيـبُ ... فـعَـاشَ الـمَـرِيـضُ ومَـاتَ الـطَّـبِـيـبُ
يـخَـافُ عـلـى نَـفْـسِـهِ مَـن يَـتُـوبُ ... فـكـيـفَ تَـرَى حـالَ مَـنْ لا يَـتُـوبُ؟

غَنَّى في الأول والثاني إبراهيم هزجاً.

انقضت أخباره.

صوت

أَبَـى لَـيْـلِـيَ أنْ يَـذْهَـبْ ... ونِـيـطَ الـطَّـرْفُ بِـالـكَـوْكَـبْ[1]

(١) نيطَ الطَّرْف: تعَلَّق.

وَنَجْمٍ دُونَهُ النَّسْرَا نِ بينَ الدَّلْوِ والعَقْرَبْ[١]
وهذا الصُّبْحُ لا يَأتي ولا يَدْنُو ولا يَقْرُبْ

الشعر لأميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى.

[دِمَن المغنّية تسرق لحناً من إسحاق وهو سكران]

أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحويّ، قالا: حَدَّثنا محمد بن حماد، قال: التقيتُ مع دِمَنَ جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً، فقلت لها: أسمعيني شيئاً أخذْتِه من إسحاق، فقالت: والله ما أَحَدٌ من جواريه أخذ منه صوتاً قَطّ ولا ألقى علينا شيئاً قطّ وإنما كان يأمر من أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلّويه ووجه القرعة الخزاعيّ وجواري الحارث بن بسخنّر أن يلقوا علينا ما يختارون من أغانيهم، وأما عنه فما أخذت شيئاً قطّ إلاّ ليلةً، فإنّه انصرفَ من عند المعتصم، وهو سكران، فقال للخادم القَيِّم على حُرَمه: جِئني بِدِمَن، فجاءني الخادم فدعاني فخرجت معه، فإذا هو في البيت الذي ينام فيه، وهو يصنع في هذا الشعر:

أَبَى لَيْلِيَ أنْ يَذْهَبْ ونِيطَ الطَّرْفُ بِالكَوكَبْ

وهو يتزايدُ فيه، ويقوّمه، حتى استوى له، ثم قام إلى عُودٍ مُصْلَحٍ مُعَلَّقٍ كان يكون في بيت منامه فأخذه فغنّى الصوت حتى صحَّ له واستقام عليه وأخذته عنه فلمَّا فرغ منه قال: أين دِمَن؟ فقلت: هو ذا أنا ها هنا، فارتاع وقال: مُذْ كَمْ أنتِ هاهنا؟ قلت: مذْ بَدَأْتَ بالصَّوت وقد أخذته بغير حَمْدِكَ، فقال: خذي العود فغنّيه فأخذته فغنّيتُه حتى فرغتُ منه، وهو يكاد أن يتميّز غيظاً، ثم قال: قد بَقِيَ عليكِ فيه شيء كثير، وأنا أُصلحه لك، فقلت: أنا مستغنية عن إصلاحك، فأصلِحْهُ لِنفسك، فاضطجع في فراشه ونام، وانصرفت، فمكث أياماً إذا رآني قطّب وجهه.

وهذا الشعر تقوله أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به من قُتِلَ في حروب الفِجار من قريش.

(١) النَّسْرَان: كوكبان هما: النَّسْر الطائر والنَّسر الواقع. والدَّلو والعقرب: برجان من أبراج السماء.

ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ ونسب أُميمة بنت عبد شمس

[نسب أميمة]

أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، وأُمّها تفخَر بنت عبيد بن رواس بن كلاب، وكانت عند حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السّلميّ، فولدت له أُميّةَ بنَ حارثة. وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أعوام متواليات، ولم يكنْ لِقريش في أولها مَدْخَل، ثم التحقتْ بها. فأمَّا الفِجَار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام، ولم تُسَمَّ باسم لشهرتها.

وأما الفِجار الثّاني فإنه كان أعظمهما؛ لأنهم استحلّوا فيه الحرم، وكانت أيامه يوم نخلة[1]، وهو الذي لم يَشْهَدْه رسولُ اللهﷺ منها، وشهد سائرها، وكان الرُّؤساء فيه حرب بن أُمية في القلب، وعبدَ الله بن جُدْعان، وهشام بن الْمُغيرة في المَجْنَبَتَيْن، ثم يوم شَمْطة، ثم يوم العبلاء، ثم يوم عكاظ، ثم يوم الحرّة[2].

[أول أيّام الفجار الأول]

قال أبو عبيدة: كان أول أمر الفِجار أنّ بَدْرَ بن معشر الغِفاريّ أحد بني غِفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بِمَنعَتِه

(١) نخلة: موضع بالحجاز قريب من مكة (معجم البلدان ٥/ ٢٧٧).

(٢) ذكر أبو عبيدة أنه كان في عُكاظ أربعة أيام: يوم شمطة ويوم العبلاء ويوم شَرْب ويوم الحُرَيرة، وهي كلّها من عكاظ. فشمطة من عُكاظ: هو الموضع الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بني كنانة بعد يوم نخلة. ثم التقوا بالعبلاء إلى جنب عُكاظ فهو يوم العبلاء، ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة بشرْب وشرب من عكاظ وكان من أعظم أيّامهم. ثم التقوا بالحُريرة وهي حَرّة إلى جنب عكاظ مما يلي مهبّ جَنوبها (معجم ما استعجم ٩٥٩).

على مَنْ وردَ عُكاظ، فَاتّخذَ مجلساً بسوق عكاظ، وقعد فيه وجعل يَبذخ(١) على الناس ويقول: [الرجز]

نـحـنُ بَـنُـو مُـدْرِكَـةَ بـنِ خِـنْـدِف ... مَن يَطْعَنُوا في عَيْنِهِ لا يَطْرِف
ومَـنْ يـكـونـوا قَـومَـهُ يُـغَـطْـرِف ... كَـأَنَّـهـم لُـجَّـةُ بَـحْـرِ مُـسْـدِف(٢)

وبدر بن معشر باسطٌ رجليه يقول: أنا أعزّ العرب، فمَنْ زعم أنه أعزّ مني فليضربْ هذه(٣) بالسَّيف، فهو أعزّ مني، فوثبَ رجل من بني نصر بن معاوية، يقال له الأحمر بن مازن بن أوس بن النّابغة، فضربه بالسيف على ركبته، فأنْدَرَها(٤) ثم قال: خُذْهَا إليكَ أيُّها المُخَنْدِف، وهو ماسكٌ سيفه، وقام أيضاً رجل من هَوازِنَ، فقال: [الرجز]

أَنَـا ابْـنُ هَـمْـدَانَ ذَوِي الـتَّـغَـطْـرُفِ ... بَـحْـرُ بُـحـورٍ زَاخِـرٌ لـم يُـنْـزَفِ
نـحـن ضَـرَبْـنـا رُكْـبَـةَ الـمُـخَـنْـدِفِ ... إذ مَـدَّهـا فـي أَشْـهُـرِ الـمُـعَـرَّفِ(٥)

وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها.

[ثاني أيّام الفجار الأول]

ثم كان اليوم الثاني من أيام الفِجار الأول، وكان السبب في ذلك أن شباباً من قريش وبني كنانة كانوا ذوي غرام، فرأوا امرأة من بني عامرٍ جميلةً وسيمةً، وهي جالسة بسوق عكاظ في درعٍ وهي فُضُل(٦)، عليها برقعٌ لها، وقد اكتنفها شباب من العرب، وهي تحدّثهم، فجاء الشباب من بني كنانة وقُريش، فأطافوا بها، وسألوها أن تُسفِرَ فأبَتْ، فقام أحدهم فجلس خلفها، وحلَّ طرفَ رِدائها. وشَدَّهُ إلى فوق حُجْزتها(٧) بشوكة، وهي لا تعلمُ، فلمّا قامت انكشفَ دِرعها عن دبرها، فضحكوا وقالوا: مَنَعْتِنَا النظر إلى وجهك، وجُدْتِ لنا بالنظر إلى دبرك،

(١) يبذخ: يتفاخر ويغالي في التفاخر.
(٢) يغطرف: من الغطرفة بمعنى التّيه والخيلاء. والمسدف: المظلم.
(٣) هذه: أي رجليه.
(٤) أندرها: أسقطها وفصلها.
(٥) أشهر المُعَرَّف: أشهر الوقوف على عرفات.
(٦) امرأة فُضُل: متفضّلة في ثوبها، أي تلبس الثوب الذي يُبتذل في الشغل أو للنوم.
(٧) الحُجزَة: موضع شَدّ الإزار من الوسط.

فنادت: يا آل عامر! فثاروا، وحملوا السّلاَح، وحملته كِنانة، واقتتلوا قتالاً شديداً، ووقعت بينهم دماء، فتوسط حربُ بنُ أمية، واحتمل دماءَ القوم، وأَرْضَى بني عامر من مَثُلَةِ[1] صاحبتهم.

[ثالث أيام الفجار الأول]

ثم كان اليوم الثالث من الفِجار الأول، وكان سبَبَه أنَّه كان لرجل من بني جُشَم بن بكر بن هوازن دَيْن على رجل من بني كنانة فلواه به[2]، وطال اقتضاؤه إياه، فلم يُعْطِهِ شَيْئاً، فلمَّا أعياهُ وافاه الجشميّ في سوق عكاظ بقِرْدٍ، ثم جعل ينادي: من يبيعني مثل هذا الرُّبَّاح[3] بما لِي على فلان بن فلان الكنانيّ؟ مَنْ يعطيني مثل هذا بما لِي على فلان بنِ فلان الكناني؟ رافعاً صوته بذلك، فلمَّا طال نداؤه بذلك وتعييرُه به كنانَة مَرَّ به رجلٌ منهم، فضربَ القِرْدَ بسيفه فقتله، فهتف به الجشميّ: يا آلَ هوازنَ، وهتف الكنانيّ: يا آل كنانة، فتجمع الحيان فاقتتلوا حتى تحاجزوا، ولم يكن بينهم قتلَى، ثم كفوا وقالوا: أفي رُبَّاحٍ تريقون دماءكم وتقتلون أنفسكم؟ وحمل ابنُ جُدْعانَ ذلك في ماله بين الفريقين.

[أوّل أيام الفجار الثاني]

قال: ثم كان يوم الفِجار الثَّاني، وأوّل يوم حروبه يوم نخلة، وبينه وبين مبعث النبيّ ﷺ ست وعشرون سنة، وشهد النبيُّ ﷺ ذلك اليوم مع قومه، وله أربعَ عشرةَ سنةً، وكان يناول عمومتَه النَّبْلَ، هذا قول أبي عبيدة. وقال غيره: بل شَهِدَها، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة.

قال أبو عبيدة: كان الَّذي هاج هذه الحرب يومَ الفجار الآخَر، أن البرّاض بن قيس بن رافع، أحَد بني ضَمْرةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكّيراً فاسقاً، خلعه قومُه وتبرّأوا منه فشرب في بني الدِّيل، فخلعوه فأتى مكة، وأتى قريشاً، فنزل على حرب بن أمية، فحالفه فأحسن حَرْبٌ جِواره، وشرب بمكة حتى هَمّ حربٌ أن يخلَعه، فقال لحرب: إنه لم يبقَ أحدٌ ممن يعرفني إلاّ خلعني سواك، وإنك إن

(١) المَثُلَة: التنكيل والتمثيل.

(٢) لواه: ماطله.

(٣) الرُّبّاح: ذكر القرد.

خلعتني لم ينظرْ إليَّ أحدٌ بعدكَ، فدعني على خِلْفِك وأنا خارجٌ عنك، فتركه وخرج، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة.

وكان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة[١] يُجِيزُها له سيّدُ مُضر، فتباع ويُشترى له بثمنها الأَدَمُ والحريرُ والوكاءُ[٢] والحِذَاءُ والبرُودُ من العَصب والوَشْي والمُسَيَّر والعَدَني[٣]، وكانت سوق عُكاظ في أول ذي القعدة، فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى إلى حضور الحجّ، وكان قيامها فيما بين النخلة والطَّائف عشرة أميال، وبها نخلٍ وأموال لثقيف، فجهّزَ النعمان لطيمة له، وقال: مَنْ يجيزها؟ فقال البَرّاض: أنا أُجيزها على بني كِنانة، فقال النعمان: إنما أُريد رجلاً يجيزها على أهل نجد، فقال عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، وهو يومئذٍ رجل من هوازن: أنا أُجيزها أبيت اللَّعْنَ. فقال له البرّاض: مِنْ بني كنانة تجيزها يا عروة؟ قال: نعم، وعلى الناس جميعاً أفَكَلْبٌ خليع يُجيزها!.

قال: ثم شخصَ بها، وشخصَ البرّاضُ، وعروة يرى مكانه، لا يخشاه على ما صنع، حتى إذا كان بين ظَهْرَيْ غطفان إلى جانب فَدَك، بأرض يقال لها أُوَارَةُ قريب من الوادي الذي يقال له تَيْمَنُ نام عروة في ظلّ شجرة، ووجد البرّاضُ غَفْلَتَهُ، فقتله وهربَ في عضاريط[٤] الرّكاب، فاستاق الرّكاب، وقال البرّاض في ذلك: [الوافر]

وَدَاهِيَةٍ يُهَالُ النَّاسُ مِنْهَا ... شَدَدْتُ لها بَنِي بَكْرٍ ضُلوعي[٥]
هَتَكْتُ بها بُيوتَ بَنِي كلابٍ ... وأرْضَعْتُ المَوالي بالضُّرُوعِ
جَمَعْتُ لها يَدَيَّ بِنَصْلِ سَيْفٍ ... أفَلَّ فَخَرَّ كالجِذْعِ الصَّرِيعِ[٦]

وقال أيضاً في ذلك: [الطويل]

نَقَمْتُ على المَرْءِ الكلابيِّ فَخْرَهُ ... وكنتُ قَدِيماً لا أُقِرُّ فَخَارا
عَلَوْتُ بِحَدِّ السَّيْفِ مَفْرِقَ رَأْسِهِ ... فأسمعَ أهْلَ الوَادِيَيْنِ خُوَارَا

(١) اللَّطيمة: عير تحمل المسك والثياب وغيرهما للتجارة.
(٢) الوِكاء: رباط القربة ونحوها.
(٣) المُسَيَّر: ثوب به خطوط من القزّ والحرير وغيرها. والعَدَنيّ: كل ما ينسب إلى عدن.
(٤) العضاريط: جمع العضروط: الخادم.
(٥) بني بكر: منادى، يريد: يا بني بكر.
(٦) لها: أي للداهية. وسيفٌ أَفَلّ: فيه فلول من كثرة الصراع.

قال: وأُمُّ عروة الرحّال نُفَيْرَةُ بنت أبي ربيعة بن نُهَيْكِ بن هلال بن عامر بن صعصعة، فقال لبيد بن ربيعة يحضُّ على الطلب بدمه: [الوافر]

فَأَبْلِغْ إنْ عَرَضْتَ بَنِي نُمَيْرٍ ... وأَخْوَالَ القَتِيلِ بَنِي هلالِ
بِأَنَّ الوَافِدَ الرَّحَّالَ أَضْحَى ... مُقِيماً عِنْدَ تَيْمَنَ ذِي الظِّلالِ

قال أبو عبيدة: فحدّثني أبو عمرو بن العلاء، قال: لَقِيَ البَرَّاضُ بشرَ بن أبي خازم، فقال له: هذه القَلائِصُ لكَ على أن تأتي حربَ بن أميّة وعبد الله بن جُدْعانَ وهِشاماً والوليد ابني المغيرة، فتخبرَهم أن البرّاض قتل عروة، فإنّي أخاف إن سبقَ الخبرُ إلى قيس أن يكتموه حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً. فقال له: وَما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل؟ قال: إنّ هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بني ضَمْرَةَ. قال: ومرّ بهما الحُلَيْس بنُ يزيدَ أحدُ بني الحارث بن عبد مناة بن كِنانة، وهو يومئذٍ سيدُ الأحابيش من بني كنانة. والأحابيشُ[1] من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نُفاثة بن الدِّيل، وبنو لحيان من خزاعة، والقارة، وهو أثيع بن الهون بن خزيمة، وعَضَل بن دَمَس بن مُحَلِّم بن عائذ بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة، فقال لهم الحليس: ما لي أراكم نَجِيّاً[2]؟ فأخبروه الخبر، ثم ارتحلوا، وكتموا الخبر على اتفاق منهم.

قال: وكانت العرب إذا قدمت عُكاظ دفعتْ أسلحتها إلى ابن جُدعان، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجّهم ثم يَرُدُّها عليهم إذا ظعنوا، وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال. فجاءه القوم، فأخبروه خبر البرّاض وقتلِه عُروةَ، وأخبروا حربَ بن أُمية وهشاماً والوليد ابني المغيرة، فجاء حرب إلى عبد الله بن جُدْعان، فقال له: احتبس قبلَك سلاح هوازن، فقال له ابنُ جُدعان: أبا الغَدْرِ تأمرني يا حرب؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيفٌ إلا ضُرِبتُ به، ولا رمحٌ إلاَّ طُعِنتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً، ولكن لكم مائة درع، ومائة رمح، ومائة سيف في مالي تستعينون بها، ثم صاح ابنُ جُدْعان في الناس: مَن كان له قِبَلِي سلاحٌ فليأتِ وليأخذه، فأخذ الناس أسلحتهم.

(١) الأحابيش: نسبة إلى حبيش وهو جبل معروف (معجم البلدان ٢/ ٢١٤). وسُمُّوا بذلك لأنهم تحالفوا أن يكونوا يداً واحدة على غيرهم ما أقام حبيش.

(٢) نَجِيّاً: متناجين.

وبعث ابنُ جُدعان وحربُ بن أُميَّة وهشامٌ والوليدُ إلى أبي بَراء: إنه قد كان بعد خروجنا حرب، وقد خِفْنَا تَفَاقُمَ الأمرِ، فلا تُنكروا خروجنا، وساروا راجعين إلى مكَّة، فلمّا كان آخرَ النّهار بلغ أبا براء قتلُ البرّاض عُرْوَة، فقال: خدعني حربٌ وابنُ جُدعان، وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم، فأدركوهم بنخلة، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم، وجنّ عليهم اللَّيل، فكفّوا، ونادى الأَدْرَمُ بن شعيب، أَحَدُ بني عامر بن ربيعة بن صعصعة: يا معشرَ قريش، ميعادُ ما بيننا هذه اللَّيلة من العام المقبل بعكاظ، وكان يومئذٍ رؤساء قريش حربُ بن أميَّة في القلب، وابنُ جُدعان في إحدى المجنبتين، وهشامُ بنُ المغيرة في الأُخرى، وكان رؤساء قيس عامرُ بن مالك، ملاعبُ الأسِنَّة على بني عامر، وكدّامُ بن عُمير على فَهم وعدوان، ومسعودُ بن سهم على ثقيف، وسُبيعُ بن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية، والصِّمَّةُ بن الحارث، وهو أبو دُرَيْدٍ بن الصمة على بني جُشَم، وكانت الراية مع حرب بن أميَّة، وهي راية قُصَيّ التي يقال لها العُقاب.

فقال في ذلك خِدَاش بن زهير: [البسيط]

يـا شَـدَّةً مـا شَـدَدْنـا غَـيْـرَ كَـاذِبَـةٍ ... على سَخِينَةَ لولا اللَّيْلُ والحَرَمُ[1]

إذ يَـتَّـقِـيـنَـا هِـشَـامٌ بِـالـوَلـيـدِ ولـو ... أَنَّا ثَقِفْنَا هِشَاماً شَالَتِ الخَدَمُ[2]

بـيـن الأراكِ وبـيـن الـمَـرْجِ تَـبْـطَـحُـهُـمْ ... زُرْقُ الأسِـنَّـةِ فـي أطرافِـهـا الـشُّـهُـمُ

فـإن سَـمِـعْـتُـمْ بِـجَـيْـشٍ سَـالِـكٍ سَـرِفـاً ... وبَطْنَ مُرٍّ فأَخْفُوا الجَرْسَ واكْتَتِمُوا[3]

وزعموا أن عبد الملك بن مروان استنشد رجلاً من قيس هذه الكلمة، فجعل يحيد عن قوله: «سخينة»، فقال عبد الملك: إنا قوم لم يَزَلْ يعجبنا السُّخْن، فهات، فلمّا فرغَ قال: يا أخا قيس، ما أرى صاحبَك زاد على التمنّي والاستنشاء.

قال: وقَدِمَ البَرَّاضُ باللَّطيمة مَكَّة، وكان يأكُلُها، وكان عامر بنُ يزيدَ بن الملوَّح بن يعمُرَ الكِنانيُّ نازلاً في أخواله من بني نُمَيْر بن عامر، وكان ناكحاً فيهم، فهمت بنو كلاب بقتله، فمنعته بنو نمير، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه،

(١) سخينة: لقب يُطلق على قريش لطعام كانوا يتناولونه يُسَمّى بهذا الأسم.

(٢) ثقفنا: أدركنا. وشالت: ارتفعتِ. والخَدَم: جمع خدَمة: الحلقة المحكمة. وشالت الخدم: كناية عن الهزيمة.

(٣) سرف: موضع على ستة أميال من مكة. وبطن مر: من نواحي مكة.

واستَغْوَتْ[1] كِنانةُ بني أسد وبني نمير واستغاثوا بهم فلم تغثهم. ولم يشهد الفِجارَ أحدٌ من هذين الحَيَّيْنِ.

[ثاني أيام الفجار الثاني]

ثم كان اليوم الثاني من الفِجار الثاني؛ وهو يوم شمطة، فتجمَّعَتْ كنانة وقريش بأسْرِهَا وبنو عبد مناة، والأحابيش، وأعطت قريشٌ رُؤُوس القبائل أسحلةً تامّة وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامّة وأداة، وجَمعَتْ هوازن وخرجت، فلم تخرج معهم كلابٌ ولا كعبٌ، ولا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يَوم نخلة مع أبي براءٍ عامرِ بن مالك، وكان القوم جميعاً متساندين، على كل قبيلة سيِّدُهم.

فكان على بني هاشم وبني المطّلب وَلَفِّهم الزُّبيرُ بن عبد المطلب، ومعهم النبيّ ﷺ، إلاَّ أَنَّ بَنِي المطّلب ـ وإن كانوا مع بني هاشم ـ كان يرأسهم الزُّبيرُ بن عبد المطلب بن هاشم ورجل منهم، وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وأم الزّبير الشَّفَّاء بنت هاشم بن عبد مناف، وكان على بني عبد شمس ولِفِّها حربُ بن أمية ومعه أخواه أبو سَفِين وسفيان، ومعهم بنو نوفل بن عبد مناف يرأسهم بعد حرب مُطعمُ بن عديّ بن نوفل وكان على بني عبد الدار ولفّها خويلدُ بن أسد وعثمان بن الحويرث، وكان على بني زُهرةَ ولفّها مَخْرمةُ بنُ نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان، وكان على بني تيم بن مرة ولفّها عبدُ الله بنُ جُدْعان، وعلى بني مخزوم هشامُ بن المغيرة، وعلى بني سَهم العاصي بن وائل، وعلى بني جُمَح ولِفّها أميَّةُ بن خلف، وعلى بني عديٍّ زيدُ بن عمرو بن نفيل، والخطابُ بن نفيل عمّه، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ أبو سَهْلِ بن عمرو، وعلى بني الحارث بن فِهْر عبدُ الله بن الجَرّاح أبو أبي عبيدة عامر بنِ عبد الله بن الجراح، وعلى بني بكر بَلْعَاءُ بن قيس، ومات في تلك الأيام، وكان جثَّامة بن قيس أخوه مكانَه، وعلى الأحابيش الحُلَيسُ بن يزيد.

وكانت هوازن متساندين كذلك، وكان عطيّةُ بن عفيف النَّصْريّ على بني نصر بن معاوية، وقيل: بل كان عليهم أبو أسماء بن الضّريبة، وكان الخُنيسق الجشمي

---

(١) استغوت: أضلّتْ وأغرت.

على بني جُشم وسعدٍ ابني بكر، وكان وهب بن مُعَتب على ثقيف، ومعه أخوه مسعود، وكان على بني عامر بن ربيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب سلمةُ بن إسماعيل، أحد بني البكّاء، ومعه خالد بن هوذَة، أحدُ بني الحارث بن ربيعة، وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعةُ بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نُهَيْك بن هلال بن عامر. قال: فسبقت هوازنُ قريشاً، فنزلت شَمْطة من عكاظ، وظنوا أن كنانة لم توافهم، وأقبلت قريش، فنزلت من دون المسيل، وجعل حربٌ بني كنانة في بطن الوادي، وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم، ولو أُبِيحَتْ[١] قريش. فكانت هوازن من وراء المسيل.

قال أبو عبيدة: فحدّثني أبو عمرو بنُ العلاء قال: كان ابن جُدعان في إحدى المجنبتين، وفي الأُخرى هشام بن المغيرة، وحرب في القَلْب، وكانت الدائرة في أوّل النهار لكنانة، فلما كان آخر النّهار تداعتْ[٢] هوازن، وصبروا واستَحَرَّ[٣] القتل في قريش، فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة ـ وهم في بطن الوادي ـ مالوا إلى قريش، وتركوا مكانهم، فلما استحرّ القتل بهم قال أبو مُساحق بلعاءُ بن قيس لقومه: الحقوا بِرَخَم ـ وهو جبل ـ ففعلوا، وانهزم الناس.

وكان رسول الله ﷺ لا يصيرُ في فئة إلاّ انهزَم مَنْ يُحَاذِيها[٤]، فقال حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان: ألاَ ترونَ إلى هذا الغلام ما يَحمِلُ على فئة إلاّ انهزمت؟

وفي ذلك يقول خِدَاشُ بن زهير في كلمة له: [الوافر]

فَأَبْلِغْ إنْ عَرَضْتَ بِنَا هِشَاماً ... وعَبْدَ الله أَبْلِغْ والوَلِيدَا
أولئكَ إنْ يَكُنْ في النَّاسِ خَيْرٌ ... فَإنَّ لَدَيْهِمُ حَسَباً وجُودَا
هُمُ خَيْرُ المَعَاشِرِ من قُرَيْشٍ ... وأَوْرَاهَا إذا قُدِحَتْ زُنُودَا
بِأَنَّا يَوْمَ شَمْطَةَ قد أَقَمْنَا ... عَمُودَ المَجْدِ إنَّ له عَمُودَا
جَلَبْنَا الخَيْلَ سَاهِمَةً إليهم ... عَوَابِسَ يَدَّرِعْنَ النَّقْعَ قُودَا[٥]

(١) أُبِيحَتْ: كُشِفت.
(٢) تداعت: دعا بعضُها بعضاً.
(٣) استحرّ: حَمِيَ واشتدّ.
(٤) يحاذيها: يقابلها.
(٥) الخيل الساهمة: الضامرة. والنقع: الغبار. والقُود: جمع الأقود: الفرس الطويل العنق والظهر.

فَبِتْنَا نَعْقِدُ السِّيَمَا وبَاتُوا وقُلْنَا: صَبِّحوا الأَنَسَ الحَدِيدا[١]
فجَاءوا عَارِضاً بَرداً وجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ في الغَابِ الوُقودا[٢]
ونَادوا: يا لَعَمْرٍو لا تَفِرُّوا فَقُلْنَا: لا فِرَارَ ولا صُدُودَا

قوله: نعقد السِّيما أي العلامات.

فَعَارَكْنا الكُمَاةَ وعَارَكُونا عِرَاكَ النُّمْرِ عَارَكَتِ الأُسودا[٣]
فوَلَّوْا نَضْرِبُ الهَامَاتِ منهم بما انْتَهَكُوا المَحَارِمَ والحُدُودا
تَرَكْنَا بَطْنَ شَمْطَةَ من عَلاءٍ كَأَنَّ خِلاَلَها مَعَزاً شَرِيدَا
ولم أَرَ مِثْلَهُمْ هُزِمُوا وفُلُّوا ولا كَذِيَادِنَا عَنَقاً مَذُودا[٤]

قوله: يا لعمرو، يعني عمرو بن عامرِ بنِ ربيعة بنِ عامرِ بن صعصعة.

[ثالث أيام الفجار ـ يوم العبلاء]

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفِجار، وهو يوم العَبْلاء، فجمع القوم بَعضُهم لبعض، والتقَوْا على قَرْن الحول بالعَبْلاء ـ وهو موضع قريب من عكاظ ـ ورؤساؤهم يومئذ على ما كانوا عليه يوم شَمْطةَ، وكذلك مَنْ كان على المجنَّبَتين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت كنانة، فقال خداشُ بن زهير في ذلك: [الوافر]

أَلَمْ يَبْلُغْكَ بالعَبْلاَءِ أَنَّا ضَرَبْنا خِنْدِفاً حَتَّى اسْتَقَادوا
نُبَنِّي بالمَنَازِلِ عِزَّ قَيْسٍ ووَدُّوا لو تَسِيخُ بِنَا البِلادُ[٥]

وقال أيضاً: [الوافر]

أَلَمْ يَبْلُغْكَ ما لاَقَتْ قُرَيْشٌ وحَيُّ بَنِي كِنَانَةَ إذ أُثِيرُوا
دَهَمْنَاهُمْ بِأَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ فَظَلَّ لَنَا بِعَقْوَتِهِمْ زَئِيرُ[٦]
نُقَوِّمُ مَارِنَ الخَطِّيِّ فِيهم يَجِيءُ على أَسِنَّتِنَا الجَزِيرُ[٧]

---

(١) الأَنَس: الجماعة الكثيرة من الناس. والحديد: السلاح.
(٢) العارض: السحاب الذي يعترض في الأفق فيسدّه. والبرد: ذو البَرَد.
(٣) الكماة: جمع الكَميّ: المحارب الشجاع.
(٤) فلّوا: انكسروا وانهزموا. والذّياد: الدفاع. والعنق: الجماعة من الناس.
(٥) تسيخ: تنخسف.
(٦) الجيش الأرعن: العظيم الجرّار. والعقوة: المكان المنفسح أمام المحلّة.
(٧) المارن: الصلب اللّدن.

[رابع أيام الفجار يوم عكاظ]

ثم كان اليوم الرابع من أيامهم، يوم عُكاظ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول، وقد جمع بعضُهم لبعض، واحتشدوا، والرؤساء بحالهم، وحمل عبد الله بن جُدعان يومئذٍ ألفَ رجل من بني كنانة على ألف بعير. وخَشِيت قريش أن يجريَ عليها مثلُ ما جرى يومَ العَبْلاء، فقيَّد حربٌ وسفيان وأبو سفيان بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم، وقالوا: لا نبرح حتى نموتَ مكاننا، وعلى أبي سفيان يومئذٍ دِرعانِ قد ظاهر بينهما، وزعم أبو عمرو بن العلاء أنّ أبا سفيان بن أمية خاصة قيَّد نفسه، فسُمِّي هؤلاء الثلاثةُ يومئذ: العَنَابس ـ وهي الأُسودُ واحدها عَنْبَسَةٌ ـ فاقتتل الناس يومئذ قتالاً شديداً، وثَبَت الفريقان، حتى همّت بنو بكر بن عبد مناةَ وسائرُ بطون كنانة بالهرب، وكانت بنو مخزوم تَلِي كِنانة، فحافظت حفاظاً شديداً، وكان أشدَّهم يومئذ بَنُو المغيرة، فإنهم صَبَرُوا، وأبلَوْا بلاءً حسناً، فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا فرجعوا وحمل بلعاءُ بن قيس وهو يقول: [الرجز]

إنَّ عُـكَـاظَ مَـأوَانَـا فَـخَـلُّـوهْ وذا الـمَـجَـازِ بَـعْـدَ أنْ تَـحُـلّـوهْ[1]

وخرج الحُلَيسُ بن يزيد، أحدُ بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ـ وهو رئيس الأحابيش يومئذ ـ فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثانُ بنُ سعد النصري، فطعنه الحدثان، فدقَّ عضده وتحاجزا.

واقتتل القوم قتالاً شديداً، وحَمَلت قريشٌ وكنانةُ على قيس من كل وجه، فانهزمت قيسٌ كلها إلا بني نصر فإنهم صبروا، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان، فلم يغنوا شيئاً فانهزموا، وكان عليهم سُبَيْعُ بن أبي ربيعةَ أحدُ بني دُهْمان، فعقَل نفسه ونادى: يا آلَ هَوازن، يا آل هَوازن، يا آل نصرا! فلم يعرجْ عليه أحد، وأجفلوا منهزمين، فكرّ بنو أمية خاصة في بني دُهمان ومعهم الخُنيسِقُ وقشعة الجشميَّانِ، فقاتلوا فلم يغنوا شيئاً، فانهزموا.

وكان مسعود بن مُعتِّب الثقفيّ قد ضرب على امرأته سبيعةَ بنتِ عبد شمس بن عبد مناف خِباءً، وقال لها: مَنْ دخله من قريش فهو آمن، فجعلت تُوصِلُ في خبائها لِيتّسعَ، فقال لها: لا يتجاوزني خباؤك فإني لا أُمضي لك إلاَّ مَنْ أحاط به الخباء،

---

(١) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة كانت تقام به سوق للشعر والتجارة (معجم البلدان ٥/ ٥٥).

فأحْفَظَها[١] فقالت: أما والله إني لأظُنُّ أنكَ ستودّ أن لو زِدتُ في توسعته. فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أميّة جيرانها، وقال لها: يا عَمَّة، مَنْ تمَسَّكَ بِأطناب خبائك، أو دار حولَه فهو آمنٌ. فنادت بذلك، فاستدارت قيس بخبائها، حتى كثروا جداً، فلم يبقَ أحدٌ لا نجاةَ عنده إلاّ دار بِخبائها فَقِيلَ لذلك الموضع: مَدارُ قَيْس، وكان يُضْرَبُ به المَثَلُ، فتغضب قيس منه، وكان زوجُها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس ـ وهو من ثقيف ـ قد أخرج معه يومئذٍ بنيه من سُبَيعة، وهم عروة ولوحة، ونُوَيْرَة، والأسود، فكانوا يدورون ـ وهم غلمان ـ في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أُمِّهم، ليجيروهم، فيسودوا، بذلك أمرتهم أمّهم أن يفعلوا.

فأخبرني الحرميّ والطوسيّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني محمد بن الحسن، عن المحرز بن جعفر وغيره، أنّ كِنانة وقيساً لما تَوافَوْا من العام المُقْبل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعودٌ الثقفيّ على امرأته سبيعة بنت عبد شمس أمِّ بنيه خباءً، فرآها تبكي حين تدانى النَّاس، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: لما يُصاب غداً من قومي، فقال لها: من دخل خباءك فهو آمن، فجعلت تُوصِل فيه القطعة بعد القطعة والخِرقَة والشيء ليتسع، فخرج وَهْب بن مُعتب حتى وقف عليها، وقال لها: لا يبقى طُنُبٌ من أطناب هذا البيت إلاّ ربطتُ به رجُلاً من بني كنانة. فلمّا صُفَّ القومُ بعضهم لبعض خرجت سبيعة فنادت بأعلى صوتها: إنَّ وَهْباً يأتلي[٢] ويحلفُ ألاَّ يبقى طُنُب من أطناب هذا البيت إلاَّ ربطَ به رجلاً من كِنانة، فالجدّ الجِدّا فلما هُزمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس، فأجارهم حَربُ بن أميّة.

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدّثنا أبو غسَّان دَمَاذ، عن أبي عبيدة، قال: لما هُزِمَتْ قيسٌ لجأت إلى خِباء سُبَيْعة، حتى أخرجوها منه، فخرجت فنادت: مَنْ تَعَلَّقَ بِطُنُبٍ من أطناب بيتي فهو آمنٌ في ذِمَّتي، فداروا بخبائها، حتى صاروا حلقةً، فأمضى ذلك كلَّه حربُ بن أمية لعمّته، فكان يضرب في الجاهلية بمدار قيس المَثَل، ويُعَيَّرُون بمدارهم يومئذ بخباء سُبَيْعة بنت عبد شمس قال: وقال ضرار بن

---

(١) أحفظها: أغضبها.

(٢) يأتلي: يتعهّد.

الخطاب الفهريّ قوله:

أَلَـمْ تَـسْـأَل الـنَّـاسَ عَـنْ شَـأْنِـنَـا ... ولـم يـثْـبِـتِ الأَمْـرَ كـالـخَـابِـرِ
غَـدَاةَ عُـكَـاظ إذ اسْـتَـكْـمَـلَـتْ ... هَـوَازِنُ فـي كَـفِّـهـا الـحَـاضِـرِ
وجَـاءَتْ سُـلَـيْـمٌ تَـهُـزُّ الـقَـنَـا ... عـلـى كُـلِّ سَـلْـهَـبَـةٍ ضَـامِـرِ[1]
وجِـئْـنـا إلـيـهـم عـلـى الـمُـضْـمَـرَاتِ ... بِـأَرْعَـنَ ذِي لَـجَـبٍ زَاخِـرِ[2]
فـلـمَّـا الْـتَـقَـيْـنَـا أَذَقْـنَـاهُـمُ ... طِـعَـانـاً بِـسُـمْـرِ الـقَـنَـا الـعَـائِـرِ[3]
فـفَـرَّتْ سُـلَـيْـمٌ ولـم يَـصْـبِـرُوا ... وطَـارَتْ شَـعَـاعـاً بَـنُـو عَـامِـرِ[4]
وفَـرَّتْ ثَـقِـيـفٌ إلـى لاَتِـهـا ... بِـمُـنْـقَـلَـبِ الـخَـائِـبِ الـخَـاسِـرِ[5]
وقَـاتَـلَـتِ الـعَـنْـسُ شَـطْـرَ الـنَّـهـا ... رِ ثُـمَّ تَـوَلَّـتْ مـع الـصَّـادِرِ[6]
عـلـى أَنَّ دُهْـمَـانَـهـا حَـافَـظَـتْ ... أَخِـيـراً لَـدَى دَارَةِ الـدَّائِـرِ

وقال خِداشُ بن زهير: [الطويل]

أَتَـتْـنَـا قُـرَيـشٌ حَـافِـلِـينَ بِـجَـمْـعِـهِـمْ ... عَـلـيهم مِنَ الرَّحْـمٰـنِ وَاقٍ ونَـاصِرُ
فـلـمَّـا دَنَـوْنَـا لِـلـقِـبَـابِ وأَهْـلِـهـا ... أُتِـيـحَ لـنـا رَيْـبٌ مع اللَّـيْـلِ نَـاجِـرُ[7]
أُتِـيـحَـتْ لـنـا بَـكْـرٌ وحَـوْلَ لِـوَائِـهـا ... كَـتَـائِـبُ يَـخْـشَـاها الـعَـزِيزُ الـمُـكَـاثِـرُ
جَـثَـتْ دُونَـهُـمْ بَـكْـرٌ فـلـم تَـسْـتَـطِـعْـهُـمْ ... كَـأَنَّـهُـمُ بِـالـمَـشْـرِفِـيَّـةِ سَـامِـرُ
ومـا بَـرِحَـتْ خَـيْـلٌ تَـثُـورُ وتُـدَّعـى ... ويَـلْـحَـقُ مِـنْـهُـمْ أَوَّلُـونَ وآخِـرُ
لَـدُنْ غُـدوةً حـتّـى أَتَـى وانْـجَـلَـى لـنـا ... عَـمَـايَـةُ يَـوم شَـرُّهُ مُـتَـظَـاهِـرُ[8]
ومـا زَالَ ذاكَ الـدَّأْبُ حَـتَّـى تَـخَـاذَلَـتْ ... هَـوَازِنُ وارْفَـضَّـتْ سُـلَـيـمٌ وعَـامِـرُ[9]
وكَـانَـتْ قُـرَيْـشٌ يَـفْـلِـقُ الـصَّـخْـرَ حَـدُّهـا ... إذا أَوهـنَ الـنَّـاسَ الـجُـدودُ الـعَـوَاثِـرُ[10]

---

(١) السّلهبة: الطويل من الخيل العظيم.
(٢) اللّجب: الضجيج.
(٣) العائر: الذي يصيب العينَ بالعور.
(٤) شَعاعاً: متفرّقةً منتشرة.
(٥) اللاّت: صنم بالطائف كانت ثقيف تعبده في الجاهلية.
(٦) العنس: إحدى القبائل المحاربة.
(٧) الناجر: الشديد الحرارة.
(٨) العَمَاية: الضلال والباطل، والغواية. وشرّه متظاهر: هجومه شديد.
(٩) ارفضّت: تفرّقت.
(١٠) الجدود: جمع الجدّ: الحظ.

[خامس أيام حرب الفجار يوم حريرة]

ثم كان اليوم الخامس، وهو يوم الحُرَيْرة، وهي حرَّةٌ إلى جانب عُكاظَ، والرُّؤساء بحالهم إلاّ بلعاءَ بن قيس؛ فإنه قد ماتَ فصار أخوه مكانه على عشيرته، فاقتتلوا، فانهزمت كنانةُ وقُتِل يومئذٍ أبُو سُفيانَ بنُ أميَّةَ وثمانيةُ رَهْطٍ من بني كنانة، قتلهم عُثمان بن أسدٍ من بني عمرو بن عامر بن ربيعة، وقتل ورقاءُ بنُ الحارث، أحدُ بني عمرو بن عامر من بني كنانة وخمسة نفر.

وقال خداش بن زهير، في ذلك: [البسيط]

لقد بَلَوْتُكُمْ فَأبْلَوْكُمْ بَلاءَهُمُ ... يَومَ الحُرَيْرَةِ ضَرْباً غَيْرَ تَكذِيبِ
إنْ تُوعِدُوني فَإنّي لابْنُ عَمِّكُمُ ... وقَدْ أصَابُوكُمُ منه بِشُؤبوبِ[١]
وإنَّ وَرْقَاءَ قد أرْدَى أبَا كَنَفٍ ... وابْنَيْ إيَاسٍ وعَمْراً وابْنَ أيُّوبِ
وإنَّ عُثْمَانَ قد أرْدَى ثَمَانِيَةً ... منكم وأنتمْ على خُبْرٍ وتَجْرِيبِ

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجلَ، والرجلان يلقيان الرجلين، فيقتل بعضُهم بعضاً. فلقي ابن مَحْمِيَةَ بن عبد الله الدِّيليّ زهيرَ بن ربيعة أبا خداش، فقال زهير: إنّي حَرامٌ جِئتُ معتمراً، فقال له: ما تُلقَى طِوَالَ الدهر إلاَّ قلتَ: أنا معتمر، ثم قتله، فقال الشّويعر اللَّيثيّ، واسمه ربيعةُ بن عَلَس: [الوافر]

تَرَكْنَا ثَاوِياً يَزْقُو صَدَاهُ ... زُهَيْراً بِالعَوَالِي والصِّفَاحِ[٢]
أُتِيحَ له ابنُ مَحْمِيَةَ بنِ عَبْدٍ ... فَأعْجَلَهُ التَّسَوُّمُ بِالبِطَاحِ[٣]

ثم تدَاعَوْا إلى الصّلح على أن يَدِيَ[٤] مَنْ عليه فَضْلٌ في القتلى، الفَضْلَ إلى أهله، فأبى ذلك وَهْب بن مُعَتّب، وخالف قومه، واندسّ إلى هوازن حتى أغارت على بني كنانة، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة، عليهم سلمةُ بن سُعْدَى البكائي، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظَبْيان الهلالي، وبنو نصر بن معاوية، عليهم مالكُ بن عوف، وهو يومئذ أمْرَدُ، فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء

(١) الشُّؤبوب: الدفعة من المطر.
(٢) يزقو: يصيح. والصَّدَى: طائر خرافيّ يزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل وينادي بالأخذ بثأره. والعوالي: رؤوس الرماح. والصفاح: السيوف.
(٣) التّسَوُّم: الإغارة.
(٤) يَدِي: يعطي الدِّيَة.

الغميم، فكانت لبني ليث أول النهار، فقتلوا عبيد بن عوف البكائي، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر، ثم كانت على بني ليْث آخرَ النهار، فانهزموا، واستحرَّ[1] القتل في بني المُلَوِّح بن يعمُرَ بن ليث، وأصابوا نَعَماً[2] ونساءً حينئذٍ، فكان ممنْ قُتِلَ في حروب الفِجار من قريش العَوَّامُ بنُ خويلد، قتله مُرَّةُ بن مُعتِّب، وقُتِلَ حِزام بن خويلد، وأحيحةُ بن أبي أُحَيْحةَ، ومعمر بن حبيب الجُمَحي، وجُرِح حرب بن أمية، وقتل من قيس الصِّمَّة أبو دريد بن الصمَّة، قتله جعفر بن الأحنف.

[الصُّلح بين القبائل يتمّ برهائن]

ثم تراضَوا بأن يَعُدُّوا القتلى، فيَدُوا مَنْ فضلَ، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة، فاجتمعت القبائل على الصّلح، وتعاقدوا ألاّ يعرضَ بعْضُهم لبعض، فرهن حربُ بن أميّة ابنه أبا سفيانَ بنَ حرب، ورهن الحارثُ بن كَلَدة العبديّ ابنَه النضْرَ، ورهن سفيانُ بن عوف أحدُ بني الحارث بنِ عبد مناة ابنَه الحارث، حتى وُدِيتِ الفضولُ، ويقال: إن عتبةَ بن ربيعة تقدَّمَ يومئذٍ، فقال: يا معرش قريش إلى صِلَةِ الأرحامِ والصّلح، قالوا: وما صلحكم هنا، فإنَّا موتورون[3]؟ فقال: عَلَى أن نَدِيَ قتلاكم، ونتصدّقَ عليكم بقتلانا فرضوا بذلك، وساد عتبة مُذْ يومئذ، قال: فلمَّا رَأَتْ هوازنُ رهائنَ قريش بأيديهم رغبوا في العفوِ، فأطلقوهم.

[النبيّ ﷺ شهد الفجار]

قال أبو عبيدة: ولم يشهد الفِجَار من بني هاشم غيرُ الزّبير بن عبد المطّلب، وشهد النبيُّ ﷺ سَائِرَ الأيام إلا يومَ نخلة، وكان يناول عَمَّهُ وأهله النّبلَ، قال: وشهدها ﷺ وهو ابن عشرين سنة، وطَعَن النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أبا بَراء مُلاعِبَ الأسِنَّة، وسُئِلَ صلى الله عليه وآله وسلم عن مشهده يومئذٍ، فقال: «**ما سَرَّنِي أَنّي لم أَشْهَدْهُ، إنّهم تَعَدَّوْا على قومي، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرَّاض صاحبهم. فأبوا**».

قال: وكان الفضل عشرين قتيلاً من هوازن، فَوَداهُم حربُ بن أُمَيّة فيما تروي

(١) استحرّ: اشتدّ.

(٢) النَّعَم: البقر والغنم والجمال.

(٣) موتورون: أصحاب ثأر.

قريش، وبنو كنانة تزعمُ أنَّ القتلى الفاضلين قتلاهم، وأنهم هم وَدَوْهم. وزعم قومٌ من قريش أن أبا طالب وحمزة والعباس بني عبد المطلب ـ عليهما السلام ـ شهدوا هذه الحروب، ولم يردَّ ذلك أهلُ العلم بأخبار العرب.

قال أبو عبيدة: ولمّا انهزمتْ قيس خرج مسعود بن مُعتّب لا يُعرّج على شيء حتى أتى سُبَيْعةَ بنتَ عبد شمس زوجته، فجعل أنفَه بين ثدييها، وقال: أنا بالله[1] وبكِ، فقالت: كلا، زعمتَ أنّك ستملأ بيتي من أسرى قومي، اجلسْ فأنتَ آمِنٌ.

[أميمة بنت عبد شمس ترثي قتلى قومها]

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومَنْ قُتِلَ من قومها، والأبيات التي فيها الغناء منها: [الهزج]

أَبَــى لَــيْــلُــكَ لا يَــذْهَــبْ ... ونِــيــطَ الــطَّــرْفُ بِــالــكَــوْكَــبْ
ونَــجْــمٌ دُونَــهُ الأَهْــوا ... لُ بــيــن الــدَّلْــوِ والــعَــقْــرَبْ
وهــذا الــصُّــبْــحُ لا يَــأْتِــي ... ولا يَــدْنُــو ولا يَــقْــرَبْ
بِــعَــقْــرِ عَــشِــيــرَةٍ مِــنَّــا ... كِــرَامِ الــخِــيــمِ والــمَــنْــصِــبْ[2]
أَحَــالَ عَــلَــيْــهِــمُ دَهْــرٌ ... حَــدِيــدُ الــنَّــابِ والــمِــخْــلَــبْ[3]
فَــحَــلَّ بــهــم وقــد أَمِــنُــوا ... ولــم يُــقْــصِــرْ ولــم يَــشْــطُــبْ[4]
ومــا عَــنْــهُ إذا مــا حَــلَّ ... مِــنْ مَــنْــجــىً ولا مَــهْــرَبْ
أَلاَ يَــا عَــيْــنُ فَــابْــكِــيــهِــمْ ... بِــدَمْــعٍ مِــنْــكِ مُــسْــتَــغْــرِبْ[5]
فَــإنْ أَبْــكِ فَــهُــمْ عِــزِّي ... وهُــمْ رُكْــنِــي وهُــمْ مَــنْــكِــبْ
وهُــمْ أَصْــلِــي وهُــمْ فَــرْعِــي ... وهُــمْ نَــسَــبِــي إذا أُنْــسَــبْ
وهُــمْ مَــجْــدِي وهــم شَــرَفِــي ... وهــم حِــصْــنِــي إذا أَرْهَــبْ
وهُــمْ رُمْــحِــي وهُــمْ تُــرْسِــي ... وهُــمْ سَــيْــفِــي إذا أَغْــضَــبْ
فَــكَــمْ مِــنْ قَــائِــلٍ مِــنْــهُــمْ ... إذا مَــا قَــالَ لــم يَــكْــذِبْ

---

(١) تقديره: أنا عائذٌ ومعتصمٌ بالله وبك.
(٢) الخِيمُ: الخصال والطباع.
(٣) أحال: حَوّل من حالٍ إلى حال.
(٤) لم يشطبْ: لم يعدل.
(٥) مستغرب: غزير.

وكم مِنْ نَاطِقٍ فِيهِمْ ... خَطِيبٍ مِصْقَعٍ مُغْرِبْ(١)
وكم مِنْ فَارِس فِيهِمْ ... كَمِيٍّ مُعْلَمٍ مِحْرَبْ(٢)
وكم مِنْ مِدْرَهٍ فِيهم ... أَرِيبٍ حُوَّلٍ قُلَّبْ(٣)
وكم مِنْ جَحْفَلٍ فيهم ... عَظِيمِ النَّارِ والمَوْكِبْ(٤)
وكم مِنْ خِضْرِمٍ فيهم ... نَجِيبٍ مَاجِدٍ مُنْجِبْ(٥)

صوت

[الطويل]

أُحِبُّ هُبوطَ الوَادِيَيْنِ وإنَّنِي ... لَمُشْتَهِرٌ بِالوَادِيَيْنِ غَرِيبُ
أَحَقّاً عِبَادَ الله أَنْ لَسْتُ خَارِجاً ... ولا وَالِجاً إلاَّ عَلَيَّ رَقِيبُ
ولا زَائِراً فَرْداً ولا في جَماعةٍ ... مِنَ النَّاسِ إلاّ قِيلَ: أَنْتَ مُرِيبُ
وهل رِيبَةٌ في أَنْ تَحِنَّ نَجِيبةٌ ... إلى إِلْفِها أو أن يَحِنَّ نَجِيبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني في أشعار بني جعدة، وذكره أبو الحسن المدائنيّ في أخبار رواها لمالك بن الصَّمصامة الجَعديّ، ومن الناس مَنْ يرويه لابن الدُّمَيْنَة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية والرّوي،والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو.

---

(١) المصْقَع: البليغ الذي يتفنّن في قوله.
(٢) المُعْلَم: المعروف المميَّز. والمُحْرَب: الخبير بأمور الحرب.
(٣) المِدْره: الخطيب، والحَوّل القُلَّب: الحازم الذي يتغيّر حسبَ الأحوال.
(٤) الجحفل: الجيش العظيم.
(٥) الخضرم: السيّد الكريم. والنجيب: الفاضل.

أخبار مالك ونسبه

[نسبه وحبّه لجنوب بنت محصن الجعديّة]

هو مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك أحد بني جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر بدوي مُقِلّ.

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن خلف بن المرزبان، قالا: أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنيّ، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبي عمرو الشيباني، قالوا: كان مالك بن الصَّمصامة الجعديُّ فارساً شجاعاً جواداً جميل الوجه، وكان يهوَى جنوبَ بنت مِحصَن الجعديَّة، وكان أخوها الأصبغ بن مِحصَن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم، فَنَمَى إليه نُبَذٌ من خبر مالك، فآلى يميناً جَزْماً[1]: لئن بلغه أنه عَرَضَ لها أو زارها ليقتلنّه، ولئن بلغه أنه ذكرها في شعر أو عرّض بها ليأسرنه، ولا يطلقُه إلاَّ أنْ يَجُزَّ ناصيته في نادي قومه، فبلغ ذلك مالكَ بنَ الصَّمصامة، فقال: [الطويل]

إذا شِئْتَ فَاقْرِنِّي إلى جَنْبِ عَيْهَبِ أَجَبَّ ونِضْوِي لِلقَلُوصِ خَنِيبُ[2]

فما الحَلْقُ بعدَ الأسْرِ شَرٌّ بَقِيَّةً مِنَ الصَّدِّ والهِجْرَانِ وهي قَرِيبُ

ألاَ أيُّهَا السَّاقي الَّذي بَلَّ دَلْوَهُ بِقُرْيَانَ يَسْقِي هل عليكَ رَقِيبُ[3]

إذا أنْتَ لم تَشْرَبْ بِقُرْيَانَ شَرْبَةً وحَانِيَةِ الجُدْرَانِ ظَلْتَ تَلوبُ[4]

أُحِبُّ هُبُوطَ الوَادِيَيْنِ وإنَّنِي لَمُشْتَهِرٌ بِالوَادِيَيْنِ غَرِيبُ

---

(١) آلى: حلف. وجَزماً: قاطعاً.

(٢) العيهب: الكساء من الصوف. وأجبّ: مقطوع. وثوب نِضو: بالٍ خلق. والقَلوص: الناقة الفتية، وهنا كناية عن المحبوبة.

(٣) قريان: موضع في ديار بني جعدة (معجم البلدان ٤/ ٣٣٥).

(٤) حانية الجدران: يريد بها الكعبة وهنا يقسم بالكعبة.

أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ خَارِجاً ... ولا والجاً إلاَّ عَلَيَّ رَقِيبُ!
ولا زَائِراً وَحْدِي ولا في جَمَاعَةٍ ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ قِيلَ: أَنتَ مُرِيبُ
وهل رِيبَةٌ في أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ ... إلى إِلْفِها أو أَنْ يَحِنَّ نَجِيبُ

وقال أبو عمرو خاصة: حدّثنا فتيان من بني جعدة أنها أقبلت ذات يوم، وهو جالس في مجلس فيه أخوها، فلمّا رآها عرفها، ولم يقدرْ على الكلام بسبب أخيها، فأُغْمِيَ عليه وفَطِنَ أخوها لما به فتغافلَ عنه، وأسنده بعضُ فِتيان العشيرة إلى صدره، فما تحركَ، ولا أحار جواباً ساعة من نهاره، وانصرف أخوها كالخَجِلِ، فلما أفاق قال: [الطويل]

أَلَمَّتْ فما حَيَّتْ وعَاجَتْ فأَسْرَعَتْ ... إلى جَرْعَةٍ بين المَخَارِمِ فالنَّحْرِ[1]
خَلِيلَيَّ قد حَانَتْ وَفَاتِيَ فَاحْفِرَا ... بِرَابِيَةٍ بين المَخَافِرِ والبُتْرِ[2]
لِكَيْمَا تقول العَبْدَلِيَّةُ كُلَّمَا ... رَأَتْ جَدثِي: سُقِّيتَ يا قَبْرُ مِنْ قَبْرِ

وقال المدائنيّ في خبره: انتجعَ أهلُ بيت جنوب ناحية جِسْي والحِمى[3]، وقد أصابها الغيثُ فأمرعت، فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بنُ الصَّمصامة، حتى إذا بلغته جَنُوبُ أخذ بِخِطامِ[4] بَعِيرها، ثم أنشأ يقول: [الطويل]

أَرَيتُكِ إنْ أَزْمَعْتُمُ اليومَ نِيَّةً ... وغَالَكِ مُصْطَافُ الحِمَى ومَرَابِعُهْ[5]
أَتَرْعَيْنَ ما اسْتُودِعْتِ أَمْ أَنْتِ كَالَّذي ... إذا ما نَأَى هَانَتْ عَلَيْهِ وَدَائِعُهْ

فبكت، وقالت: بل أرعى والله ما استودِعْت، ولا أكونُ كمن هانت عليه ودائعه، فأرسل بعيرها وبكى حتى سقطَ مَغْشِيّاً عليه، وهي واقفة ثم أفاق، وقام فانصرف وهو يقول:

أَلاَ إنَّ جِسْياً دُونَهُ قُلَّةُ الحِمَى ... مُنَى النَّفْسِ لو كَانَتْ تُنَالُ شَرَائِعُهْ[6]

---

(١) عاجت: انصرفت. والجَرعة: رمل يرتفع وسطه وترقّ نواصيه. والمخارم والنحر: موضعان في ديار بني جعدة.
(٢) المخافر والبتر: موضعان.
(٣) جِسْي والحمى: موضعان.
(٤) الخِطام: الزمام.
(٥) غالك: أخذك من حيث لا تدرين.
(٦) قُلّة كل شيء: أعلاه. والشرائع: جمع الشريعة: مورد الماء.

وكـيـفَ ومِـنْ دُونِ الـوُرودِ عَـوَائِـقٌ وأَصْبَغُ حَامِي ما أُحِبُّ ومَانِعُهْ[(١)]
فلا أنا فِيمَا صَدَّني عنه طَامِعٌ ولا أَرْتَجِي وَصْلَ الَّذِي هو قَاطِعُهْ

صوت

[البسيط]

يا دَارَ هِنْدٍ عَفَاها كُلُّ هَطَّالِ بِالخَبْتِ مِثْلُ سَحِيقِ اليَمْنَةِ البَالِي[(٢)]
أَرَبَّ فيها وَلِيٌّ ما يُغَيِّرُها والرِّيحُ مِمّا تُعَفِّيها بِأَذْيَالِ
دَارٌ وَقَفْتُ بها صَحْبِي أُسَائِلُها والدَّمْعُ قد بَلَّ مِنّي جَيْبَ سِرْبَالي
شَوْقاً إلى الحَيِّ أَيَّامَ الجَمِيعُ بِها وكيف يَطْرَبُ أو يَشْتَاقُ أَمْثَالي؟

قوله: أَرَبَّ فيها أي أقام فيها وثبتَ، والوليّ: الثاني من أمطار السنة، أوّلها الوسْميّ، والثاني الوليّ، ويروى:

جَرَتْ عليها رياحُ الصَّيْفِ فَاطَّرَقَتْ

واطَّرَقَتْ: تلبدت.

الشعر لِعَبيد بن الأبرص، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن جامع رَمَل بالوسطى، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولَحْنُ إبراهيم إليه.

(١) أصبغ: هو أخو محبوبته جنوب.
(٢) عفاها: محى أثرها. والخبت: اسم يطلق على عدة مواضع (معجم البلدان ٢/ ٣٤٣). واليمنة: ضرب من البرود اليمنيّة.

أخبار عَبِيد بن الأبرص ونسبه

[توفي نحو ٢٥ ق. هـ/ نحو ٦٠٠ م]

[اسمه ونسبه]

قال أبو عمرو الشيباني: هو عَبيدُ بن الأبرص بن حَنْتَم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرَن به طَرَفةَ وعلقمة بن عَبَدة وعديَّ بنَ زيد.

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سَلاّم، قال: عبيدُ بن الأبرص قديم الذكر، عظيم الشّهرة، وشِعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلاّ قوله في كلمته:

أَقْفَرَ مِن أَهْلِهِ مَلْحُوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك.

[بعض أخباره]

أخبرنا عبد الله بن مالك النحويّ الضرير، قال: حدّثنا محمد بن حبيبَ، عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيبانيّ، قالا: كان من حديث عبيد بن الأبرص أنّه كان رجلاً محتاجاً، ولم يكن له مال، فأقبل ذات يوم ومعه غُنَيْمة[1] له، ومعه أخته ماوِيَّة؛ ليوردا غنمهما الماءَ، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وَجَبَهَهُ[2]، فانطلقَ

(١) الغُنَيْمَة: القطيع الصغير من الغنم.

(٢) جبهه: قابله بما لا يحبّ.

حزيناً مهموماً للذي صنع به المالكي، حتى أتى شجراتٍ فاستظلَّ تحتهنَّ، فنام هو وأخته، فزعموا أن المالكيّ نظر إليه وأختُهُ إلى جنبه، فقال: [الرجز]

ذاكَ عَبِيدٌ قد أصابَ مَيَّا ... يا لَيْتَهُ ألقَحَها صَبِيَّا

فحملتْ فوَضعَتْ ضَاوِيّا[1]

فسمعه عَبيد، فرفع يديه، ثم ابتهل، فقال: اللَّهُمَّ إن كان فلان ظلمني، ورماني بالبهتان فأدِلْني منه - أي اجعل لي منه دَوْلَة، وانصُرْني عليه - ووضع رأسه فنام، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر.

فذُكِرَ أنه أتاه آتٍ في المنامِ بِكُبَّةٍ من شَعْر، حتى ألقاها في فِيهِ، ثم قال: قُمْ، فقام وهو يرتجزُ: يعني بني مالك؛ وكان يقال لهم بنو الزِّنْيَة يقول: [الرمل]

أيَا بَنِي الزِّنْيَةِ ما غَرَّكُمْ ... فَلَكُمُ الوَيْلُ بِسِرْبَالِ حَجَرْ[2]

ثم استمرَّ بعد ذلك في الشعر، وكان شاعرَ بني أسد غير مدافَع.

[رَدُّه على امرىء القيس لرفضه دية أبيه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدّثنا أبو غسان دَماذ، عن أبي عبيدة، قال: اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حُجْر بن عمرو والدَ امرىء القيس إلى امرىء القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دِيَةَ أبيه؛ أو يُقيدوه من أيّ رجل شاء من بني أسد، أو يُمهلَهم حَوْلاً؛ فقال: أمَّا الدِّيَة فما ظننتُ أنكم تعرضونها على مِثْلي، وأما القَوَدُ فلو قِيدَ إليّ ألفٌ من بني أسد ما رَضيتُهم ولا رأيتهم كفؤاً لِحُجْر، وأما النَّظِرَة[3] فلكم، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان، أُحَكِّمُ فيكم ظُبا السيوف وشَبا الأسنَّة[4]، حتى أشْفِيَ نفسي، وأنالَ ثأري، فقال عبيدُ بنُ الأبرص في ذلك:

---

(١) الضاوي: المهزول النحيل.
(٢) السربال: الدّرع.
(٣) النَّظِرَة: المهلة.
(٤) الظُّبا: جمع الظُّبَة: حَدّ السيف. والشّبا: جمع الشَّباة: حَدّ طرف السنان أو السيف.

صوت

[مجزوء الكامل]

يـا ذَا الـمُـخَـوِّفُـنَـا بِـقَـتْـلِ أَبِـيـهِ إذلالاً وحَـيْـنَـا[1]
أَزَعَـمْـتَ أَنَّـكَ قـد قَـتَـلْـتَ سَـرَاتَـنـا كَـذِبـاً ومَـيْـنـا؟[2]
هَـلاَّ عـلـى حُـجْـرِ ابْـنِ أُمْـمٍ قَـطَـام تَـبْـكِـي لا عَـلَـيْـنـا
إنَّـا إذا عَـضَّ الـثِّـقَـافُ بِـرَأْسِ صَـعْـدَتِـنـا لَـوَيْـنـا[3]
نَـحْـمِي حَـقِـيـقَـتَـنـا وبَـعْـضُ الـنَّـاسِ يَـسـقُـطُ بَـيْـنَ بَـيْـنَـا
هَـلاَّ سَـأَلْـتَ جُـمـوعَ كِـنْـدَةَ يَـوْمَ وَلَّـوْا أيـنَ أَيْـنَـا؟

الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشامي، وفيه ليحيى المكيّ خفيف ثقيل: قال: وتمام هذه الأبيات:

أَيَّـامَ نَـضْـرِبُ هَـامَـهُـمْ بِـبَـوَاتِـرٍ حَـتَّـى انْـحَـنَـيْـنَـا
وجُـمُـوعَ غَـسَّـانَ الـمُـلُـوكِ أَتَـيْـنَـهُـمْ وقـد انْـطَـوَيْـنَـا[4]
لُـحُـقـاً أَيَـاطِـلُـهُـنَّ قـد عَـالَـجْـنَ أَسْـفَـاراً وأَيْـنَـا[5]

والأياطل: الخواصر أي هن ضوامرها.

نَـحْـنُ الأُلَـى فَـاجْـمَـعْ جـمُـوعَـكَ ثـمّ وَجِّـهـهُـمْ إلـيـنـا
واعْـلَـمْ بِـأَنَّ جِـيَـادَنـا آلَـيْـنَ لا يَـقْـضِـيـنَ دَيْـنَـا
ولَـقَـدْ أَبَـحْـنَـا مـا حَـمَـيْـتَ ولا مُـبِـيـحَ لِـمَـا حَـمَـيْـنـا
هـذا ولـو قَـدَرَتْ عـلـيـكَ رِمَـاحُ قـومـي مـا انْـتَـهَـيْـنـا
حَـتَّـى تَـنُـوشَـكَ نَـوْشَـةً عَـادَاتِـهِـنَّ إذا انْـتَـوَيْـنـا[6]
نُـغْـلِـي الـسِّـبَـاءَ بِـكُـلِّ عَـاتِـقَـةٍ شَـمُـولٍ مـا صَـحَـوْنـا[7]

---

(١) الحَيْن: الهلاك.
(٢) السَّرَاة: أشراف القوم. والمَيْن: الكذب.
(٣) الثِّقاف: أداة حديدية أو من الخشب تثقف بها الرماح. والصَّعدة: القناة تنبت مستوية ولا تحتاج إلى تثقيف.
(٤) انطوينَ: جعنَ.
(٥) اللُّحُق. الضامرة. والأين: التعب.
(٦) تنوشك: تتناولك.
(٧) السِّباء: شراى الخمر. والشَّمول: الخمر.

وَنُهِينَ في لَذَّاتِنَا عُظْمَ التِّلادِ إذا انْتَشَيْنَا[1]
لا يَبْلُغُ البَانِي ولو رَفَعَ الدَّعَائِمَ ما بَنَيْنَا
كم مِنْ رَئِيسٍ قد قَتَلْـ ـنَاهُ وضَيمٍ قد أَبَيْنَا
ولَرُبَّ سَيِّدِ مَعْشَرٍ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ قد رَمَيْنَا[2]
عِقْبَانُهُ بِظِلالِ عِقْـ ـبانٍ تُتَمِّمُ ما نَوَيْنا
حَتَّى تَرَكْنَا شِلْوَهُ جَزَرَ السِّبَاعِ وقَدْ مَضَيْنَا[3]
إنّا لَعَمْرُكَ ما يُضَا مُ حَلِيفُنَا أَبَداً لَدَيْنَا
وأَوَانِسٌ مِثْلِ الدُّمَى حُورِ العيونِ قَدِ اسْتَبَيْنَا[4]

[الثعبان يردّ له المعروف]

وقرأت في بعض الكتب، عن ابن الكلبي، عن أبيه، وهو خبر مصنوع؛ يتبين التوليد فيه، أنَّ عبيدَ بن الأبرص سافر في ركبٍ من بني أسد، فبينا هم يسيرون إذا هم بشجاعٍ[5] يَتَمعَّك على الرمضاء[6] فاتحاً فاه من العطش، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها، فنزل فسقاه الشجاعَ عن آخره حتى رَوِيَ وانتعَشَ، فانسابَ في الرمل، فلما كان من اللَّيل، ونام القوم نَدَّتْ[7] رواحلهم، فلم يُرَ لشيءٍ منها أثَر، فقام كلٌّ واحد يطلب راحلته، فتفرّقوا، فبينا عبيد كذلك؛ وقد أيقنَ بالهَلَكَة والموت إذا هو بهاتف يهتف به: [الرجز]

يَا أَيُّها السَّارِي المُضِلُّ مَذْهَبُهْ دُونَكَ هذا البَكْرَ مِنَّا فَارْكَبُهْ[8]
وبَكْرُكَ الشَّارِدُ أَيْضاً فَاجْنُبُهْ حتى إذا اللَّيْلُ تَجَلَّى غَيْهَبُهْ[9]
فَحُطَّ عَنْهُ رَحْلَهُ وسَيِّبُهْ

(١) التِّلاد: المال الموروث.
(٢) الدسيعة: الوعاء الكبير للطعام.
(٣) الشِّلْوُ: عضو الإنسان بعد التفرّق.
(٤) استبينا: اتّخذنا سبايا.
(٥) الشجاع: الثعبان.
(٦) يتمعّك: يتقلّب ويتمرّغ على التراب. والرَّمضاء: الأرض التي حميت من شدة وقع الشمس.
(٧) نَدَّت: شردت.
(٨) السّاري: السائر ليلاً.
(٩) الغيهب: ظلمة الليل.

فقال له عبيد: يا هذا المخاطِبُ، نشدُتك الله إلاّ أخبرتني: من أنت؟ فأنشأ يقول: [البسيط]

أَنَا الشُّجَاعُ الَّذي أَلْفَيْتَهُ رَمِضاً ... في قَفْرَةٍ بين أَحْجَارٍ وأَعْقَادِ
فَجُدْتَ بِالمَاءِ لَمَّا ضَنَّ حَامِلُهُ ... وزِدْتَ فيه ولم تَبْخَلْ بِإِنْكَادِ
الخَيْرُ يَبْقَى وإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... والشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ

فركب البكرَ وجنَب بَكْرَه، وسار فبلغ أهله مع الصّبح، فنزل عنه، وحَلَّ رحله وخلاّه، فغاب عن عينه، وجاء مَنْ سَلِمَ من القوم بعد ثلاث.

[يوماً المنذر بن ماء السّماء]

أخبرني محمد بن عمران المؤدب وعمِّي، قالا: حدّثنا محمد بن عبيد: قال: حدّثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبيّ، عن الشرقي بن القطامي قال: كان المنذرُ بن ماء السّماء قد نادمه رجلان من بني أسد، أحدهما خالد بن المضلّل، والآخر عمرو بن مسعود بن كَلَدة، فأغضباه في بعض المنطق، فأمر بأن يُحفَرَ لكلِّ واحد حَفِيرةٌ بِظَهْرِ الحِيرة، ثم يجعلا في تابوتين، ويدفنا في الحفرتين، فَفُعِلَ ذلك بهما، حتى إذا أصبح سأل عنهما، فأُخبِرَ بهلاكهما، فندم على ذلك وغَمَّهُ، وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل الأسديين يقول شاعر بني أسد: [الكامل]

يا قَبْرُ بينَ بيوتِ آلِ مُحَرِّقٍ ... جَادَتْ عَلَيكَ رَوَاعِدٌ وبُروقُ
أَمَّا البُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ ... ولَئِنْ بُكِيتَ فَلِلْبُكَاء خَلِيقُ

ثم ركب المنذر، حتى نظر إليهما، فأمر ببناء الغَرِيَّين[1] عليهما، فَبُنِيا عليهما، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغَرِيّين، يُسمَّى أحدهما يوم نعيم، والآخر يوم بؤس، فأولُ مَنْ يطلعُ عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الإبل شُوماً أي: سوداً، وأول مَنْ يطلعُ عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبَانٍ[2] أسود، ثم يأمرُ به، فيذبح ويغرّى بدمه الغريَّان، فلبث بذلك برهة من دهره.

(١) الغريّان: بناءان أقامهما المنذر على نديميه حين قتلهما. والتغرية: التطلية.

(٢) الظَّربان: حيوان أصغر من السّنور، أصلم الأذنين، طويل الخطم، قصير القوائم، منتن الرائحة.

[عبيد قُتيلَ في يوم البؤس]

ثم إن عبيدَ بنَ الأبرص كان أول مَنْ أشرفَ عليه في يوم بؤسه، فقال: هلاَّ كان الذّبح لِغيرك يا عبيد؟ فقال: أَتَتْكَ بِحائنٍ رِجْلاَه[1]، فأرسلها مثلاً، فقال له المنذر: أو أَجَلٌ بلغ إناه[2]، فقال له المنذر: أنشدني، فقد كان شعرك يعجبني، فقال عبيد: حال الجريض دون القريض[3]، وبلغ الحزَامُ الطُّبيَيْنِ[4]، فأرسلها مثلاً. فقال له النعمان: أسمعني، فقال: المنايا على الحَوَايا[5]، فأرسلَها مثلاً، فقال له آخر: ما أشدّ جزَعكَ من الموت، فقال: لا يرحلُ رَحْلَكَ مَنْ ليسَ معكَ فأرسلها مثلاً، فقال له المنذر: قد أمْلَلْتَنِي، فأرِحني قبل أنْ آمُرَ بك، فقال عبيد: من عَزَّ بزّ[6] فأرسلها مثلاً، فقال المنذر: أنشِدْني قولك:

أَقْـفَـرَ مِـنْ أَهْـلِـهِ مَـلْـحُـوبُ

فقال عبيد: **صوت** [المنسرح]

أَقْـفَـرَ مِـنْ أَهْـلِـهِ عَـبِـيـدُ ... فـلـيـسَ يُـبْـدِي ولا يُـعِـيـدُ
عَـنَّـتْ لـه عَـنَّـةٌ نَـكُـودٌ ... وحَـانَ مِـنْـهَـا لـه وُرودُ

فقال له المنذر: يا عبيد، ويحكَ، أنشدني قبل أن أذبحك، فقال عبيد[السريع]

والـلّـهِ إنْ مِـتُّ لَـمـا ضَـرَّنـي ... وإنْ أَعِـشْ مَـا عِـشْـتُ فـي وَاحِـدَهْ

فقال المنذر: إنه لا بدَّ من الموت؛ ولو أَنَّ النعمانَ عرضَ لي في يوم بؤس لذبحته، فاخترْ إن شئتَ الأكْحَلَ، وإن شئتَ الأبجلَ، وإن شئتَ الوريدَ[7]، فقال

---

(١) الحائن: الهالك، والمثل في: تمثال الأمثال ص ١٠٨، ومجمع الأمثال ١/ ٣١، والمستقصى: ١/ ٣٧.

(٢) إناه: وقته.

(٣) الجريض: الغُصّة. والقريض: الشعر.

(٤) الطُبي: حلمة الضرع بالنسبة للفرس، وإذا اضطرب الحزام حتى بلغهما سقط السرج وكذلك عند الهرب والمثل في تمثال الأمثال ص ٣٨٥، والمستقصى ٢/ ١٣ ومجمع الأمثال ٢/ ٩١.

(٥) الحوايا: ما يحويه الإنسان في بطنه. والمثل يضرب لمن يجلب الهلاك لنفسه.

(٦) بَزّ: غلب.

(٧) الأكحل: عرق في وسط الذراع. والأبجل: عرق في الرجل أو اليد بإزاء الأكحل. والوريد: عرق العنق، وهو موضع الذبح.

عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد واردها[١] شَرُّ وَرَّاد، وحَادِيها شَرُّ حَاد، ومَعَادُها شَرُّ مَعَاد، ولا خيرَ فيه لِمُرْتَاد، وإن كنت لا محالةَ قاتلي فاسْقِني الخَمْرَ، حتى إذا ماتَتْ مفاصِلي، وذهلتْ لها ذواهلي فشأنك وما تريد، فأمرَ المنذر بحاجته من الخمر، حتى إذا أخذت منه، وطابت نفسه، دعا به المنذر ليقتله، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول: [الطويل]

وخَيَّرَني ذُو البُؤْسِ في يوم بُؤْسِهِ ... خِصالاً أَرَى في كُلِّها المَوْتَ قد بَرَقْ
كما خُيِّرَتْ عَادٌ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً ... سَحَائِبَ ما فيها لِذِي خِيرَةٍ أَنَقْ[٢]
سَحَائِبُ رِيحٍ لم تُوَكَّلْ بِبلدةٍ ... فَتَتْرُكَها إلاَّ كَمَا لَيْلَةِ الطَّلَقْ[٣]

فأمر به المنذر، فَفُصِدَ، فلما مات غُرِّي بدمه الغَرِيَّان.

[وفاء حنظلة الطائي يبطل يوم البؤس]

فلم يزل كذلك حتى مَرَّ به رجلٌ من طيّىء، يقال له حنظلةُ بن أبي عفراء، أو ابن أبي عُفْر، فقال له: أبيت اللَّعْنَ، واللّه ما أتيتكَ زائراً، ولأهْلي من خيركَ مائراً[٤] فلا تكنْ ميرتهم قتلي، فقال: لا بدَّ من ذلك فاسأل حاجة أقضِيَنَّها لك، فقال: تؤجِّلُني سنة أرجع فيها إلى أهلي، وأُحكِم من أمرهم ما أريد، ثم أَصِيرُ إليك، فأنفِذْ فِيَّ حُكْمَكَ، فقال: وَمَنْ يكفُلُ بك حتى تعود؟ فنظر في وجوه جلسائه، فعرف منهم شرِيكَ بن عمرو، أبا الحَوْفزانِ بن شريك، فأنشد يقول:

[مجزوء الرمل]

يا شَرِيكُ يابْنَ عَمْرِو ... ما مِنَ المَوْتِ مَحَالَهْ
يا شَرِيكُ يابْنَ عَمْرِو ... يا أَخَا مَنْ لا أَخَا لَهْ
يا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ الـ ... ـيومَ رَهْناً قد أَنَالَهْ
يا أَخَا كُلِّ مُضَافٍ ... وحَيَا مَنْ لا حَيَا لَهْ[٥]
إنّ شَيْبَانَ قَبِيلٌ ... أَكْرَمَ اللَّهُ رِجَالَهْ

(١) واردها: هاطلها.
(٢) الأنق: الحسن الرائع.
(٣) الطَّلَق: البعد.
(٤) المائر: الذي يطلب الميرة لأهله، وهي القوت.
(٥) الحَيَا: الغيث والمطر.

وأبـوكَ الـخَـيْـرُ عَـمْـرٌو وشَـرَاحِـيـلُ الـحَـمَـالَـهْ[١]
رَقَّـيـاكَ الـيـومَ فـي الـمَـجْـدِ وفِـي حُـسْـنِ الـمَـقَـالَـهْ

فوثَب شريك، وقال: أبيت اللَّعنَ، يدي بيده، ودمي بدمه إن لم يعدْ إلى أجله فأطلقه المنذر، فلما كان من القابل[٢] جلس في مجلسه، ينتظر حنظلة أن يأتيه، فأبطأ عليه، فأمر بشريك، فقُرِّبَ ليقتله. فلم يشعرْ إلاَّ بِراكبٍ قد طلَع عليهم، فتأمَّلوه، فإذا هو حَنْظلة قد أقبل متكفِّناً مُتَحَنِّطاً معه نادِبته تندبه، وقد قامت نادبة شريك تندبه، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما، فأطلقهما وأبطلَ تلك السُّنَّة.

[رواية أُخرى لمقتل عبيد]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثنا عليّ بن الصباح، عن هشام بن الكلبي، قال: كان من حديث عبيد بن الأبرص وقتله أنّ المنذرَ بن ماء السماء بنى الغَرِيّيْن، فقيل له: ما تريدُ إليهما؟ وكان بناهما على قبري رجلين من بني أسد كانا نديميه، أحدهما خالد بن المضلّل الفقعسيّ، والآخر عمرو بن مَسْعود، فقال: ما أنا بملك إن خالف الناس أمري، لا يَمُرَّنَّ أحدٌ من وفود العرب إلاَّ بينهما. وكان له يومان في السنة: يوم يسمّيه يوم النعيم، ويوم يسمّيه يوم البؤس، فإذا كان في يوم نعيمه أُتِيَ بأوّل مَنْ يطلع عليه، فحباه وكساه، ونادمه يومه، وحمله، فإذا كان يوم بؤسه أُتِيَ بأول من يطلعُ عليه، فأعطاه رأس ظَرِبَانٍ أسودَ، ثم أمرَ به فذبحَ وغُرِّي بدمه الغَرِيَّان، فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عَبيدٌ، فقال لرجل كان معه: من هذا الشقيّ؟ فقال له: هذا عبيدُ بن الأبرص الأسَديّ الشاعر، فأُتي به فقال له الرجل الذي كان معه: اتركه - أبيتَ اللَّعْنَ - فإنّي أظنُّ أنّ عنده من حُسن القريض أفضلَ ممّا تدركُ في قتله فاسمعْ منه، فإن سمعت حسناً استزدتَه، وإن لم يعجبك فما أقدرَك على قتله. فإذا نَزَلْتَ فادعُ به، قال: فنزل، وطعم وشرب، وبينه وبين الناس حِجَابُ سترٍ يراهم منه ولا يرونه، فدعا بعبيد من وراء السّتر، فقال له رَدِيفُه: هلا كان الذَّبح لغيرك يا عبيدا فقال: أتَتْك بِحائن رجلاه، فأرسلها مثلاً، فقال: ما ترى يا عبيد؟ قال: أرى الحوايا عليها

(١) شراحيل: من أجداد شريك بن عمرو.
(٢) القابل: العام المقبل.

المنايا: فقال: فهل قلتَ شيئاً؟ فقال: حال الجريض دون القريض، فقال: أنشِدْني.

أقــفــرَ مـــن أهْـــلِـــهِ مَـــلـــحـــوبُ

فقال: [المنسرح]

أَقْــفَــرَ مِــنْ أَهْــلِــهِ عَــبِــيــدُ فـلـيـسَ يُـبْـدِي ولا يُـعِـيـدُ
عَــنَّــتْ لــه خُــطَّــةٌ نَــكُــودُ وحـــانَ مـــنـــهـــا لـــه وُرودُ

فقال: أنشدْنا: [المتقارب]

هِـيَ الـخَـمْـرُ تُـكْـنَـى بِـأُمِّ الـطِّـلَـى كـمـا الـذِّئْـبُ يُـكْـنَـى أبَـا جَـعْـدَهْ[1]

وأبى أن ينشدهم شيئاً ممّا أرادوا، فأُمِرَ به، فقُتِلَ.

فأما خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل ومقتلهما فإنهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فيما ذكره خالدُ بن كلثوم ـ فراجعاه بعض القول على سُكْرِه، فغضب فأمر بقتلهما، وقيل: بل دفنهما حيين، فلما أصبح سأل عنهما، فأُخبِرَ خبَرهما فندم على فعله، فأمر بإبل، فنُحِرَتْ على قبريهما، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاماً لهما، وحزن عليهما، وبنى الغَرِيَّيْن فوق قبريهما، وأمر فيهما بما قَدَّمْتُ ذكره من أخبارهما، فقالت نادبةُ الأسديين: [الطويل]

ألاَ بَـكَـرَ الـنَّـاعِـي بِـخَـيْـرِ بَـنِـي أَسَـدْ بِعَمْرِو بنِ مَسعودٍ وبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وقال بعض شعراءِ بني أسد يرثي خالد بن المُضَلَّل وعمرو بن مسعود، وفيه غناء:

صوت

[الكامل]

يــا قَــبْــرُ بــيــنَ بــيــوتِ آلِ مُــحَــرِّقٍ جَــادَتْ عــلــيــكَ رَوَاعِــدٌ وبُــروقُ
أَمَّــا الــبُــكَــاءُ فَــقَــلَّ عَــنــكَ كَــثِــيــرُهُ ولَــئِــنْ بُــكِــيــتَ فَــبِــالــبــكــاءِ خَــلِــيــقُ

الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه.

---

(١) الطِّلَى: اللّذة.

وممّا يُغَنَّى به أيضاً من شعر عبيد:

صوت

[البسيط]

طَافَ الخَيالُ عَلينا لَيْلَةَ الوَادِي ... مِنْ أُمِّ عَمْرٍو ولَمْ يُلْمِمْ لِمِيعَادِ
أَنَّى اهْتَدَيْتُ لِرَكْبٍ طَالَ سَيْرُهُمُ ... في سَبْسَبٍ بَيْنَ دِكْدَاكٍ وأعْقَادِ[١]
اذهب إليكَ فَإنّي من بَنِي أسدٍ ... أَهْلِ القِبابِ وأهلِ الجُودِ والنَّادِي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسْحاقَ، وفيه ثقيل أول بالوسطى، ذكر الهشامي أنه لأبي زكّار الأعمى، وذكر حبش أنه لابن سريج.

وفي هذه القصيدة يقول، يخاطبُ حُجر بن الحارث أبا امرىء القيس، وكان حُجرٌ يتوعّده في شيء بلغه عنه، ثم استصلحه فقال يخاطبه: [البسيط]

أَبْلِغْ أَبَا كَرِبٍ عَنِّي وإخْوَتَهُ ... قَوْلاً سَيَذْهَبُ غَوْراً بعد إنْجَادِ[٢]
لا أَعْرِفَنَّكَ بعدَ المَوْتِ تَنْدُبُنِي ... وفي حَيَاتِيَ ما زَوَّدْتَنِي زَادِي
إنَّ أَمَامَكَ يَوْماً أَنْتَ مُدْرِكُهُ ... لا حَاضِرٌ مُفْلِتٌ منه ولا بَادِي[٣]
فانْظُرْ إلى ظِلِّ مُلْكٍ أَنْتَ تَارِكُهُ ... هل تُرْسِيَنَّ أواخيه بِأَوْتَادِ[٤]
الخَيْرُ يَبْقى وإنْ طَالَ الزَّمَانُ به ... والشَّرّ أخبثُ ما أوْعَيْتَ مِنْ زَادِ

[طلحة يتمثّل ببيتٍ لعبيد]

أخبرنا عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاعيّ، عن المدائنيّ، عن أبي بكر الهذليّ قال: سمع عمرُ بنُ الخطّاب نساء بني مخزوم يبكينَ على خالد بن الوليد؛ فبكى، وقال: لِيَقُلْ نساءُ بني مخزوم في أبي سليمان ما شِئْنَ، فإنهنَّ لا يكذبنَ، وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي، فقال له طلحةُ بن عُبيد الله: إنك وإياه لكما قال عبيدُ بنُ الأبرص: [البسيط]

لا أُلْفِيَنَّكَ بعدَ المَوْتِ تَنْدُبُني ... وفي حَيَاتِيَ ما زَوَّدْتَنِي زَادِي

---

(١) السَّبسب: المفازة. ودكداك: موضع في بلاد بني أسد. (معجم ما استعجم ص ٥٥٤).
(٢) الغَوْر: ما انخفض من الأرض.
(٣) الحاضر: ساكن الحاضرة. والبادي: ساكن البادية.
(٤) الأواخي: الأواصر.

أخبرني عمِّي، قال: حَدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثني محمد بن عبد الله العبديُّ، قال: حَدَّثني سيفُ الكاتبُ، قال: وَلِيتُ وِلايةً، فمررتُ بصديق لي في بعض المنازل، فنزلت به، قال: فنِلنا من الطعام والشراب، ثم غلبَ علينا النبيذ فنِمنا، فانتبهتُ من نومي، فإذا أنا بكلبٍ قد دخل على كلب الرجل فجعل يَبشُّ[1] به ويسلّم عليه لا أُنكِرُ من كلامهما شيئاً، ثم جعل الكلب الدَّاخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره، وقال له: هل عندك شيءٌ تُطْعِمنيه؟ قال: نعم، قد بَقِيَ لهم في موضع كذا وكذا طعام، وليس عليه شيء، فذهبا إليه، فكأني أسمع وُلوغَهما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه، ثم سأله نبيذاً، فقال: نعم، لهم نبيذ في إناء آخرَ ليس له غطاء، فذهبا إليه فشربا. ثم قال له: هل تطربني بشيء؟ قل: إي وعَيْشِكَ، صوت كان أبو يزيد يغنيه قال فيجيده، ثم غَنَّاهُ في شعر عبيد بن الأبرص:

صوت

[البسيط]

طَافَ الخَيالُ عَلينا لَيْلَةَ الوَادِي ... لآلِ أَسْمَاءَ لم يُلْمِمْ لِميعَادِ
أَنَّى اهتديتَ لِرَكْبٍ طَالَ سَيْرُهُمُ ... في سَبسَبٍ بين دكْداكٍ وأعْقَادِ

قال: فلم يزَلْ يُغَنّيه هذا الصّوت، ويشربان مليّاً، حتى فَنِيَ ذلك النبيذ، ثم خرج الكلبُ الدّاخل، فَخِفْتُ واللّهِ على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل فأمسكتُ، وما أذكر أني سمعت أحسن من ذلك الغناء.

ومما يغنى فيه من شعره قوله:

صوت

[البسيط]

لِمَنْ جِمَالٌ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مَزْمُومَهْ ... مُيَمِّمَاتٌ بِلاداً غَيْرَ مَعْلُومَهْ[2]
فيهنّ هِنْدٌ وقد هَامَ الفُؤادُ بِها ... بَيْضَاءُ آنِسَةٌ بِالْحُسْنِ مَوْسُومَهْ

الغناء لابن سريج رمل عن يونُس والهشاميّ وحبش.

ومنها قوله:

---

(١) يبشّ: يتهلّل.

(٢) زَمَّ الجملَ: جعلَ له زِماماً.

صوت

دَرَّ دَرُّ الشَّبابِ والشَّعَرِ الأَسْـ ـوَدِ والضَّامِرَاتِ تحتَ الرِّحَالِ
فالخَنَاذِيذِ كالقِدَاحِ مِنَ الشَّو حطِ يَحْمِلْنَ شِكَّةَ الأبْطَالِ[1]
ليسَ رَسْمٌ على الدَّفِينِ بِبَالٍ فَلِوَى ذِرْوَةٍ فَجَنْبَيْ أُثَالِ[2]
تِلْكَ عِرْسِي قد عَيَّرَتْنِي خِلاَلِي أَلِبَيْنٍ تُريدُ أمْ لِدَلالِ؟[3]

الغناء لطويس خفيف رمل لا شكّ فيه، وفيه ثقيل أول، ذكر علي بن يحيى أنه لطويس أيضاً، ووجدته في صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر، وفي الثالث والرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر، عن عبد الله بن موسى والهشامي.

صوت

لِمَنِ الدِّيَارُ كَأَنَّها لم تُحْلَلِ بِجنوبِ أَسْنِمَةٍ فَقُفِّ العُنْصُلِ
دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا فبَاقِي رَسْمِها خَلَقٌ كَعنوانِ الكِتَابِ المُحْوِلِ[4]
دَارٌ لِسُعْدَى إذ سُعَادُ كَأَنَّها رَشَأٌ غَضِيضُ الطَّرْفِ رَخْصُ المِفْصَلِ[5]

عروضه من الكامل، جنوب أسنمة: أودية معروفة. والقُفّ: الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتد. والعنصل: بصل معروف.

الشعرُ لربيعةَ بنِ مَقْرومٍ الضّبيّ، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشامي.

---

(١) الخناذيذ: جمع الخنذيذ: الشجاع من الفتيان. والشّوحط: ضربٌ من الشجر تُتَّخذ منه القِسيّ. والشِّكّة: السلاح.

(٢) أثال: جبال لبني عبس (معجم البلدان ١/ ٨٩).

(٣) العِرْس: الزوجة. والخلال: جمع الخلّة: الطبع والعادة.

(٤) المُحْوِل: الذي مضت عليه السنون.

(٥) الرّشأ: ولد الظبية. والرَّخص: اللّيّن.

أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه

[توفي بعد ١٦ هـ/ بعد ٦٣٧ م]

[اسمه ونسبه]

هو ربيعةُ بن مَقْروم الضّبيِّ بنِ قيس بنِ جابر بن خالد بن عمرِو بنِ عبد الله بنِ السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أُدّ بن طابخةَ بن إلياس بن مُضر بن نزار. شاعِرٌ إسلامي مخضرَم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان ممن أصفَقَ[1] عليه كسرى، ثم عاش في الإسلام زماناً.

[هجاؤه لضابىء بن الحارث]

قال أبو عمرو الشيباني: كان ربيعةُ بن مقروم باع عَجْردَ بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابرِ بن قَطَنِ بنِ نهشل بن دارم لِقْحَةً[2] إلى أجل، فلما بايعه وجد ابنُ مقروم ضابىءَ بن الحارث عند عَجْرد، وقد نهَاه عن إنظاره بالثمن، فقال ابن مقروم يُعرّض بضابىء أنه أعان عليه وكان ضِلَعه[3] معه: [الوافر]

أَعَجْرُ ابنَ المَلِيحَةِ إنَّ هَمِّي ... إذا مَا لَجَّ عُذَّالِي لَعَانِ

قوله: لعانٍ أي عانٍ من العناء، عَنَاني الشيء يَعنيني، وهو لي عانٍ.

يَرَى مَا لاَ أرَى ويقولُ قَوْلاً ... وليسَ على الأمورِ بِمُسْتَعَانِ

ويَخلِفُ عِندَ صَاحِبِهِ لَشَاةٌ ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ تِلكَ الثَّمَانِ

---

(١) أصفقَ عليه: أطبق عليه وحبسه في المشقر.

(٢) اللِّقْحَة: الناقة الغزيرة اللّبَن.

(٣) الضِّلَع: الميل.

وحَامِلِ ضَبَّ ضِغْنٍ لم يَضِرْنِي بَعِيدٍ قَلْبُهُ حُلْوِ اللِّسَانِ[1]
ولو أنّي أشاءُ نَقَمْتُ منه بِشَغْبٍ مِنْ لِسَانٍ تَيِّحَانِ[2]
ولَكِنّي وَصَلْتُ الحَبْلَ مِنه مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أبي بَيَانِ
تَرَفَّعَ في بَنِي قَطَنٍ وحَلَّتْ بيوتَ المَجْدِ يَبْنِيهِنَّ بَانِي

يعني حلّت بنو قطن بيوتَ المجد.

وضَمْرَةُ إنَّ ضَمْرَةَ خَيْرُ جَارٍ إلى قَطَنٍ بِأَسْبَابٍ مِتَانِ
هِجَانُ الحَيِّ كالذَّهَبِ المُصَفَّى صَبِيحَةَ دِيمَةٍ يَجْنِيهِ جَانِ[3]

قال أبو عمرو: الذَّهبُ في معدنه إذا جاءه المطر ليلاً لاح من غدٍ عند طلوع الشمس فيُتَتَبَّعُ ويُؤْخَذ.

[مسعود بن سالم يخلّصه من الأسر فيمدحه]

قال أبو عمرو: وأُسِرَ ربيعةُ بنُ مقروم واسْتِيقَ مالُه، فتخلّصه مسعود بن سالم بن أبي سلمى بن ذُبيانَ بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السِّيد، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله: [الطويل]

كَفَانِي أبُو الأشْوَسِ المُنْكَرَاتِ كَفَاهُ الإلَهُ الَّذي يَحْذَرُ
أعَزُّ مِنَ السِّيدِ في مَنْصِبٍ إليهِ العَزَازَةُ والمَفْخَرُ[4]

وقال يمدحه أيضاً: [البسيط]

بَانَ الخَلِيطُ فَأَمْسَى القَلْبُ مَعْمُودا وأخْلَفَتْكَ ابْنَةُ الحُرِّ المَوَاعِيدَا
كَأَنَّها ظَبْيَةٌ بِكْرٌ أَطَاعَ لها مِنْ حَوْمَلٍ تَلَعَاتُ الحَيِّ أو أُودا[5]
قَامَتْ تُرِيكَ غَدَاةَ البَيْنِ مُنْسَدِلاً تَجَلَّلَتْ فوقَ مَتْنَيْهَا العَنَاقِيدَا
وبَارِداً طَيِّباً عَذْباً مَذَاقَتُهُ شَرِبْتُهُ مَزِجاً بالظَّلْمِ مَشْهُودا[6]

---

(١) الضَّبُّ: الضّغن والحقد.
(٢) نقمتُ: انتقمتُ. والشَّغب: هياج الشّرّ. والتَّيحان: من يتعرّض للشدائد والمكرمات.
(٣) الهِجانُ: الكريم الحسب. والدِّيمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.
(٤) السِّيد: الذّئب.
(٥) حومل: موضع بين إمّرة واسود العين (معجم البلدان ٢/ ٣٢٥). والتلعات: جمع تلعة: الرابية. وأود: موضع في ديار بني تميم (معجم البلدان ١/ ٢٧٧).
(٦) البارد الطيّب: ريقها. والظَّلْم: ماء الأسنان وبريقها.

وجَسْرَةٍ أُجُدٍ تَدْمَى مَنَاسِمُهَا أَعْمَلْتُهَا بِيَ حَتَّى تَقْطَعَ البِيدَا(١)
كَلَّفْتُها، فَأَتَى حَتْماً تَكَلُّفُهَا ظَهِيرَةً كَأَجِيجِ النَّارِ صَيْخُودا(٢)
في مَهْمَهٍ قُذُفٍ يُخْشَى الهَلاكُ به أَصْدَاؤُهُ لا تَنِي بِاللَّيْلِ تَغْرِيدَا(٣)
لَمَّا تَشَكَّتْ إِلَيَّ الأَيْنَ قُلْتُ لَهَا: لا تَسْتَرِيحِنَّ ما لم أَلْقَ مَسْعُودا(٤)
ما لم أُلاقِ امْرَأً جَزْلاً مَوَاهِبُهُ رَحْبَ الفِنَاءِ كَرِيمَ الفِعْلِ مَحْمُودا
وقَدْ سَمِعْتُ بِقَوْمٍ يُحْمَدُونَ فلم أَسْمَعْ بِمِثْلِكَ لا حِلْماً ولا جُودا
ولا عَفَافاً ولا صَبْراً لِنَائِبَةٍ ولا أُخَبِّرُ عَنكَ البَاطِلَ السِّيدَا(٥)

السِّيد: قَبِيل الممدوح من آلِ ضبَّة.

لا حِلْمُكَ الحِلْمُ مَوجُودٌ عليه، ولا يُلْفَى عَطَاؤُكَ في الأقوام مَنْكُودا(٦)
وقد سَبَقتَ لِغَايَاتِ الجَوَادِ وقد أَشْبَهْتَ آبَاءَكَ الشُّمَّ الصَّنَادِيدَا(٧)
هذا ثَنَائِي بِما أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ لا زِلْتَ بَرّاً قَرِيرَ العَيْنِ مَحْسُودَا

قال أبو عمرو: كان لِضَابِىء بن الحارث البُرجُمِيّ، على عَجْرَد بن عبد عمرو دينٌ بايعه به نَعَماً، واسْتخار الله في ذلك، وبايعه ربيعة بن مقْروم، ولم يستخر الله تعالى، ثم خافه ضابىء فاستجار بربيعةَ بن مقروم في مطالبته إياه، فضمنَ له جواره، فوَفَّى عَجْردٌ لضابىء، ولم يفِ لربيعة، فقال ربيعة: [الطويل]

أَعَجْرَدَ إِنِّي مِنْ أَمَانِيَّ بَاطِلٍ وقَوْلِ غَداً شَيْخٌ لِذَاكَ سَؤُومُ
وإِنَّ اخْتِلافِي نِصْفَ حَوْلٍ مُحَرَّمٍ إِليكم بَنِي هِنْدٍ عَلَيَّ عَظِيمُ
فلا أَعْرِفَنِّي بعدَ حَوْلٍ مُحَرَّمٍ وقَوْلٍ خَلا يُشْكُونَنِي فَأَلُومُ
ويَلْتَمِسُوا وُدِّي وعَطْفِيَ بَعْدَ ما تَنَاشَدَ قَوْلِي وَائِلٌ وتَمِيمُ
وإِنْ لم يَكُنْ إِلاَّ اخْتِلافِي إِليكُمُ فَإِنِّي امْرُؤٌ عِرْضِي عَلَيَّ كَرِيمُ
فلا تُفْسِدُوا ما كانَ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ بَنِي قَطَنٍ إِنَّ المُلِيمَ مُلِيمُ(٨)

---

(١) الجَسْرَة: الناقة الصلبة، وأُجُد: قويّة صلبة. والبِيد: جمع البيداء: الفلاة.
(٢) الصَّيخود: شدّة الحرارة.
(٣) مهمه قُذُف: فلاة بعيدة.
(٤) الأَين: التعب.
(٥) النائبة: المصيبة.
(٦) المنكود: القليل الخير.
(٧) الشُمّ: جمع الأشمّ: السيد الأبيّ الكريم. والصناديد: جمع الصنديد: البطل الشجاع.
(٨) المُليم: الذي يقع عليه اللوم.

فاجتمعت عشيرةُ عَجْردٍ عليه، وأخذوه بإعطاء ربيعة مالَه، فأعطاه إياه.

[شعر ربيعة بن مقروم يرويه حمّاد في حضرة الوليد بن يزيد]

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني حمّادُ بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عَديّ، عن حمّاد الرّاوية، قال: دخَلتُ على الوليد بن يزيدَ، وهو مُصطبِحٌ، وبين يديه معبد، ومالك، وابن عائشة وأبو كامل، وحكم الوادي، وعمر الوادي يُغَنُّونه، وعلى رأسِه وصيفة تَسقيه، لم أرَ مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً. فقال لي: يا حمَّاد، أمرتُ هؤلاء أن يُغَنُّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة، وجعلتُها لمن وافق صفتها نِحْلةً[1]. فما أتى أحدٌ منهم بشيء، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها، وهي لك؛ فأنشدته قولَ ربيعةَ بن مقروم الضّبّيِّ: [الكامل]

دارٌ لِسُعْدى إذ سُعَادُ كَأنَّها ... رَشَأٌ غَرِيرُ الطَّرْفِ رَخْصُ المِفْصَلِ
شَمَّاءُ وَاضِحَةُ العَوَارِضِ طَفْلَةٌ ... كَالبَدْرِ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ المُنْجَلِي[2]
وكَأنَّما رِيحُ القَرَنْفُلِ نَشْرُها ... أو حَنْوَةٌ خُلِطَتْ خُزَامَى حَومَلِ[3]
وكَأنَّ فَاهَا بعدما طَرَقَ الكَرَى ... كَأسٌ تُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ[4]
لو أنَّها عَرَضَتْ لأشْمَطَ رَاهِبٍ ... في رَأسِ مُشْرِفَةِ الذُّرَا مُتَبَتِّلِ[5]
جَأّرٍ سَاعَاتِ النِّيَامِ لِرَبِّهِ ... حَتَّى تَخَدَّدَ لَحْمُهُ مُسْتَعْمِلِ[6]
لَصَبَا لِبَهْجَتِها وحُسْنِ حَدِيثِها ... ولَهَمَّ من نَامُوسِهِ بِتَنَزُّلِ[7]

فقال الوليد: أصبتَ وَصْفَها، فاخترها أو ألفَ دينار، فاخترت الألف الدينار، فأمرها فدخلتْ إلى حرمِه، وأخذتُ المال.

---

(١) النِّحلَة: العَطِيّة.
(٢) شمّاء: متكبّرة مترفّعة. والعوارض: جمع العارضة: صفحة الخدّ. والطَّفْلَة: الناعمة اللّيّنة الملمس.
(٣) النَّشر: الرائحة الطيّبة. والحَنْوَة: الريحانة. والخزامى: عشبة طيبة الرائحة. وحومل: اسم موضع.
(٤) الكَرَى: النوم. والسَّلْسَل: الماء العذب الصافي، أو الخمر اللّيّنة.
(٥) الأشمط: الذي اختلط سواد شعره بالبياض.
(٦) جأّر: كثير الجؤار وهو رفع الصوت في الدعاء. تخدَّد: تشقّق.
(٧) الناموس: بيت الراهب.

[مختارات من شعره]

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجَيِّدِه وحسَنِه، فمن مختارها ونادرها قوله:

صوت

[الطويل]

بَلْ إنْ تَرَيْ شَمَطاً تَفَرَّعَ لِمَّتِي ... وحَنَا قَنَاتِي وارْتَقَى في مِسْحَلي(١)
ودَلَفْتُ من كِبَرٍ كأنِّيَ خاتِلٌ ... قَنَصاً ومَنْ يَدْبِبْ لِصَيْدٍ يَخْتِلِ(٢)
فلقد أرَى حَسَنَ القَنَاةِ قَوِيمَها ... كالنَّصْلِ أخْلَصَهُ جَلاءُ الصَّيْقَلِ(٣)
أزْمَانَ إذْ أنَا والجَدِيدُ إلى بِلًى ... تُصْبِي الغَوَانِي مَيْعَتي وتَنَقُّلِي(٤)

غَنَّى بذلك معبد ثقيلاً أول.

ولقد شَهِدْتُ الخَيْلَ يومَ طِرَادِها ... بِسَلِيمِ أوْظِفَةِ القوائمِ هَيْكَلِ(٥)
مُتَقَاذِفٍ شَنِجِ النَّسَا عَبْلِ الشَّوَى ... سَبَّاقِ أنْدِيَةِ الجِيَادِ عَمَيْثَلِ(٦)
لولا أُكَفْكِفُهُ لَكَانَ إذا جَرَى ... منه العَزِيمُ يَدُقُّ فَأْسَ المِسْحَلِ(٧)
وإذا جَرَى منه الحَمِيمُ رَأَيْتَهُ ... يَهْوِي بِفَارِسِهِ هُوِيَّ الأجْدَلِ(٨)
وإذا تَعَلَّلُ بالسِّيَاطِ جِيَادُها ... أعْطَاكَ نَائِيَهُ ولم يَتَعَلَّلِ
ودَعَوا: نَزَالِ فَكُنْتُ أوَّلَ نَازِلٍ ... وعَلامَ أرْكَبُهُ إذا لم أنْزِلِ؟
ولقد جَمَعْتُ المَالَ مِنْ جَمْعِ امْرِئٍ ... ورَفَعْتُ نَفْسِي عَنْ لَئِيمِ المَأكَلِ
ودَخَلْتُ أبْنِيَةَ المُلوكِ عَلَيْهِمُ ... ولَشَرُّ قَوْلِ المَرْءِ ما لم يَفْعَلِ
ولَرُبَّ ذِي حَنَقٍ عَلَيَّ كَأنَّما ... تَغْلِي عَدَاوةُ صَدْرِهِ كالمِرْجَلِ
أزْجَيْتُهُ عَنِّي فَأبْصَرَ قَصْدَهُ ... وَكَوَيْتُهُ فَوقَ النَّوَاظِرِ مِنْ عَلِ(٩)

(١) تفرّع: امتدّ. والمِسْحَل: جانب اللّحية.
(٢) الخاتل: المخادع.
(٣) الصّيقَل: الذي يشحذ السيوف ويقوّمها.
(٤) الميعة: أوّل الشباب.
(٥) الأوظفة: جمع الوظيف: مستدقّ الذراع والساق من الخيل والإبل. والهيكل: الضخم.
(٦) الشّنج: المنقبض. والنّسا: العصب الوركي. وعبل الشّوى: ضخم الأطراف ممتلئها. والعميثل: الضخم القوي.
(٧) العزيم: الجري. والمِسْحَل: اللّجام. وفأس المسحل: الحديدة التي في حنك الفرس.
(٨) الحميم: العَرَق. الأجدل: الصقر.
(٩) أزجيته: دفعته.

وأخِي مُحَافَظَةٍ عَصَى عُذَّالَهُ وأَطَاعَ لَذَّتَهُ مُعِمٌّ مُخْوِلِ
هَشٌّ يُرَاحُ إلى النَّدَى نَبَّهْتُهُ والصُّبْحُ سَاطِعُ لَوْنِهِ لم يَنْجَلِ[١]
فَأَتَيْتُ حَانوتاً به فَصَبَحْتُهُ من عَاتِقٍ بِمزَاجِها لم تُقْتَلِ[٢]
صَهْبَاءَ إلْيَاسِيَّةٍ أَغْلَى بها يَسرٌ كَرِيمُ الخِيم غَيْرُ مُبَخَّلِ[٣]
ومُعَرَّسٍ عُرْضِ الرِّدَاءِ عَرَسْتُهُ مِنْ بَعْدِ آخَرَ مِثْلِهِ في المَنْزِلِ[٤]
ولقد أَصَبْتُ مِنَ المَعِيشَةِ لِينَها وأصَابَنِي منه الزَّمانُ بِكَلْكَلِ[٥]
فإذا وذاكَ كَأَنَّهُ ما لم يَكُنْ إلاَّ تَذَكُّرُهُ لِمَنْ لم يَجْهَلِ
ولقد أتَتْ مائةٌ عَلَيَّ أَعُدُّها حَوْلاً فَحَوْلاً لا بَلاها مُبتلِ
فإذا الشَّبَابُ كَمِبْذَلٍ أَنْضَيْتُهُ والدَّهْرُ يُبْلِي كُلَّ جِدَّةِ مِبْذَلِ[٦]
هَلاَّ سَأَلْتِ وخبْرُ قَوْم عِنْدَهُمْ وشِفَاءُ غَيِّكِ خَابِراً أَنْ تَسْأَلِي
هل نُكْرِمُ الأَضْيَافَ إنْ نَزلُوا بِنَا ونَسُودُ بالمعروفِ غَيْرَ تَنَحُّلِ؟[٧]
ونَحُلُّ بالثَّغْرِ المَخُوفِ عَدُوُّهُ ونَرُدُّ حَالَ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ
ونُعِينُ غَارِمَنا ونَمْنَعُ جَارَنا ونَزِينُ مَولى ذِكْرِنا في المَحْفِلِ
وإذا امْرُؤٌ مِنَّا حَبَا فكَأَنَّهُ مِمَّا يُخَافُ على مَنَاكِبِ يَذْبُلِ[٨]
ومتى تَقُمْ عِنْدَ اجْتِمَاعِ عَشِيرةٍ خُطَبَاؤُنَا بينَ العَشِيرَةِ يُفْصَلِ
ويَرَى العَدُوُّ لَنَا دُرُوءاً صَعْبَةً عِنْدَ النُّجُوم مَنِيعَةَ المُتَأَوَّلِ[٩]
وإذا الحَمَالَةُ أَثْقَلَتْ حُمَّالَها فَعَلَى سَوَائِمِنَا ثَقِيلُ المَحْمِلِ[١٠]
ونَحُقُّ في أَمْوَالِنا لِحَلِيفِنا حَقّاً يَبُوءُ به وإن لم يَسْأَلِ

وهذه جملةٌ جمعتُ فيها أغاني من أشعار اليهود، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة، فمن ذلك:

(١) يراح إلى الندى: يرتاح إلى الجود.
(٢) العاتق: الخمر المعتّقة. ولم تقتلْ: لم تُمزَجْ بالماء.
(٣) إلياسية: نسبة إلى إلياس، لعلّه اسم خَمّار. والخِيم: الأصل.
(٤) المُعَرَّس: مكان التعريس وهو الإقامة ليلاً.
(٥) الكلكل: الصدر. وهنا الهموم والأحزان.
(٦) المِبذَل: الثوب يُلبس في العمل. أنضيته: أبليته.
(٧) التنحُّل: الادّعاء والكذب.
(٨) يَذْبُل: اسم جبل بنجد (معجم البلدان ٥/ ٤٣٣).
(٩) الدروء: جمع الدرء: هو النتوء في الجبال. والمتأوّل: من تأوّل الأمر: تَحَرّاه.
(١٠) الحَمَالة: الدِّيَة التي يحملها قومٌ عن قوم.

صوت

[الكامل]

أَنَّى تَذَكَّرَ زَيْنَبَ القَلْبُ وطِلاَبُ وَصْلِ عَزِيزَةٍ صَعْبُ
ما رَوْضَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ لَهَا مَوْشِيَّةٌ ما حَوْلَها جَدْبُ
بِأَلَذَّ مِنْهَا إذْ تَقُولُ لَنَا سَيْراً قَلِيلاً يَلْحَقِ الرَّكْبُ

الشعر لأوْس بن ذبّي القرظي، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وزعم عمرو أن فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى لمالك، وأن فيه صنعة لابن محرز، ولم يجنسها.

أخبار أوس ونسب اليهود النازلين بيثرب وأخبارهم

أوس بن ذبّي اليهوديُّ رجلٌ من بني قُرَيْظة، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم: الكاهنان، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران صلى الله على محمد وآله وعليهما، وكانوا نزولاً بنوَاحِي يثربَ بعد وفاة موسى بنِ عمرانَ عليه السلام، وقبل تفرّق الأزد عند انفجار سَيْلِ العَرِم[1] ونزول الأوس والخزرج بيثرب.

[العمالقة كانوا هم سُكّان المدينة]

أخبرني بذلك عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ، عن جعفر بن محمد العاصي عن أبي المنهال عُيَيْنَةَ بن المنهال المهلبي، عن أبي سليمان جعفر بن سعد، عن العِماري، قال: كان سَاكِنُو المدينة في أول الدَّهر قبل بني إسرائيل قوماً من الأمم الماضية، يقال لهم العماليق، وكانوا قد تفرَّقوا في البلاد، وكانوا أهل عِزٍّ وبَغْي شديد، فكان ساكني المدينةِ منهم بنُو هفّ وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق، وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يقال له الأرقم، ينزل ما بين تَيْماءَ إلى فَدَك[2]، وكانوا قد ملأوا المدينة، ولهم بها نخلٌ كثير وزروع، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة من أهل القرى يغزونهم، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشاً من بني إسرائيل، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم، ولا يَستبقُوا منهم أحداً، فقدم الجيشُ الحجازَ، فأظهرهم[3] اللّهُ عزَّ وجَلَّ على

(١) العَرِمُ: السيل الذي لا يُطاق، والعَرِمُ المطر الشديد (لسان العرب «عرم»).
(٢) فَدَك: قرية بالحجاز (معجم البلدان ٤/ ٢٣٨).
(٣) أظهرهم عليهم: جعلهم يقهرونهم.

العماليق، فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم؛ فإنه كان وضيئاً جميلاً، فضَنُّوا به على القتل، وقالوا: نذهب به إلى موسى بن عمران، فيرى فيه رأيه، فرجعوا إلى الشَّام، فوجدوا موسى ـ ﷺ ـ قد تُوفِّي، فقالت لهم بنو إسرائيل: ما صنعتم؟ فقالوا: أظهرنا الله جلَّ وعزَّ عليهم، فقتلناهم، ولم يبقَ منهم أحد غيرُ غلام كان شاباً جميلاً، فَنَفِسْنَا[1] به عن القتل، وقلنا: نأتي به موسى ﷺ، فيرى فيه رأيه، فقالوا لهم: هذه معصية، قد أُمِرْتُمْ ألاَّ تَسْتَبْقُوا منهم أحداً، والله لا تدخلون علينا الشَّام أبداً.

[نزول اليهود المدينة]

فلما مُنِعُوا ذلك قالوا: ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز، نرجع إليهم، فنقيم بها. فرجعوا على حاميتهم، حتى قدموا المدينة فنزلوها، وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة، فانتشروا في نواحي المدينة كلّها إلى العالية، فاتّخذوا بها الآطام[2] والأموال والمزارع، ولبثوا بالمدينة زماناً طويلاً. ثم ظهرت الرّوم على بني إسرائيل جميعاً بالشام، فوطئوهم، وقتلوهم، ونكحوا نساءهم، فخرج بنو النَّضير وبنو قريظة وبنو بَهْدَل هاربين منهم إلى مَنْ بالحجاز من بني إسرائيل لمّا غلبتهم الرّوم على الشام، فلما فَصَلوا عنها بأهليهم بعث ملكُ الروم في طلبهم لِيردّهم فأعجزوه، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز[3]، فلمّا بلغَ طلبُ الرّوم التمرَ انقطعت أعناقهم عطشاً فماتوا، وسُمِّيَ الموضع تمر الروم، فهو اسمه إلى اليوم. فلما قدم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابَةَ، فوجدوها وَبِيَّة[4] فكرهوها، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمسَ لهم منزلاً سِوَاها، فخرج حتى أتى العالية، وهي بُطحانُ ومَهْزُورٌ: واديان من حَرَّة على تلاع أرض عذبة، بها مياه عذبة تنبت حُرَّ الشَّجر، فرجع إليهم، فقال: قد وجدتُ لكم بلداً طيباً نَزِهاً على حَرّة يصبّ فيها واديان على تِلاع عذبة ومَدرةٍ[5] طَيّبة في مُتأخّرِ الحَرَّة ومدافع الشَّرْج، قال: فتحوَّلَ القومُ إليها من منزلهم ذلك، فنزلت بنو

(١) نَفِسَ به: ضَنّ به.

(٢) الآطام: لحصون.

(٣) المفاوز: جمع مفازة: الصحراء.

(٤) وَبِيّة: وبيئة: كثيرة الوباء.

(٥) التلاع: جمع التلعة: المرتفع من الأرض. والمدرة: التربة.

النّضير ومن معهم على بُطحانَ[١]، وكانت لهم إبل نواعم فاتَّخذوها أموالاً، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور، فكانت لهم تِلاعُهُ وما سقي من بُعاثَ وسموات[٢]، فكان مِمّن يسكن المدينة ـ حين نزلها الأوس والخزرج ـ من قبائل بني إسرائيل بنو عكرمة، وبنو ثعلبة، وبنو محمر، وبنو زغورا، وبنو قينقاع، وبنو زيد، وبنو النضير، وبنو قريظة، وبنو بهدل، وبنو عوف، وبنو الفصيص، فكان يسكن يثربَ جماعةٌ من أبناء اليهود، فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة، ولهم كان الأُطُمُ الذي يقال له الخال.

[بطون من العرب في المدينة]

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم بنو الحرمان، حيّ من اليمن، وبنو مَرْثد حَيّ من بليّ، وبنو أُنَيْف من بليّ أيضاً، وبنو معاوية حيّ من بني سليم ثم من بَنِي الحارث بن بَهْثَةَ، وبنو الشُّطَية حيّ من غسّان، وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود: الكاهنان، نُسِبوا بذلك إلى جَدِّهم الذي يقال له الكاهن، كما يقال: العُمَران والحَسَنان والقَمَران[٣]، قال كعب بن سعد القرظي: [البسيط]

بِالكَاهِنَيْنِ قَرَرْتُمْ في دِيَارِكُمُ جَمّاً ثَوَاكُمْ ومَنْ أَجْلاكُمُ جَدُبَا[٤]

وقال العبّاس بن مرداس السُّلمي يردّ على خَوّاتِ بنِ جبير لمّا هجاهم:

[الطويل]

هَجَوْتَ صَرِيحَ الكَاهِنَيْنِ وفِيكُمُ لهم نِعَمٌ كانت مَدَى الدَّهرِ تُرْتُبَا[٥]

فلمَّا أرسلَ اللَّهُ سَيْلَ العَرِمِ على أهل مأرب، وهم الأزد، قام رائدهم فقال: من كان ذا جَمَلٍ مِفَنٍّ ووَطْبٍ[٦] مدنّ وقربةٍ وشنّ[٧]، فلينقلبْ عن بقرات النّعم،

(١) بُطحان: وادٍ بالمدينة (معجم البلدان ١/٤٤٦).
(٢) بعاث: موضع في نواحي المدينة (معجم البلدان ١/٤٥١). وسموات: موضع في المدينة.
(٣) العُمَرَان: أبو بكر الصّديق وعمر بن الخطّاب. والحسنان: الحسن والحسين عليهما السلام. والقَمَران: الشمس والقمر.
(٤) الثّوَى: الإقامة. وجَدُب: امحل.
(٥) تُرْتُباً: أمراً ثابتاً.
(٦) الوطْب: سقاء اللبن.
(٧) الشنّ: القربة الصغيرة.

فهذا اليوم يومُ همّ[١] وليلحق بالثِّني من شنّ - قال وهو بالسراة - فكان الذين نزلوه أزد شنوءة، ثم قال لهم: ومَنْ كان ذا فاقةٍ وفقر، وصبر على أزمات الدّهر فليلحقْ ببطن مُرّ، فكان الذين سكنوه خزاعة، ثم قال لهم: من كان منكم يريد الخمر والخمير، والأمر والتأمير، والدّيباج والحرير، فليلحقْ بِبُصْرى والحفير، وهي من أرض الشام، فكان الذين سكنوه غسّان، ثم قال لهم: ومَنْ كان منكم ذا همٍّ بعيد وجمل شديد، ومزاد[٢] جديد، فليلحق بقصر عُمَان الجديد، فكان الذين نزلوه أزد عمان، ثم قال: ومن كان يريد الرّاسخاتِ في الوَحْل، المطمعاتِ في المحْل[٣]، فليلحقْ بيثرب ذات النخل.

[الأوس والخزرج أول من نزلوا المدينة]

فكان الذين نزلوها الأوسَ والخزرج، فلما توجهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا في صِرار[٤] ثم تفرّقوا، وكان منهم من لجأ إلى عَفاءٍ[٥] من أرض لا ساكن فيه، فنزلوا به، ومنهم من لجأ إلى قرية من قُراها، فكانوا مع أهلها، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاء؛ لأن المدينة ليست بلاد نَعَم، وليسوا بأصحاب نخل ولا زرع، وليس للرجال منهم إلا الأعْذَاقُ اليسيرة، والمزرعة يستخرجها من أرض موات، والأموال لليهود، فلبثت الأوس والخزرج بذلك حيناً.

[أبو جبيلة يفتك باليهود]

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبي جُبَيْلة الغَسّانيّ وهو يومئذٍ مَلِك غسان، فسأله عن قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم؛ وضيق معاشهم، فقال له أبو جبيلة: والله ما نزل قوم منا بلداً قَطّ إلاَّ غلبوا أهله عليه، فما بالكم؟ ثم أمره بالمضيّ إلى قومه، وقال له: أَعْلِمْهُمْ أني سائر إليهم، فرجع مالك بن العجلان، فأخبرهم بأمر

(١) يوم همّ: يوم هِمّة وعزيمة.
(٢) المزاد: جمع المزادة: وعاء الماء الذي يُحمّل في السفر.
(٣) الراسخات في الوحل: يريد بها أشجار النخيل. والمحل: الجدب.
(٤) صرار: ماء قرب المدينة (معجم البلدان ٣/٣٩٨).
(٥) العفاء: اليباب.

أبي جُبَيْلة؛ ثم قال لليهود: إن الملكَ يريد زيارتكم فأَعِدُّوا نُزُلاً. فأعدّوه، وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف، حتى قدمَ المدينة، فنزل بذي حُرض[١]، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج، فذكر لهم الذي قدم له، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رُؤوسهم وأشرافهم، وخَشِيَ إن لم يمكرْ بهم أن يَتَحَصَّنوا في آطامهم، فَيُمْنَعوا منه حتى يطولَ حصاره إياهم، فأمر ببنيان حائرٍ[٢] واسع، فبُنِيَ، ثم أرسل إلى اليهود: إن أبا جبيلة الملكَ قد أحبَّ أن تأتوه، فلم يبقَ وجهٌ من وجوه القوم إلاّ أتاه، وجعل الرّجل يأتي معه بخاصّته وحَشَمِه رجاءَ أن يَحْبُوَهُمْ، فلمّا اجتمعوا ببابه أمرَ رجالاً من جنده أن يدخلوا الحائر، ويدخلوهم رجلاً رجلاً، فلم يَزَلْ الحجَّاب يأذنون لهم كذلك، ويقتلُهُم الجند الّذين في الحائر، حتى أتوا على آخرهم. فقالت سارة القريظيّة ترثي مَنْ قتل منهم أبو جُبيْلة، تقول: [الوافر]

بِنَفْسِيَ أُمَّةٌ لم تُغْنِ شَيْئاً ... بِذِي حُرُضٍ تُعَفِّيها الرِّيَاحُ
كُهُولٌ مِنْ قُرَيْظَةَ أَتْلَفَتْها ... سُيوفُ الخَزْرَجِيَّةِ والرِّمَاحُ
رُزِئْنَا والرَّزِيَّةُ ذاتُ ثِقْلٍ ... يَمُرّ لأَهْلِها المَاءُ القَرَاحُ[٣]
ولو أَرِبُوا بِأَمْرِهِمُ لَجَالَتْ ... هُنَالِكَ دُونَهُمْ جَأْوَا رَدَاحُ[٤]

وقال الرّمق، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جُبيلة الغساني: [مجزوء الكامل]

لم يُقْضَ دَيْنُكَ في الحِسا ... نِ وقد غَنِيتَ وقد غَنِينَا[٥]
الرَّاشِقَاتِ المُرْشِقَا ... تِ الجَازِياتِ بِمَا جُزِينَا[٦]
أَمْثَالُ غِزْلانِ الصَّرا ... ئِمِ يَأْتَزِرْنَ ويَرْتَدِينَا[٧]
الرَّيْطَ والدِّيبَاجَ ... والزَّرَدَ المُضَاعَفَ والبُرِينا[٨]

(١) حرض: وادٍ بالمدينة عند أُحد. (معجم البلدان ٢/ ٢٤٢).
(٢) الحائر: المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء فيتحيّر ولا يخرج.
(٣) يَمُرّ: يصبح مُرّاً. والقَرَاح: الصافي العَذْب.
(٤) أَرِبَ بالشيء: كان من ذوي الأرَب، والأَرَبُ: الفطنة والحذق. والجَأوا: مقصور الجأواء: من أوصاف الكتيبة وهي الجرّارة. ورداح: كثيرة العدد.
(٥) غنيت: أقمت في المكان.
(٦) المرشقات: المادّات أعناقهنّ.
(٧) الصّرائم: جمع الصريمة: القطعة من الرمل.
(٨) الرَّيْط: الثياب اللّيِّنة الرقيقة. والبُرِين: جمع بُرّة: الحلقة من سوار أو خلخال أو الحلق.

وأَبُــو جُــبَــيْــلَــةَ خَــيْــرُ مَــنْ يَــمْــشِــي وأَوْفَــاهُــمْ يَــمِــيــنَــا
وأَبَــرُّهُ بِــــرّاً وأَعْـــلَـــمُــهُ بِــعِــلْــمِ الــصَّــالِــحِــيــنَــا
أَبْــقَــتْ لَــنَــا الأَيَّــامُ والــحَــرْبُ الــمُــهِــمَّــةُ تَــعْــتَــرِيــنَــا
كَــبْــشــاً لــنــا ذَكَــراً يَــفُــلُّ حُــسَــامُــهُ الــذَّكَــرَ الــسَّــنِــيــنَــا[1]
ومَــعَــاقِــلاً شُــمّــاً وأَسْــيَــافــاً يَــقُــمْــنَ ويَــنْــحَــنِــيــنَــا
ومَــحَــلَّــةً زَوْرَاءَ تُــرْجِــفُ بِــالــرِّجَــالِ الــمُــصْــلِــتِــيــنَــا[2]

فلما أنشدوا أبا جُبَيْلة ما قال الرمق، أرسل إليه فجِيءَ به، وكان رجلاً ضئيلاً غير وَضِيء، فلمّا رآه قال: «عسلٌ طيّبٌ ووعاء سوء»، فذهبت مَثَلاً، وقال للأوس والخزرج: إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم، ثم رحل إلى الشام.

وقال الصامت بن أصرم النّوْفليّ يذكر قَتْل أبي جبيلة اليهود: [الكامل]

سَائِلْ قُرَيْظَةَ مَنْ يُقَسِّمُ سَبْيَهَا يومَ العُرَيْضِ ومَنْ أَفَاءَ المَغْنَما؟[3]
جَاءَتْهُمُ المَلْحَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّها وَكَتِيبَةٌ خَشْنَاءُ تَدْعُو أَسْلَما[4]
عَمِّي الَّذي جَلَبَ الهمامَ لِقَوْمِهِ حَتَّى أَحَلَّ على اليهودِ الصَّيْلَما[5]

يعني بقوله: «من يُقَسِّم سبيَها» نسوةً سباهنّ أبو جُبَيْلة من بني قريظة، وكان رآهن فأعجبنه، وأعطى مالك بن العجلان منهن امرأة.

قال أبو المنهال أحدُ بني المعلّى: إنهم أقاموا زمناً بعد ما صنع، ويهود تعترض عليهم وتُنَاوِئهم، فقال مالك بن العجلان لقومه: والله ما أَثْخَنّا يهودَ غلبةً كما نريد، فهل لكم أن أصنع لكم طعاماً، ثم أُرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود، فإذا جاءُوني فاقتلوهم جميعاً، فقالوا: نفعل، فلما جاءهم رسول مالك قالوا: والله لا نأتيهم أبداً، وقد قَتَل أبو جُبَيْلة منا مَن قتل، فقال لهم مالك: إن ذلك كان على غير هوًى منا، وإنّما أردنا أن نمحوَه، وتعلموا حالَكم عندنا،

(١) الكبش: سيّد القوم. ويفلّ: يثلم. والذّكر السّنين: السيف الحادّ المسنون.
(٢) الزّوراء: البعيدة. والمصليت: الذي جرّد السيف من غمده.
(٣) العُرَيض: وادٍ بالمدينة (معجم البلدان ٤/ ١١٤).
(٤) الملحاء: الكتيبة العظيمة. والخشناء: الكثيرة السلاح.
(٥) الصّيْلم: السيف.

فأجابوه، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقُتِل، حتى قَتَل منهم بضعة وثمانين رجلاً، ثم إن رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك، فَتَسَمَّع فلم يسمع صوتاً فقال: أرى أسرَعَ وِرْدٍ وأبعدَ صَدَرٍ[1]، فرجع وحَذَّر أصحابه الذين بَقُوا، فلم يأتِ منهم أحدٌ، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان: [المتقارب]

فَسَفَّهْتَ قَيْلَةَ أَحْلاَمَها ... فَفِيمَنْ بَقيْتَ وفيمنْ تَسُودْ؟[2]

فقال مالك: [المتقارب]

فَإِنِّي امْرُؤٌ من بَنِي سَالِمِ بْـ ... ـنِ عَوْفٍ وأنتَ امْرُؤٌ من يَهُودْ

قال: وصَوَّرت اليهود مالكاً في بِيعهم[3] وكنائِسهم، فكانوا يلعنونه كلما دخلوها، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله: [المتقارب]

تَحَامِي اليَهُودِ بِتَلْعانِها ... تَحَامِي الحَمِيرِ بِأَبوالِها
فَمَاذا عَلَيَّ بأَنْ يَلْعَنوا ... وتَأْتِي المَنَايا بِأذلالِها[4]

قال: فلمّا قَتلَ مالكٌ من يهود مَنْ قَتل ذلّوا؛ وقلّ امتناعُهم؛ وخافوا خوفاً شديداً؛ وجعلوا كلما هاجمهم أحدٌ من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمشِ بعضُهم إلى بعض، كما كانوا يفعلون قبل ذلك، ولكن يذهب اليهوديّ إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكم، فكان كل قوم من يهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج، يتعزّزون بهم.

وذكر أبو عمرو الشيبانيّ أن أوسَ بنَ دَبّي القرظيَّ كانت له امرأة من بني قريظة أسلمت وفارقته، ثم نازعتها نفسها إليه، فأتته وجعلت ترغبه في الإسلام، فقال فيها: [الطويل]

دَعَتْنِي إلى الإسلامِ يَوْمَ لَقِيتُها ... فقلتُ لها: لا بَلْ تَعَالَيْ تَهَوَّدِي
فنحنُ على تَوْرَاةِ مُوسَى ودِينِهِ ... ونِعْمَ لَعَمْرِي الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدِ
كِلاَنَا يَرَى أَنَّ الرِّسالَةَ دِينُهُ ... ومَنْ يُهْدَ أَبْوَابَ المَرَاشِدِ يَرْشُدِ

---

(١) أي يدخلون فلا يخرجون.
(٢) قَيْلَة: أمّ الأوس والخزرج.
(٣) البيع: جمع البِيعة: مكان العبادة لليهود.
(٤) الأذلال: جمع ذُلّ: هو ما مُهِّدَ من الطريق بكثرة الوطء.

ومن الأغاني في أشعار اليهود:

صوت

[الوافر]

أَعَـاذِلَـتِـي أَلاَ لا تَـعْـذِلِـيـنِـي ... فـكَـمْ مِـنْ أَمْـرِ عَـاذِلَـةٍ عَـصَـيْـتُ
دَعِـيـنِـي وارْشُـدِي إن كُـنْـتُ أَغْـوَى ... ولا تَـغْـوَيْ زَعَـمْـتِ كَـمَـا غَـوَيْـتُ
أَعَـاذِلَ قـد أَطَـلْـتِ الـلَّـوْمَ حَـتَّـى ... لَـوَانِّـي مُـنْـتَـهٍ لَـقَـدِ انْـتَـهَـيْـتُ
وحَـتَّـى لـو يَـكُـونُ فَـتَـى أُنَـاسٍ ... بَـكَـى مِـنْ عَـذْلِ عَـاذِلَـةٍ بَـكَـيْـتُ
وصَـفْـرَاءَ الـمَـعَـاصِـمِ قـد دَعَـتْـنِـي ... إلـي وَصْـلٍ فـقـلـتُ لـهـا: أَبَـيْـتُ[1]
وزِقٍّ قـد جَـرَرْتُ إلـى الـنَّـدَامَـى ... وزِقٍّ قـد شَـرِبْـتُ وقـد سَـقَـيْـتُ

الشعر للسموأل بن عاديا ـ فيما رواه السكري عن الطوسيّ ـ ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والثاني والرابع والخامس من الأبيات؛ وزعم ابن المكي أنه لمعبد، وزعم عمرو بن بانة أنه لمالك، ولِدَحْمان أيضاً في الأول والثاني والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكي أن هذا الرمل لابن سريج، وفي الأول والثاني والسادس رمل بالوسطى، لأبي عبيد مولى فَائِد ثاني ثقيل عن يحيى المكي، وزعم الهشامي أن الرمل لعبد العزيز الدفاف.

(١) صفراء المعاصم: كناية عن كثرة الأساور في يديها.

أخبار السموأل ونسبه

[اسمه ونسبه ووفاؤه]

هو السَّموأل بن عُرَيض بن عاديا بن حباء، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكريّ عن الطوسيّ وابن حبيب، وذكر أن الناس يُدرِجون عُرَيضاً في النسب، وينسبونه إلى عاديا جده، وقال عمر بن شبة: هو السموأل بن عاديا، ولم يذكر عريضاً. وحكى عبد الله بن أبي سعد عن دارم بن عقال - وهو من ولد السَّموأل - أن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء، وهذا عندي محال؛ لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل وأدرك الإسلام، وعمرو مزيقيا قديم، لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشَرَة بل أكثر، والله أعلم.

وقد قيل: إن أُمَّه كانت من غسّان، وكلّهم قالوا: إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق[1] بتيماء المشهور بالوفاء، وقيل: بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان هذا الحصن لجده عاديا، واحتفر فيه بئراً رَوِيَّة عذبة، وقد ذكرتْه الشعراء في أشعارها، قال السموأل: [المتقارب]

فَبِالأَبْلَقِ الفَرْدِ بَيْتي بِهِ وبَيْتُ النَّضِيرِ سِوَى الأَبْلَقِ

وقال السَّموأل يذكر بناء جدّه الحصن: [الوافر]

بَنَى لي عَادِيا حِصْناً حَصِيناً ومَاءً كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

وكانت العرَبُ تنزل به فيضيفها، وتمتارُ[2] من حصنه، وتقيم هناك سوقاً. وبه يُضرَبُ المَثَل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قُتِلَ، ولم يَخُنْ أمانته في أدْرَاع أودِعَها.

---

(١) الأبلق: حصن مشرف على تيماء بين الحجاز والشام (معجم البلدان ١/ ٧٥).

(٢) تمتار: من الميرة وهي طلب القوت.

[خبره مع امرىء القيس]

وكان السبب في ذلك ـ فيما ذكر لنا محمد بن السّائب الكلبيّ ـ أن امرأ القيس بنَ حُجْر لمّا سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أسد وكراهةِ أصحابه لفعله، وتفرّقهم عنه، حتى بَقِيَ وحدَه، واحتاج إلى الهرب، فطلبه المنذر بن ماء السماء، ووجَّه في طلبه جيوشاً من إياد وبهراءَ وتنوخ وجيشاً من الأساورة أَمَدَّهُ بهم أنو شروان، وخذلته حِمْيَر، وتفرّقُوا عنه، فلجأ إلى السموأل ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة: الفضفاضة والضافية والمحصنة والخريق وأم الذيول، وكانت الملوك من بني آكل المرار[1] يتوارثونها ملكٌ عن ملك، ومعه بنته هند، وابن عمّه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث، وسلاح ومال كان بَقِيَ معه، ورجل من بني فزارة يقال له الربيعُ بن ضبُع شاعر، فقال له الفزاريّ: قل في السموأل شعراً تمدحه به، فإن الشعر يعجبه، وأنشده الربيع شعراً مدحه به وهو قوله: [الكامل]

ولقد أَتَيْتُ بَنِي المُصَاصِ مُفَاخِراً ... وإلى السَّمَوْأَلِ زُرْتُهُ بالأَبْلَقِ
فأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحَمَّلَ حَاجَةً ... إنْ جِئْتَهُ في غَارِمٍ أو مُرْهَقِ
عَرَفَتْ له الأَقْوَامُ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... وحَوَى المَكَارِمَ سَابِقاً لم يُسْبَقِ

قال: فقال امرؤ القيس فيه قصيدته: [الكامل]

طَرَقَتْكَ هِنْدٌ بَعْدَ طُولِ تَجَنُّبِ ... وَهْناً ولم تَكُ قَبْلَ ذلك تَطْرُقُ[2]

قال: وقال الفزاريّ: إن السَّموأل يَمْنَعُ منك حتى يرى ذاتَ عينك، وهو في حصن حصين ومال كثير، فقدم به على السموأل، وعرَّفَه إيّاه، وأنشداه الشعر، فعرف لهما حَقَّهما، وضربَ على هِند قبَّةً من أَدَم، وأنزل القوم في مجلس له بَرَاح[3]، فكانت عنده ما شاء الله.

ثم إنَّ امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغسَّاني أن يوصله إلى قيصر، ففعل واستصحب معه رجلاً يَدُلُّهُ على الطريق، وأودع بَنِيه وماله وأدراعَه السموألَ، ورحل إلى الشام، وخلّف ابن عَمّه يزيد بن الحارث مع ابنته

(١) آكل المرار: هو لقب حجر بن عمرو بن الحارث الأصغر.
(٢) الوَهن: نصف الليل أو بعده بساعة.
(٣) بَرَاح: واسع.

هند قال: ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق، ويقال: بل الحارث بن أبي شَمِر الغساني؛ ويقال: بل كان المنذر وَجَّهَ بالحارث بن ظالم في خيل، وأَمَرَهُ بأخذ مال امرىء القيس من السموأل. فلما نزل به تَحَصَّنَ منه، وكان له ابن قد يَفع وخرج إلى قَنص له، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم، ثم قال للسموأل: أتعرف هذا؟ قال: نعم، هذا ابني، قال: أفتسلّم ما قِبَلكَ أم أقتله؟ قال: شأنك به، فلستُ أَخْفِرُ ذِمَّتي[1]، ولا أُسلم مال جاري، فضربَ الحارثُ وسَط الغلام، فقطعه قطعتين، وانصرف عنه؛ فقال السموأل في ذلك: [الوافر]

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إنّي ... إذَا مَا ذُمَّ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ
وأَوْصَى عَادِيَاً يَوْماً بِأَلاَّ ... تُهَدِّمْ يا سَموألُ ما بَنَيْتُ
بَنَى لي عَادِياً حِصْناً حَصِيناً ... ومَاءً كُلَّما شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

وقال الأعشى يمدح السموأل ويستجير بابنه شريح بن السموأل من رجل كلبيّ كان الأعشى هجاه، ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه، فنزَل بشريح بن السموأل، وأحسن ضيافته ومَرّ بالأَسْرَى، فناداه الأعشى: [البسيط]

شُرَيْحُ لا تُسْلِمَنِّي اليَوْمَ إذْ عَلِقَتْ ... حِبَالُكَ اليومَ بعدَ القَيْدِ أَظْفَارِي
قد سِرْتُ ما بين بَلْقَاء إلى عَدَنٍ ... وطَالَ في العُجْم تَكْرَاري وتَسْيَاري
فكانَ أَكْرَمَهُمْ عَهْداً وأَوْثَقَهُمْ ... عَقْداً أَبُوكَ بِعُرْفٍ غيرِ إنْكَارِ
كالغَيْثِ ما اسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ ... وفي الشَّدَائِدِ كَالمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي
كُنْ كَالسَّمَوْأَلِ إذ طَافَ الهمامُ به ... في جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ[2]
إذ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقالَ له: ... قُلْ ما تَشَاءُ فَإنّي سَامِعٌ حَارِ[3]
فقالَ: غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بَيْنَهما ... فاخْتَرْ، وما فيهما حَظٌّ لِمُخْتَارِ
فشَكَّ غيرَ طَوِيلٍ ثمّ قالَ له: ... اقْتُلْ أَسِيرَكَ إنّي مَانِعٌ جَارِي
وسَوفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفِرْتَ بِه ... رَبٌّ كَرِيمٌ وبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ
لا سِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَدَراً ... وحَافِظَاتٌ إذا اسْتُودِعْنَ أَسْرَارِي
فاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْلا يُسَبَّ بها ... ولم يَكُنْ وَعْدُهُ فِيها بِخَتَّارِ[4]

---

(١) خفر ذِمّته: نقض عهده.

(٢) الهمام: هو الحارث بن ظالم.

(٣) حار: ترخيم حارث.

(٤) الخَتّار: الغَدّار.

فجاء شريح إلى الكلبيّ فقال له: هَبْ لي هذا الأسيرَ المضرور فقال: هو لك، فأطلقه وقال له: أقم عندي حتى أُكرمك وأَحْبُوكَ، فقال له الأعشى: إنَّ تمامَ إحسانك إليّ أن تعطيَني ناقة ناجية[1]، وتُخَلِّيني الساعةَ. فأعطاه ناقةً ناجيةً، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيَّ أنَّ الذي وَهبَ لِشُريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح، ابعَثْ إليّ الأسيرَ الذي وهبتُ لك حتى أحبُوَه وأُعطيَه، فقال: قد مضى، فأرسل الكلبيُّ في أثره، فلم يلحقه.

(١) ناجية: سريعة.

سعية بن عريض

سَعيةُ بن عُرَيض بن عاديا أخو السّموأل شاعر، فمن شعره الذي يُغَنَّى فيه قولُه:

صوت [البسيط]

يا دَارَ سُعْدَى بِمَقْصَى تلعَةِ النَّعَم حُيِّيتِ دَاراً على الإِقْوَاءِ والقِدَمِ[1]
عُجْنَا فمَا كَلَّمَتْنَا الدَّارُ إذ سُئِلَتْ وما بها عن جَوَابٍ خِلْتُ مِنْ صَمَمِ[2]
وما بِجِزْعِكِ إلاَّ الوَحْشُ سَاكِنَةٌ وهَامِدٌ مِنْ رَمَادِ القِدْرِ والحُمَمِ[3]

الشعر لِسَعْيَةَ بن عُرَيض، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشامي، ويقال: إنه لمالك، وفيه لابن جُؤذَرةَ رمل عن الهشامي.

وسَعْية بن عُرَيض القائل، وفيه غناء:

صوت [السريع]

لُبَابُ هَلْ عِنْدَكِ مِنْ نَائِلِ لِعَاشِقٍ ذي حَاجَةٍ سَائِلِ
عَلَّلْتِهِ مِنْكِ بِمَا لم يَنَلْ يا رُبَّمَا عَلَّلْتِ بِالبَاطِلِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن الهربذ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه لمتيَّم رمل آخر من جامعها، وفيه لحن ليونس غير مُجَنَّس، وأول هذه القصيدة: [السريع]

---

(١) الإقواء: من أقوت الدار: إذا خلت.
(٢) عاج إلى المكان: مال إليه.
(٣) الجزع: منعطف الوادي أو وسطه. والحُمَمُ: الفحم والرماد.

لُبَابُ يا أُخْتَ بَنِي مَالِكٍ لا تَشْتَرِي العَاجِلَ بالآجِلِ
لُبَابُ دَاوِينِي ولا تَقْتُلِي قد فُضِّلَ الشَّافِي على القَاتِلِ
إنْ تَسْأَلِي بِي فَاسْأَلِي خَابِراً والعِلْمُ قد يَكْفِي لَدَى السَّائِلِ
يُنْبِيكِ مَنْ كَانَ بِنَا عَالِماً عَنَّا وما العَالِمُ كالجَاهِلِ
أَنَّا إذا حَارَتْ دَوَاعِي الهَوَى وأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلقَائِلِ
واعْتَلَجَ القَوْمُ بِأَلْبَابِهِمْ في المَنْطِقِ الفَاصِلِ والنَّائِلِ(١)
لا نَجْعَلُ البَاطِلَ حَقّاً ولا نَلُظُّ دونَ الحقِّ بالباطلِ(٢)
نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلامُنَا فَنُخْمَلَ الدَّهْرَ مَعَ الخَامِلِ

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حَدَّثني أحمد بن الهيثم الفراسيّ قال: حدّثني العمريّ، عن العتبيّ، قال: كان معاوية يتمثّلُ كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر: [السريع]

إنَّا إذا مَالَتْ دَوَاعِي الهَوَى وأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلقَائِلِ
لا نَجْعَلُ البَاطِلَ حَقّاً ولا نَلُظُّ دونَ الحَقِّ بِالبَاطِلِ
نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلامُنَا فَنُخْمَلَ الدَّهْرَ مَعَ الخَامِلِ

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أخبرني خالي يوسف بن الماجشون، قال: كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده:

إنَّا إذا مَالَتْ دَوَاعِي الهَوَى وأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلقَائِلِ
واصْطَرَعَ القَوْمُ بِأَلْبَابِهِمْ نَقْضِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ
لا نَجْعَلُ البَاطِلَ حَقّاً ولا نُلِظُّ دُونَ الحَقِّ بِالبَاطِلِ
نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلامُنَا فَنُخْمَلَ الدَّهْرَ مَعَ الخَامِلِ

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين.

[أصحابه يأتونه إذا اغتنى ويفارقونه إذا افتقر]

أخبرني وكيع والحسن بن علي قالا: حدّثنا أبو قلابة، قال: حدّثنا

(١) اعتلج القوم: اقتتلوا واصطرعوا.
(٢) نلظّ: نتمسّك.

الأصمعيّ، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن رجال من الأنصار، أنّ سَعْيَةَ بن عُريض أخا السَّموأل بن عاديا كان ينادم قوماً من الأوس والخزرج، ويأتونه فيقيمون عنده، ويزورونه في أوقات قد أَلِفَ زيارتَهم فيها، فأغار عليه بعض ملوك اليمن، فانتسَفَ[1] من ماله حتى افتقر، ولم يبق له مالٌ، فانقطع عنه إخوانُه وجَفَوه، فلما أخصب، وعادت حاله وتراجعت، راجعوه، فقال في ذلك: [الوافر]

أرى الخُلاَّنَ لَمَّا قَلَّ مَالِي ... وأَجْحَفَتِ النَّوَائِبُ وَدَّعُونِي
فلَمَّا أَنْ غَنِيتُ وعَادَ مَالِي ... أَرَاهُمْ لا أَبَا لَكَ رَاجَعُونِي
وكَانَ القَوْمُ خُلاَّناً لِمَالِي ... وإِخْوَاناً لِمَا خُوِّلْتُ دُونِي
فلَمَّا مَرَّ مالي بَاعَدُوني ... ولَمَّا عَادَ مالي عَاوَدُوني

ومن أشعار اليهود ويُغَنَّى به:

صوت

[المنسرح]

هل تَعْرِفُ الدَّارَ خَفَّ سَاكِنُهَا ... بِالحِجْرِ فَالمُسْتَوَى إلى ثَمدِ[2]
دَارٌ لِبَهْنَانَةٍ خَدَلَّجَةٍ ... تَضْحَكُ عن مِثْلِ جَامِدِ البَرَدِ[3]
نِعْمَ ضَجِيعُ الفَتَى إذا بَرَدَ اللَّيْـ ... ـلُ وغَارَتْ كَوَاكِبُ الأَسَدِ
يا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ سَدِمٍ ... عَانٍ رَهِينٍ أُحِيطَ بِالعُقَدِ[4]
أَزْجُرُهُ وَهْوَ غَيْرُ مُزْدَجِرٍ ... عَنْهَا وطَرْفِي مُقَارِنُ السُّهُدِ
تَمْشِي الهُوَيْنَا إذا مَشَتْ فُضُلاً ... مَشْيَ النَّزِيفِ المبهورِ في صَعَدِ[5]
تَظَلُّ مِنْ زَوْرِ بَيْتِ جَارَتِهَا ... وَاضِعَةً كَفَّهَا على الكَبِدِ

الشعر لأبي الزّناد اليهودي العديميّ، والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول، عن الهشامي، ويحيى المكي، وفيها لمعبد خفيف ثقيل أول عن الهشامي، وقال: أظنه من منحول يحيى بن المكيّ، وقد نسب قوم هذا

---

(١) إنتسف مالَه: اقتلعه وفرّقه.
(٢) الحِجر: قرية صغيرة من وادي القرى بيان المدينة والشام (معجم البلدان ٢/ ٢٢١) والمستوى: موضع قريب من الحجر. وثَمد: موضع بين الشام والمدينة (معجم البلدان ٢/ ٨٤).
(٣) البهنانة: الخفيفة الروح الضحوك. والخَدَلَّجة: الممتلئة الساقين واليدين.
(٤) السَّدِم: الشديد العشق.
(٥) تمشي فُضُلاً: تختال في مشيتها وتجرّ ذيل ردائها. والنزيف: السكران.

اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح. ولابن محرز في «يا من لقلب» وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو أن فيها لحناً لمعبد لم يذكر طريقته، وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديماً غير مجنس، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم، وذكر ذلك عمر بن شبة.

ومن الغناء في أشعار اليهود من قُريظة والنّضير:

صوت [البسيط]

دُورٌ عَفَتْ بِقُرَى الخَابُورِ غَيَّرَهَا ... بَعْدَ الأَنِيسِ سَوَافِي الرِّيحِ والمَطَرُ[١]

إِنْ تُمْسِ دَارُكَ مِمَّنْ كَانَ سَاكِنَها ... وَحْشاً فَذَلِكَ صَرْفُ الدَّهْرِ والغِيَرُ

وقد تَحُلُّ بِها بِيضٌ تَرَائِبُها ... كَأَنَّها بينَ كُثْبَانِ النَّقَا البَقَرُ[٢]

الشعر للربيع بن أبي الحُقَيق، روى ذلك السكريّ، عن الطوسيّ، وعن محمد بن حبيب، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وهو صوتٌ مشهور ابتداؤه نشيد.

---

(١) الرياح السوافي: التي تحمل معها التراب والغبار.

(٢) الترائب: جمع التربية: الصدر. والنَّقا: الكثيب من الرمل.

أخبار الرّبيع بن أبي الحقيق

[الربيع رئيس لبني قريظة]

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة، وهم وبنو النضير جميعاً من ولد هارون بن عمران، يقال لهما: الكاهنان، وكان الرّبيعُ أحدَ الرؤساء في يوم حرب بُعاث(١)، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه، فكانت رياسة بني قريظة للربيع، ورياسة الخزرج لعمرو بن النُّعمان البياضِيِّ، وكان رئيسَ بني النضير يومئذ سلامُ بن مشْكم.

[محاورة شعرية بينه وبين النابغة الذبياني في سوق بني قينقاع]

أخبرني عَمّي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلّبي، قالا: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن الحسن الأنصاريّ، قال: حَدَّثني الحسن بن موسى، مولى بني مازن بن النجار عن أبي عبيدة قال: أقبل النابغة الذبياني يريد سُوقَ بني قَيْنُقاعَ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أُطُمِه، فلما أشرفا على السوق سمعا الضَّجَّة، وكانت سوقاً عظيمة، فَحَاصَتْ(٢) بالنابغة ناقته، فأنشأ يقول:

كَادَتْ تُهَالُ مِنَ الأصواتِ رَاحِلَتِي

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق: أَجِزْ يا ربيع، فقال: [البسيط]

والنَّفْرُ منها إذا ما أَوْجَسَتْ خُلُقُ

فقال النابغة: ما رأيتُ كاليوم شِعراً، ثم قال:

لولاَ أُنَهْنِهُها بِالسَّوْطِ لاجْتَذَبَتْ(٣)

---

(١) بعاث: موضع في نواحي المدينة (معجم البلدان ١/ ٤٥١).
(٢) حاصت: نفرت وشردت.
(٣) أنهنهها: أزجرها.

أَجِز يا ربيع، فقال:

مِـنِّـي الـزِّمَـامَ وإنِّـي رَاكِـبٌ لَـبِـقُ

فقال النابغة:

قد مَلَّتِ الحَبْسَ في الآطامِ واسْتَعَفَتْ[١]

أَجِز يا ربيع، فقال:

إلـى مَـنَـاهِـلِـهـا لـو أنَّـهَـا طُـلُـقُ

فقال النابغة: أنت يا ربيع أشعر الناس.

[تمثّل أبان بن عثمان بشعره]

حدّثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهري، ومحمد بن العباس اليزيديّ، قالا: حدّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال: حدّثني الحِزامِيُّ قال: حدّثني سعيد بن محمد الزُّبيريّ، قال: حدّثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه قال: قَلَّ ما جَلَسْتُ إلى أبانَ بن عثمان إلا سمعتُه يتمثل بأبيات ابن أبي الحُقَيق: [المتقارب]

سَئِمْتُ وأمْسَيْتُ رَهْنَ الفِرَا ... شِ مِنْ جُرْمِ قَوْمِي ومِنْ مَغْرَمِ
ومِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ بَعْدَ النُّهَى ... وغَيْبِ الرَّشَادِ، ولم يُفْهَمِ
فَلَوْ أنَّ قَوْمِي أَطَاعوا الحَلِيمَ ... لَم يَتَعَدَّوْا ولَم نُظْلَمِ
وَلَكِنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الغُوا ... ةَ حَتَّى تَعَكَّصَ أهْلُ الدَّمِ[٢]
فَأَوْدَى السَّفِيهُ بِرَأْيِ الحَلِيمِ ... وانْتَشَرَ الأَمْرُ لم يُبْرَمِ

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدّثنا مُعاذ، عن أبي عبيدة قال: قال الرّبيع بن أبي الحقيق يعاتب قوماً من الأنصار في شيء بينهم وبينه: [الطويل]

رَأَيْتُ بَنِي العَنْقَاءِ زَالُوا ومُلْكُهُمْ ... وآبُوا بِأَنْفٍ في العَشِيرةِ مُرْغَمِ[٣]
فإنْ يُقْتَلُوا نَنْدَمْ لِذَاكَ وإن بَقُوا ... فلا بُدَّ يَوْماً مِنْ عُقُوقٍ ومَأْتَمِ

---

(١) استعفت: طلبت من يسعفها.
(٢) تعكّص: ضَنَّ.
(٣) آبوا: رجعوا.

وإنّـا فُـوَيْـقَ الـرَّأسِ شُـؤْبُـوبُ مُـزْنَـةٍ ... لـها بَرَدٌ ما يَغْشَ مِ الأَرْضِ يَحْطِمِ(١)

صوت

[الرمل]

ولـــنـــا بِـــئْـــرٌ رَوَاءٌ جَـــمَّـــةٌ ... مَـنْ يَـرِدْهـا بـإِنَـاءٍ يَـغْـتَـرِفْ(٢)

تُـدْلِـجُ الـجَـوْنُ عـلـى أَكْـنَـافِـهـا ... بِـدِلاَءٍ ذَاتِ أَمْـرَاسٍ صُـدُف(٣)

كُـلَّ حَـاجَـاتِـيَ قَـد قَـضَّـيْـتُـهـا ... غَـيْرُ حَـاجَاتِـيَ مِنْ بَطْنِ الـجُرُف(٤)

الشّعر لكعب بن الأشرف اليهوديّ، والغناء لمالك ثقيل. أول عن يحْيَى المكي، قال: وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل، ولمعبد ثاني ثقيل.قال يحيى في كتابه: وقد خلط الرواة في ألحانهم، ونسبوا لحنَ كلٍّ واحد منهم إلى صاحبه، وذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيفَ رمل بالبنصر، وفيه لجُعْدُب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.

---

(١) الشُؤبوب: الدفعة من المطر. والمزنة: السحابة ذات المطر.

(٢) الرّواء: الغزيرة الماء.

(٣) تدلج: تسير ليلاً. والجَوْن: الإبل السوداء. والأكناف: النواحي. وصُدُف: تظهر وتختفي.

(٤) بطن الجُرُف: موضع قريب من المدينة (معجم البلدان ٢/ ١٢٨).

أخبار كعب ونسبه ومقتله

[توفي ٣ هـ/ ٦٢٤ م]

[اسمه ونسبه]

كعبُ بنُ الأشرف مُختَلفٌ في نسبه، فزعم ابن حبيب أنَّه من طَيِّىء، وأمّه من بني النَّضير، وأنَّ أباه تُوفِّيَ وهو صغير، فحملته أُمّه إلى أخواله فنشأ فيهم، وساد وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النَّضير.

وكان شاعراً فارساً، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوْس والخزرج، تُذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى وهو شاعر من شعراء اليهود فَحْل فصيح، وكان عدوّاً لِلنبيِّ ﷺ يهجوه، ويهجو أصحابَه، ويُخَذِّلُ عنه العربَ[1]، فبعث النبيﷺ نفراً من أصحابه، فقتلوه في داره.

ذكر خبره في ذلك

كان كعب بن الأشرف يهجو النّبيَّﷺ، ويُحَرِّضُ عليه كُفّارَ قريش في شعره، وكان النبيّﷺ قَدِمَ المدينةَ، وهي أخلاط، منهم المسلمون الذين تجمَعُهم دعوةُ النبيﷺ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوْثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة[2] والحصون، وهم حلفاء الحَيَّيْنِ الأوس والخزرج، فأراد النبيُّﷺ - إذ قدِم - استصلاحَهم كُلَّهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، ويكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود حين قدم النبيُّﷺ يؤذونه وأصحابَه أشدَّ الأذى، فأمر الله نَبِيَّه والمسلمين بالصّبر على ذلك والعفوِ عنهم، وأنزل في شأنهم:

---

(١) يُخَذِّل عنه العربَ: يحملهم على خذلانه وترك نصرته.

(٢) الحلقة: يراد بها حلقة القوم.

﴿ولَتَسْمَعُنَّ من الذين أُوتُوا الكتابَ من قبلِكم﴾[١] الآية. وأنزل فيهم: **﴿وَدَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم﴾**[٢] إلى قوله: **﴿واصفحوا﴾** فلمّا أبى كعبُ بنُ الأشرف أن يَنْزِعَ عن أذى النبيﷺ وأصحابه أمر النبيّﷺ سعدَ بن معاذ أن يبعثَ إليه رَهْطاً[٣]، فيقتلوه، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبْسِ بنَ جُبير، والحارث بن أخي سعد، في خمسة رهط، فأتوه عشيّة، وهو في مجلس قومه بالعوالي، فلمَّا رآهم كعب أنكر شأنَهم، وكان يُذْعَرُ منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا: جئنا لِنبيعَك أدراعاً نسْتَنْفِق أثمانَها، فقال: والله لئن فعلتم ذلك لقد جُهِدتُم[٤] مُذْ نزلَ بكم هذا الرجل. ثم واعدهم أن يأتوه عشاءً حين تهدأ أعينُ الناس، فجاءوا، فناداه رجل منهم، فقام ليخرج، فقالت امرأته: ما طرقوك ساعتَهم هذه بشيء مما تحبُّ، فقال: بلى إنهم قد حدّثوني حديثَهم، وخرج إليهم، فاعْتَنَقَهُ أبو عبس، وضربه محمد بنُ مَسلمة بالسيف في خاصرته، وانحنوا عليه، حتى قتلوه، فَرُعِبَتِ اليهود ومَنْ كان معهم من المشركين، وغدوا على النبيﷺ، فقالوا: قد طُرِقَ صاحبُنا اللَّيْلَةَ، وهو سَيِّدٌ من سادتنا، فقتل، فذكر لهمﷺ ما كان يُؤذَى به في أشعاره، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً، فكُتِبت الصحيفة بذلك في دار الحارث، وكانت بعد النبيﷺ عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

صوت

[البسيط]

هَلْ بِالدِّيَارِ الَّتي بِالقَاعِ مِنْ أَحَدٍ ... بَاقٍ فَيَسْمَعَ صَوْتَ المُدْلِجِ السَّارِي

تِلكَ المَنَازِلُ مِنْ صَفْرَاءَ ليسَ بها ... نَارٌ تُضِيءُ ولا أصواتُ سُمَّارِ

ويروى: «ليس بها حَيٌّ يُجيب».

الشعر لِبَيهسٍ الجِرْميّ، والغناء لأحمدَ بن المكّي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، وقال عمرو بن بانة: فيه ثاني ثقيل بالبنصر، يقال إنه لابن محرز، وقال الهشامي: فيه لحباب بن إبراهيم خفيف ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء:

ارفعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ[٥]

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.
(٣) الرَّهط: الجماعة.
(٤) جُهِدتم: افتقرتم.
(٥) لا يَحُرْ بك: لا يحيِّرْك.

أخبار بيهس ونسبه

[اسمه ونسبه وقصة صفراء التي يحبّها]

بيْهسُ بن صُهَيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عُبَيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عَدِيّ بن بَيهس بن طَرُود بن قدامة بن جَرم بن ربّان بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضَاعة. ويكنى أبا المقدام. شاعر فارس شجاع، من شعراء الدولة الأموية، وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعُذرة، ويحضر إذا حضروا، فيكون بأجناد الشام، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة، وكانت له مواقف مشهورة وبلاءٌ حسن، وبَعضُ أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر.

وقد اختلف الرُّوَاةُ في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا، فذكر القَحْذَمِيّ أنها كانت زوجتَه وولدتْ له ابناً، ثم طلَّقها، فتزوّجَتْ رجلاً من بني أسد، وماتت عنده، فرثاها. وذكر أبو عمرو الشّيبانيّ أنها كانت بنتَ عمّه دِنْيَةً[1]، وأنه كان يهواها، فلم يُزَوِّجْها، وخطبها الأسدِيُّ، وكان مُوسِراً، فزُوِّجَها.

قال أبو عمرو: وكان بيهس بن صُهيب الجرميّ يهوَى امرأة من قومه، يقال لها صفراءُ بنتُ عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل، وهي بنتُ عَمّه دِنْيَةً، وكان يتحدّثُ إليها، ويجلس في بيتها، ويكتم وَجْدَهُ بها، ولا يُظهِره لأحد، ولا يخطبها لأبيها، لأنه كان صعلوكاً لا مال له، فكان ينتظر أن يُثْرِيَ، وكان من أحسن الشّبابِ وجهاً وشَارةً وحديثاً وشِعراً، فكان نساء الحيِّ يتعرّضْن له، ويجلسْن إليه ويتحدثنَ معه، فمرت به صَفْراء، فرأته جالساً مع فتاة منهن، فهجرته زماناً لا تُجِيبه إذا دعاها، ولا تخرج إليه إذا زارها. وعرض له سفرٌ، فخرج إليه، ثم عاد، وقد

(١) ابنة عَمّه دِنيةً: ملاصقة.

زوّجها أبوها رجلاً من بني أسد، فأخرجها وانتقل عن دارهم بها، فقال بيهسُ بنُ صُهيب: [الطويل]

سَقَى دِمْنَةً صَفْرَاءُ كَانَتْ تَحُلُّهَا ... بِنَوْءِ الثُّرَيَّا طَلُّهَا وذِهَابُهَا[1]
وصَابَ عليها كُلُّ أَسْحَمَ هَاطِلٍ ... ولا زَالَ مُخْضَرّاً مَرِيعاً جَنَابُهَا[2]
أَحَبُّ ثَرَى أَرْضٍ إِلَيَّ وإِنْ نَأَتْ ... مَحَلُّكِ مِنْهَا نَبْتُهَا وتُرَابُهَا
على أَنَّها غَضْبَى عَلَيَّ وحَبَّذَا ... رِضَاهَا إذا مَا أُرْضِيَتْ وعِتَابُهَا
وقد هَاجَ لي حيناً فِرَاقُكِ غُدْوَةً ... وسَعْيُكِ في فَيْفَاءَ تَعْوِي ذِئَابُهَا
نَظَرْتُ وقد زَالَ الحُمُولُ ووَازَنُوا ... بِرِكْوَةَ والوَادِي وخَفَّتْ رِكَابُهَا[3]
فَقُلْتُ لأَصْحَابِي: أَبِالقُرْبِ مِنْهُمُ ... جَرَى الطَّيْرُ أَمْ نَادَى بِبَيْنٍ غُرَابُهَا؟

[رثاؤه صفراء وإنشاده على قبرها]

قال أبو عمرو: ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجُها، فقال بيهسٌ يرثيها: [البسيط]

هَلْ بِالدِّيَارِ الَّتي بِالقَاعِ مِنْ أَحَدٍ ... بَاقٍ فيَسْمَعَ صَوْتَ المُدْلِجِ السَّارِي
تِلكَ المَنازِلُ مِنْ صَفْرَاءَ لَيسَ بها ... نَارٌ تُضِيءُ ولا أَصْوَاتُ سُمَّارِ
عَفَّتْ مَعَارِفَها هُوجٌ مُغَبِّرَةٌ ... تَسْفِي عليها تُرَابَ الأَبْطَحِ الهَارِي[4]
حَتَّى تَنَكَّرْتُ منها كُلَّ مَعْرِفَةٍ ... إلاَّ الرَّمَادَ نَخِيلاً بينَ أحجارِ
طالَ الوقوفُ بها والعَيْنُ تَسْبِقُني ... فوقَ الرِّداءِ بَوادي دَمْعِهَا الجَارِي[5]
إنْ أُصْبِحِ اليومَ لا أَهْلٌ ذَوُو لَطَفٍ ... أَلْهو لَدَيْهِمْ ولا صَفْرَاءُ في الدَّارِ
أَرْعَى بِعَيْنِي نُجُومَ اللَّيْلِ مُرْتَقِباً ... يَا طُولَ ذلكَ مِنْ هَمٍّ وإِسْهَارِ
فقد يكونُ لِيَ الأَهْلُ الكِرَامُ وقد ... أَلْهُو بِصَفْراءَ ذاتِ المَنظرِ الوَارِي[6]
مِنَ المَوَاجِدِ أَعْرَاقاً إذا نُسِبَتْ ... لا تَحْرِمُ المَالَ عن ضَيفٍ وعن جَارِ[7]

(١) النوء: المطر. والثريا: مجموعة من الكواكب. والطّلّ: المطر القليل. والذِّهاب: جمع ذِهبة: المرّة من المطر.
(٢) صاب: انصبّ. والأسحم: صفة للغمام وهو الأسود. والجناب: الناحية.
(٣) الحُمول: جمع الحِمل: الهودج.
(٤) الهُوج: جمع الهوجاء: الريح القويّة. وتسفي: تذري. والهاري: البالي.
(٥) بَوَادي الدمع: ما بدا منه.
(٦) الواري: المضيء.
(٧) المواجد: جمع الماجدة.

لم تَلْقَ بُؤساً ولم يَضْرُرْ بها عَوَزٌ ... ولم تُزَخِّفْ مع الصَّالِي إلى النَّارِ[١]
كذلك الدَّهْرُ إنَّ الدَّهْرَ ذو غِيَرٍ ... على الأنَامِ وذُو نَقْضٍ وإمْرارِ
قد كادَ يَعْتَادُني مِنْ ذِكْرِها جَزَعٌ ... لولا الحَيَاءُ ولولا رَهْبَةُ العَارِ
سَقَى الإلٰهُ قُبوراً في بَنِي أسَدٍ ... حَولَ الرَّبِيعةِ غَيْثاً صَوْبَ مدرارِ[٢]
مَنِ الَّذي بَعْدَكُمْ أرْضَى به بَدَلاً ... أو مَنْ أحَدِّثُ حَاجَاتِي وأسْرَارِي؟

قال أبو عمرو: واجتاز بيهسٌ في بلاد بني أسد، فمرَّ بقبر صفراء، وهو في موضع يقال له الأحَصُّ[٣]، ومعه ركب من قومه، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد، فأوسعوا لهم، وكان بينهم صِهرٌ وَحِلْف، فنزل بيهس على القبر، فقال له أصحابه: ألا ترحل، فقال: أما والله، حتى أظلَّ نَهاري كلَّه عنده، وأقضيَ وطراً. فنزلوا معه عند قبرها، فأنشأ يقول، وهو يبكي: [الطويل]

أَلِمَّا على قَبْرٍ لِصَفْرَاءَ فَاقْرَآ ... السَّلامَ وقُولاَ حَيِّنَا أيُّها القَبْرُ
وما كانَ شَيئاً غيرَ أنْ لَسْتُ صَابِراً ... دُعَاءَكَ قَبْراً دونَهُ حِجَجٌ عَشْرُ
بِرَابِيَةٍ فيها كِرَامٌ أحِبَّةٌ ... على أنَّها إلَّا مَضَاجِعَهُمْ قَفْرُ
عَشِيَّةَ قالَ الرَّكْبُ مِنْ غَرَضٍ بنا ... تَرَوَّحْ أبا المقدام قد جَنَحَ العَصْرُ
فقلتُ لهمُ: يَوْمٌ قَليلٌ ولَيلةٌ ... لِصَفْرَاءَ قد طَالَ التَّجَنُّبُ والهَجْرُ
وبِتُّ وباتَ النَّاسُ حَوْلِيَ هُجَّداً ... كَأنَّ عَلَيَّ اللَّيلَ من طُولِهِ شَهْرُ
إذا قُلْتُ هذا حينَ أهْجَعُ سَاعةً ... تَطَاولَ بي لَيلٌ كَواكِبُه زُهْرُ
أقولُ إذا ما الجَنْبُ مَلَّ مَكَانَهُ ... أشَوْكٌ يُجَافِي الجَنْبَ أم تحتَه جَمْرُ؟
فلو أنَّ صَخْراً مِنْ عَمَايَةَ رَاسِياً ... يُقَاسِي الَّذي ألْقَى لقدْ مَلَّهُ الصَّخْرُ

قال: وأما القحذميّ فإنه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن عيسى بن إسماعيل تينَةَ عنه، أنّه كان تزوّجها، ثم طلّقها بعد أن ولدت منه ابناً؛ فتزوجها رجل من بني أسد، فماتت عنده. وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً مما تقدم ذكره. وذكر أن بيْهسَ بنَ صُهَيْب كان من فُرسانِ العرب، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة. وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام.

---

(١) تُزَخِّف: تكثر ماء إلى العجين.
(٢) الصَّوْب: المطر. والمدرار: الغزير.
(٣) الأحَصّ: وادٍ لبني تغلب كانت فيه بعض وقائعهم مع إخوتهم بكر (معجم ما استعجم ص ١١٨).

قال أبو عمرو: ولمّا هدأت الفتنةُ بعد مرج راهط، وسكن الناس مرّ غلامٌ من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب، وكانوا متجاورين على ماء لهم؛ فيقال: إن بعض أحداثهم نخس بيْهسٌ[١] به ناقتَه فألقته، فاندقّتْ عنقُه فمات فاستعدى قومُه عليهم عبد الملك، فبعث إلى تلك البطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم، فحبسهم، وهرب بيهس بن صهيب الجرْمِي، وكان قد اتّهم أنه هو الذي نَخَسَ به، فنزل عَلَى محمد بن مروان فعاذ به؛ واستجاره فأجاره إلاّ من حدٍّ توجبه عليه شَهادة، فَرَضِيَ بذلك، وقال وهو متوارٍ عند محمد: [الوافر]

لقد كانتْ حَوَادِثُ مُعْضِلاتٌ ... وأيّامٌ أَغَصّتْ بالشّرَابِ
وما ذَنْبُ المَعَاشِرِ في غُلامٍ ... تقطّرَ بين أحواضِ الجِبَابِ[٢]
على قَوْدَاءَ أَفْرَطَهَا جِلالٌ ... وغَضّ فَهي بَاقِيةُ الهبابِ[٣]
تَرَامَتْ باليَدَيْنِ فَأَزْهَقَتْهُ ... كما زَلَّ النَّطِيحُ مِنَ القبابِ
فإنّي والعِقَابَ وما أُرَجِّي ... لَكَالسَّاعي إلى وَضَحِ السَّرَابِ
فلمّا أنْ دَنَا فَرَجٌ بِرَبِّي ... يُكَشِّفُ عن مُخَفَّقَةٍ يَبَابِ[٤]
مِنَ البُلدانِ ليسَ بها غَرِيبٌ ... تَخُبُّ بِأَرْضِها زُلُّ الذِّئابِ[٥]
فظَنِّي بالخليفةِ أنَّ فيه ... أَمَاناً لِلبَرِيءِ ولِلمُصَابِ
وأنَّ مُحَمَّداً سيعودُ يَوْماً ... ويَرْجِعُ عن مُرَاجَعةِ العِتابِ
فيجبرُ صِبْيَتي ويَحُوطُ جَارِي ... ويُؤْمِنُ بعدَها أبداً صِحَابِي
هُوَ الفَرْعُ الّذي بُنِيَتْ عَلَيْهِ ... بُيُوتُ الأَطْيبينَ ذوي الحِجَابِ

قال: فلم يَزَلْ محمّد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه، حتى أمّن بيهسَ بن صهيب وعشيرته، واحتمل دِيَةَ المقتول لقيس وأرضاهم.

صوت

[الكامل]

نَزَلَ المَشِيبُ فَمَا له تَحْوِيلُ ... وَمَضَى الشَّبَابُ فما إليه سَبِيلُ

---

(١) نخس ناقته: ضرب مؤخرها لتنشط.
(٢) تقطّرَ: وقع من مكان عالٍ. والجباب: جمع جبّ: البئر الواسعة.
(٣) القوداء: الناقة الطويلة الظهر والعنق. وأفرطها: أعجلها. والهباب: الصياح.
(٤) المخفّقة: الخالية. واليباب: الخراب والخالي.
(٥) تخبُّ: تسرع. والزُّلّ: جمع الأزلّ: الذي قَلَّ لحم عجزه وفخذيه.

وَلَقَدْ أُرَانِي والشَّبَابُ يَقُودُني ... وَرِدَاؤُه حَسَنٌ عَلَيَّ جَمِيلُ

الشعر للكميت بن معروف الأسديّ، والغناء لمعبد خفيف، ولحنه من القدْر الأوسط، من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبار الكميت بن معروف ونسبه

[اسمه ونسبه وأسرته]

هو الكُمَيْتُ بنُ معروف بن الكميت بن ثعلبةَ بن ربابِ بن الأَشْتر بن جحوانَ بن فقعسِ بن طَرِيف بن عَمْرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودَان بنِ أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. شاعر من شعراء الإسلام بدَوِيّ، أمّه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة.

والكميت أحد المُعرِقين في الشعر، أبوه معروف شاعر، وأمه سعدة شاعرة، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر، وابنه معروف الكميت شاعر.

فأمّا أبوه فهو القائل لعبد الله بن المُساوِر بن هند: [الطويل]

إنَّ مُـنَـاخِـي أمـسِ يَـابْـنَ مُـسَـاوِرٍ إليكَ لَمِنْ شُرْبِ النُّقَاخِ المُصَرَّدِ[1]

تَبَاعَدْتَ فوقَ الحَقِّ مِنْ آلِ فَقْعَسٍ ولـم تَرْجُ فيهم رِدَّةَ اليَوْمِ أو غَدِ[2]

وقُلْتَ غِنًى لا فَقْرَ في العَيْشِ بَعْدَهُ وكُـلُّ فَـتًـى لِـلـنَّـائِـبَـاتِ بِـمَـرْصَـدِ

كَـأَنَّـكَ لـم تَـعْـلَـمْ مَـحَـلَّ بُـيـوتِـكُـمْ مـع الحَـيِّ بيـن الغَوْرِ والـمُـتَـنَـجَّـدِ

فـلـولا رِجَـالٌ مِـنْ جَـذِيـمَـةَ قَـصْـرَةً عَـدَدْتُ بَلائي ثـم قـلـتُ لـه اغْـدُدِ[3]

وأمُّه سُعدةُ القائلة له، وقد تزوّج بنتَ أبي مَهْوش على مراغمة لها، وكراهة لذلك، فغضبت سُعدةُ وقالت فيه: [الطويل]

عـلـيـكَ بِـأَنْـقَـاضِ الـعـراقِ فـقـد عَـلَـتْ عـلـيـكَ بِـتَـخْـدِيـنِ الـنِّـسَـاءِ الـكَـرَائِـمِ[4]

---

(١) النُّقَاخ: الماء العذب القراح. والمصرّد: المقلّل.

(٢) آل فقعس: قبيلة الشاعر.

(٣) قَصْرَة: داني النسب.

(٤) تخدين النساء: اتّخاذهنّ أخداناً والخدن هو الصديق.

لَعَمْرِي لقد رَاشَ ابْنُ سُعْدَةَ نَفْسَهُ بِريشِ الذُّنَابَى لا بِرِيشِ القَوَادم
بَنَى لكَ مَعْرُوفٌ بِنَاءً هَدَمْتَهُ ولِلشَّرَفِ العَادِيِّ بَانٍ وهَادِمُ

وهي القائلة ترثي ابنَها الكُمَيْت: [الطويل]

لأُمِّ البِلادِ الوَيْلُ ماذا تَضَمَّنَتْ بِأكْنافِ طورى مِنْ عَفَافٍ ونَائِلِ[١]
ومِنْ وَقَعَاتٍ بِالرِّجَالِ كَأَنَّهَا إذا عَنَّتِ الأحداثُ وَقْعُ المَنَاصِلِ[٢]
يُعَزِّي المُعَزِّي عَنْ كُمَيْتٍ فتنتهي مَقَالَتُهُ والصَّدْرُ جَمُّ البَلابِلِ[٣]

وأعشى بَنِي أسد أخو الكميت، واسمُه خَيْثَمةُ، الذي يقول يرثي الكُمَيت وغيرَه من أهل بيته: [البسيط]

هَوِّنْ عليكَ فَإِنَّ الدَّهْرَ مُنْجَدِبُ كُلُّ امْرِىءٍ عَنْ أخِيهِ سوفَ يَنْشَعِبُ[٤]
فلا يَغُرَّنْكَ من دَهْرٍ تَقَلُّبُهُ إِنَّ اللَّيَالِيَ بِالفِتيانِ تَنْقَلِبُ
نامَ الخَلِيُّ وبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً كَمَا تَزَاوَرَ يَخْشى دَفَّهُ النَّكِبُ[٥]
إذا رَجَعْتُ إلى نَفْسِي أُحَدِّثُها عَمَّنْ تَضَمَّنَ من أصْحَابِيَ القُلُبُ[٦]
مِنْ إِخْوَةٍ وبَنِي عَمٍّ رُزِئْتُهُمُ والدَّهْرُ فيه على مُسْتَعْتِبٍ عَتَبُ
عَاوَدْتُ وَجْداً على وَجْدٍ أُكَابِدُهُ حَتَّى تَكادُ بَنَاتُ الصَّدْرِ تَلْتَهِبُ[٧]
هل بَعْدَ صَخْرٍ وهَلْ بَعْدَ الكُمَيْتِ أَخٌ أَمْ هَلْ يَعُودُ لنا دَهْرٌ فنَصْطَحِبُ؟
لَقَدْ عَلِمْتُ ولو مُلِّيتُ بَعْدَهُمُ أنّي سَأُنْهَلُ بِالشُّرْبِ الَّذي شَرِبُوا

ومعروف بن الكميت القائل: [البسيط]

قد كُنتُ أَحْسَبُنِي جَلْداً فَهَيَّجَنِي بِالشَّيْبِ مَنْزِلَةٌ مِنْ أُمِّ عَمَّارِ[٨]
كانَتْ مَنَازِلَ لا وَرْهَاءَ جَافِيَةٍ على الحُدوجِ ولا عُطْلاً بِمِقْفَارِ[٩]

(١) طورى: اسم مكان. والنائل: العطاء.
(٢) المناصل: جمع المنصل: السيف.
(٣) البلابل: الوساوس.
(٤) منجدب: مذموم. وانشعب: تفرّق.
(٥) مرتفِقاً: مُتّكئاً على مرفقي. وتزاور: مال وانحرف. والدفّ: الجنب. والنَّكِبُ: المصاب بمنكبه.
(٦) القُلُب: جمع القليب: البئر، وهنا القبر..
(٧) بنات الصدر: كناية عن الضلوع.
(٨) جلداً: صابراً.
(٩) الورهاء: الخرقاء. والحدوج: جمع الحدج: مركب النساء وهو يشبه الهودج. والعُطُل: المرأة التي ليس عليها حلي. والمقفار: الأرض المقفرة.

وما تَجاوُزُنا إذ نحنُ نَسْكُنُها ولا تَفَرُّقُنا إلاَّ بِمِقْدارِ

صوت

[الطويل]

أرِقْتُ لِبَرْقٍ دونَهُ شَذَوَانِ يَمَانٍ وأهْوَى البَرْقَ كُلَّ يَمَانِي[1]
فليتَ القِلاَصَ الأُدْمَ قد وَخَدَتْ بِنَا بِوادٍ يَمَانٍ ذِي رُباً ومَجَانِي[2]

الشعر ليعلى الأحولِ الأزديّ، وجدت ذلك بخط أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في شعر الأزد، وقال عمرُو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: هي ليعلى الأحْول، كما رَوى غيرُه، قال: ويقال إنها لعمرو بن أبي عمارة الأزدي من بني خُنَيس، ويقال إنها لجوَّاس بن حيانَ من أزد عمان.

وأول هذه القصيدة، في رواية أبي عمرو، أبيات فيها غناء أيضاً وهي:

صوت

أَوَيْحَكُما يَا وَاشِيَيْ أُمِّ مَعْمَرٍ بِمَن وإلى مَنْ جِئْتُمَا تَشِيَانِ؟
بِمَنْ لو أَرَاهُ عَانِياً لَفَدَيْتُهُ ومَنْ لو رَآني عَانِياً لَفَدَانِي

لِعَريب في هذين البيتين ثَقِيل أول، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته، وقال ابن المكي: لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كُلّها.

(١) شَذَوان: تثنية شذا: شجر تتخذ منه المساويك.

(٢) القِلاص: جمع القَلوص: الناقة الفتيّة. والأُدْم: جمع الأدماء: السمراء. والوَخْد: نوع من السير السريع. المجاني: جمع المَجْنَى: الموضع الذي يُجْنى منه الثَّمر.

أخبار يعلى ونسبه

[توفي ٩٠ هـ/ ٧١٠ م]

[اسمه ونسبه وميله إلى التصعلك والمجون]

يعلى الأحولُ بنُ مسلم بن أبي قيس، أحدُ بني يَشكر بن عمرو بن رالان - ورالانُ هو يشكر - ويشكر لقب لُقّب به - بن عمران بن عمرو بن عدي بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام - هكذا وجدته بِخَطّ المبرد - بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

شاعر إسلامي لصّ من شعراء الدولة الأموية، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكّة عند نافع بن عَلْقَمة الكِنَاني في خلافة عبد الملك بن مرْوان.

قال أبو عمرو: وكان يعلى الأحولُ الأزديُّ لِصّاً فاتكاً خارباً[1]، وكان خليعاً، يجمع صعاليك الأزد وخُلَعَاءهم، فيغيرُ بهم على أحياء العرب، ويقطع الطريق على السَّابلة[2]، فَشُكِيَ إلى نافع بن علقمةَ بن الحَارث بنِ محْرَث الكنانيّ ثم الفقيمي، وهو خال مروان بن الحكم، وكان واليَ مكة، فأَخَذَ به عشيرته الأَزْدِيّينِ، فلم يَنْفَعْه ذلك، واجتمع إليه شيوخ الحَيّ فعَرّفوه أنه خليع قد تبرّأوا منه ومن جرائره[3] إلى العرب، وأنه لو أَخَذَ به سائِرَ الأزدِ ما وضع يده في أيديهم! فلم يقبلْ ذلك منهم، وألزمهم إحضارَه، وضَمّ إليهم شُرَطاً يطلبونه إذا طرق الحَيّ حتى يجيئوه به. فلمّا اشتَدَّ عليهم في أمره طلبوه حتى وجدوه، فأتوا به فقيّده وأودعه الحبس، فقال في محبِسه: [الطويل]

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ دُونَهُ شَدَوانِ يَمَانٍ وأَهْوَى البَرْقَ كُلَّ يَمَانِ

---

(١) الخارب: اللّص.

(٢) السّابلة: المارّون على الطرقات.

(٣) الجرائر: جمع الجريرة: الجناية والذنب.

فبِتُّ لَدَى البيتِ الحَرَامِ أشِيمُهُ ... ومِطْوَايَ مِنْ شَوْقٍ له أرِقَانِ[1]

المِطْوُ: الصَّاحب.

إذا قُلْتُ شِيمَاهُ يقولانِ والهَوَى ... يُصَادِفُ مِنَّا بعضَ ما تَرَيَانِ

جَرَى منه أطرَافُ الشَّرَى فمُشَيَّعٌ ... فَأبْيَانُ فالحَيَّانِ مِنْ دَمَرانِ[2]

فمَرَّانُ فالأقْبَاصُ أقْبَاصُ أمْلَحٍ ... فمَاوانِ مِنْ وَادِيهِمَا شَطِنَانِ[3]

هُنَالِكَ لو طَوَّفْتُمَا لَوَجدْتُمَا ... صَدِيقاً مِن إخْوانٍ بِها وغَوَانِ

وعَزْفُ الحَمَامِ الوُرْقِ في ظِلِّ أيْكَةٍ ... وبِالحَيِّ ذِي الرَّوْدَيْنِ عَزْفُ قِيَانِ

ألاَ ليتَ حَاجَاتِي اللَّوَاتِي حَبَسْنَنِي ... لَدَى نَافِعٍ قُضِّينَ مُنْذُ زَمَانِ

وما بِيَ بُغْضٌ لِلبلادِ ولا قِلًى ... ولَكِنَّ شَوْقاً في سِوَاهُ دَعَانِي

فلَيْتَ القِلاصَ الأُدْمَ قد وَخَدَتْ بنا ... بِوَادٍ يَمَانٍ ذِي رُباً ومَجَانِي

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ ... وأسْفَلُه بالمَرْخِ والشَّبَهَانِ[4]

يُدَافِعُنَا مِن جَانِبَيْهِ كِلَيْهِما ... عَزِيفانِ مِنْ طَرْفَائِهِ هَدِبَانِ[5]

وليتَ لنا بالجَوْزِ واللَّوْزِ غِيلةً ... جَنَاها لنا من بطن حِليةَ جَانِي

الغيلة: شجر الأراك إذا كانت رطبة، ويروى في موضع: من بطن حلية من حب جيحة.

ولَيْتَ لنا بالدِّيكِ مُكَّاءَ رَوْضَةٍ ... على فَنَنٍ مِنْ بَطْنِ حِلْيَةَ دَانِي[6]

وليتَ لنا من مَاءِ حزنةَ شَرْبَةً ... مُبَرَّدَةً باتَتْ على طهمانِ

ويروى: من ماءِ حمياء.

صوت

[الكامل]

إنَّ السَّلامَ وحُسْنَ كُلِّ تَحِيَّةٍ ... تَغْدُو على ابْنِ مُجَزِّزٍ وتَرُوحُ

هَلاَّ فَدَى ابْنَ مُجَزِّزٍ مُتَفَحِّشٌ ... شَنِجُ اليدينِ على العَطَاءِ شَحِيحُ

الشعر لِجَوَّاسٍ العُذْرِيّ، والغناء لسائب خاثر خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي والهشامي من رواية حماد عن أبيه، في أخبار سائب خاثر وأغانيه.

---

(١) شام البرق: نظر إليه ليعلم أين يقع مطره.

(٢) الشَّرى: جبل. ومُشَيَّع وأبيان ودَمران: أسماء أماكن.

(٣) مَرّان والأقباص وأملح: أمكنة. وماوان: تثنية ماء.

(٤) السِّدْر: شجر النَّبْق. والمرخ: وادٍ باليمن (معجم البلدان ٥/١٠٣).

(٥) العزيف: صوت الريح. والطرفاء: شجر كثير الأصناف. والهَدِب: المسترسِل.

(٦) المُكّاء: طائر أبيض يُكثر من الصفير.

نسب جَوّاس وخبره في هذا الشعر

[اسمه ونسبه ومفاخرته مع جميل بثينة]

هو جَوّاس بن قُطْبَةَ العُذريُّ، أحدُ بني الأَحَبِّ رهطِ بُثَيْنَة، وجَوّاسٌ وأخوه عبد الله الذي كان يهاجي جَميلاً ابنا عَمِّها دِنْيَةً[1]، وهما ابنا قُطبةَ بن ثعلبةَ بن الهون بن عمرو بن الأحبّ بن حُنّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن عبيد بن كثير بن عجرة.

وكان جوّاس شريفاً في قومه شاعراً، فذكر أبو عمرو الشيبانيّ، أنّ جميل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ لمّا هاجى جَوّاساً تنافرا إلى يهود تَيْماء، فقالوا لجميل: يا جميل، قُلْ في نفسك ما شئت، فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئت، ولا تذكرنَّ أنت يا جميل أباك في فخر؛ فإنّه كان يسوقُ معنا الغنم بتَيْماء، عليه شملةٌ لا تُواري استَه، ونَفَّروا[2] عليه جَوّاساً، قال: ونَشِبَ الشَّرُّ بين جَمِيل وجوّاس، وكانت تَحته أُمّ الجُسَيْرِ أختُ بُثَيْنَة التي يذكرها جميل في شعره، إذ يقول: **[الخفيف]**

يَــا خَــلِــيــلَــيَّ إنَّ أُمّ جُــسَــيْــرٍ ... حِيـنَ يَـدْنُـو الـضَّـجِـيـعُ مِـنْ عَـلَـلِـهْ[3]

رَوْضَـــةٌ ذَاتُ حَــنْـــوَةٍ وخُـــزَامَـــى ... جَـادَ فـيـهـا الـرَّبِـيـعُ مِـنْ سَـبَـلِـهْ[4]

فغضب لجميل نَفرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان، فجاءوا إلى جوّاس ليلاً وهو في بيته، فضربوه وعَرَّوْا امرأتَه أمَّ الجُسَير في تلك الليلة، فقال جَمِيل: **[الطويل]**

مـا عَـرَّ جَـوَّاسَ اسْـتُـهـا إذ يَـسُـبُّـهُـمُ ... بِـصَـقْـرَيْ بَـنِـي سُـفْـيَـانَ قَـيْـسٍ وعَـاصِـمِ

(١) ابن عَمّها دِنية: قريب لاصق النسب.

(٢) نَفّروا: نصروا وفضّلوا.

(٣) العَلل: الشرب مرّة بعد مرّة.

(٤) الحَنْوَة: نبات سهليّ طيّب الريح.

هُـمَـا جَـرَّدا أُمَّ الـجُـسَـيْـرِ وأوْقَـعَـا أَمَـرَّ وأدْهَـى مِـنْ وَقِـيـعَـةِ سَـالِـمِ

يعني سالم بن دارة. فقال جوّاس: [الطويل]

مـا ضُـرِبَ الـجَـوَّاسُ إلاَّ فُـجَـاءَةً عـلـى غَـفْـلَـةٍ مِـنْ عَـيْـنِـهِ وَهْـوَ نَـائِـمُ
فـإلَّا تُـعـجِّـلْـنـي الـمَـنِـيَّـةُ يَـضْـطَـبِـخْ بِـكَـأسِـكَ حِـضْـنَـاكُـم حُـصَـيْـنٌ وعَـاصِـمُ
ويُـعْـطِـي بَـنُـو سُـفـيـانَ مـا شِـئْـتُ عَـنْـوَةً كَـمَـا كـنـتَ تُـعْـطِـيـنـي وأنْـفُـكَ رَاغِـمُ

[جميل وجوّاس وجَوّاس بن القعطل يحدون ركاب مروان]

وقال أبو عمرو الشّيبانيّ: حجَّ مروانُ بن الحَكَم، فسار بين يديه جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَر، وجوَّاسُ بن قطبة، وجوَّاس بن القَعْطل الكلبيّ، فقال لجَميل: انزل فسُقْ بنا، فنزل جميل فقال: [الرجز]

يـا بُـثْـنُ حَـيِّـي وَدِّعِـيـنَـا أوصِـلِـي وهَـوِّنـي الأمْـرَ فَـزُورِي واعْـجَـلِـي
ثُـمَّـت أيّـاً مـا أَرَدْتِ فـافْـعَـلِـي إنِّـي لآتِـي مـا أَتَـيْـتُ مُـؤْتَـلِـي[1]

فقال له مروان: عَدّ عن هذا، فقال: [الرجز]

أنَـا جَـمِـيـلٌ والـحِـجَـازُ وَطَـنِـي فـيـه هَـوَى نَـفْـسِـي وفـيـه شَـجَـنـي
هـذا إذا كـان الـسِّـيـاقُ دَدَنـي[2]

فقال لجوّاس بن قطبة: انزل أنت يا جوّاس فسُق بنا، فنزل فقال ـ وقد كان بلغه عن مروان أنه توعّده إن هاجَى جميلاً ـ: [الطويل]

لَـسْـتُ بِـعَـبْـدٍ لِـلْـمَـطَـايَـا أَسُـوقُـهـا ولَـكِـنّـنـي أرْمِـي بِـهِـنَّ الـفَـيَـافِـيـا
أتَـانِـيَ عَـن مَـرْوانَ بِـالـغَـيْـبِ أنَّـهُ مُـبِـيـحٌ دَمِـي أو قَـاطِـعٌ مِـنْ لِـسَـانِـيـا
وفي الأرضِ مَـنْـجَـاةٌ وفُـسْـحَـةُ مَـذْهَـبٍ إذا نَـحـنُ رَقَّـقْـنَـا لَـهُـنَّ الـمَـثَـانِـيَـا[3]

فقال له مروان: أَمَا إن ذلك لا ينفعُكَ إذا وجب عليك حَقّ، فاركب لا ركبتَ. ثم قال لِجَوَّاس بن القَعطل ـ ويقال بل القصّة كلّها مع جواس بن قطبة ـ: انزل فارجز بنا، فنزل فقال هذه الأبيات:

(١) مؤتلي: مقصِّر.
(٢) الدَّدَن: اللّهو واللعب.
(٣) المثاني: أناشيد الحداء.

[الطويل]

يـقـولُ أمـيـري: هـل تَـسُـوقُ رِكَـابَـنـا فـقُـلْـتُ: اتَّـخِـذْ حَـادٍ لَـهُـنَّ سوائِـيـا
تَكَرَّمْتُ عن سَوْقِ المطِيِّ ولم يَكُنْ سِيَاقُ المَطَايا هِمَّتِي ورَجَائِيا
جَعَلْتَ أبي رِهْناً وعِرْضِيَ سَادِراً إلى أَهْلِ بَيْتٍ لَمْ يكونوا كِفَائِيا[1]
إلى شَرِّ بيتٍ مِنْ قُضَاعَةَ مَنصِباً وفي شَرِّ قومٍ مِنْهُمُ قد بَدَا لِيا

فقال له: اركب لا ركبتَ.

[خبر ابن مجزّز ورثاء جَوّاس له]

والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جوّاسُ بنُ قُطْبة العذريُّ علقمة بن مجزِّز. قال أبو عَمْرٍو الشيبانيُّ: وكان عُمَر بنُ الخطاب رضي الله عنه بعث علقمَة بن مجزّز الكنانيَّ ثم المدلجيَّ في جيش إلى الحبشة، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلاّ بإذن الملك، وإلا قوتلوا عليه، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سُمّاً، فوردوه مُغترّين، فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، وكانوا قد أكلوا هناك تمراً، فنبت ذلك النّوى الذي ألقوه نخلاً في بلاد الحبشة، وكان يقال له نخل ابن مجزّز، فأراد عمر أن يجهّز إليهم جيشاً عظيماً فشُهدَ عنده أن رسول اللهﷺ قال: «**اتركوا الحبشة ما تركوكم**» وقال: وددتُ لو أنَّ بيني وبينهم بحراً من نار، فقال جوّاس العذريّ يرثي علقمةَ بن مجزّز:

[الكامل]

إنَّ الـسَّـلاَمَ وحُـسْـنَ كُـلِّ تَـحِـيَّـةٍ تَـغْـدُو عـلـى ابْـنِ مـجَـزِّز وتَـرُوحُ
فـإذا تَـجَـرَّدَ حَـافِـرَاكَ وأَصْـبَـحَـتْ فـي الـفَـجْـرِ نَـائِـحَـةٌ عَـلَـيكَ تَـنُـوحُ
وتَـخَـيَّـروا لـكَ مِـنْ جِـيَـادِ ثِـيَـابِـهِـمْ كَـفَـنـاً عَـلَـيـكَ مِـنَ الـبَـيَـاضِ يَـلُـوحُ
فـهـنـاكَ لا تُـغْـنِـي مَـوَدَّةُ نَـاصِـحٍ حَـذراً عـلـيـكَ إذا يُـسَـدُّ ضَـرِيـحُ
هَـلاَّ فَـدَى ابْـنَ مُـجَـزِّزٍ مُـتَـفَـحِّـشٌ شَـنِـجُ الـيَـدَيْـنِ عـلـى العَـطَـاءِ شَـحِـيـحُ
مُـتَـمَـرِّعٌ وَرِعٌ ولـيـسَ بِـمَـاجِـدٍ مُـتَـمَـلِّـحٌ وحَـدِيـثُـهُ مَـقْـبُـوحُ[2]

وفيمن هلك مع ابن مجزّز يقول جوّاس:

[الطويل]

أَلَـهْـفِـي لِـفِـتْـيَـانٍ كَـأَنَّ وُجُـوهَـهُـمْ دَنَـانِـيـرُ وَافَـتْ مَـهْـلِـك ابْـن مُـجـزِّزِ

---

(١) الرّهْن: القيِّم به. والسّادر: غير المبالي.

(٢) المتمرِّع: طالب المرع: الخصب، ويريد به الجَشع. والورع: الجبان.

صوت

[المتقارب]

أَحِـبَّـتَـنـا بِـأَبِـي أَنْـتُـمُ ... وسَـقْـيـاً لَـكُـمْ حَـيْـثُـما كُـنْـتُـمُ
أَطَـلْـتُـمْ عَـذَابِـي بِـمِـيـعَـادِكُـمْ ... وقُـلْـتُـمْ نَـزُورُ فـمَـا زُرْتُـمُ
فَـأُمْـسِـكُ قَـلْـبِـي عـلـى لَـوْعَـتِـي ... ونَـمَّـتْ دُمُـوعِـي بِـمَـا أَكْـتُـمُ
فَـفِـيـمَ أَسَـأْتُـمْ وأَخْـلَـفْـتُـمُ ... وقِـدْمـاً وفَـيْـتُـمْ وأَحْـسَـنْـتُـمُ

الشعر لابراهيم بن المدبر، والغناء لِعَريب خفيف ثقيل.

أخبار إبراهيم بن المُدَبِّر

[توفي ٢٧٩ هـ/ ٨٩٣ م]

[اسمه ونشأته وإنشاده بين يدي المتوكّل]

أبو إسحاق إبراهيم بن المُدَبِّر شاعرٌ كاتب متقدّم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدّميهم وذَوِي الجَاه والمُتَصرِّفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات، وكان المتوكّلُ يقدّمه ويؤثره ويفضّله، وكانت بينه وبين عَريبَ حالٌ مشهورة، كان يهواها وتهواه، ولهما في ذلك أخبار كثيرة، قد ذكرتُ بعضها في أخبار عَريبَ، وأذكر باقيها ها هنا.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حَدَّثني إبراهيم بن المدبر قال: مرض المتوكّلُ مرضةً خِيفَ عليه منها ثم عُوفِيَ، وأُذِنَ للناس في الوصول إليه، فدخلوا عَلَى طبقاتهم كافة ودخلتُ معهم، فلما رآني استدناني، حتى قُمتُ وراء الفتح، ونظر إلَيَّ مُسْتَنْطِقاً فأنشدته: [مجزوء الكامل]

يَـوْمٌ أَتَـانَـا بِـالـسُّـرُورِ ... فَـالـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ الـكَـبِـيـرِ
أَخْـلَـصْـتُ فِـيـهِ شُـكْـرَهُ ... وَوَفَـيْـتُ فِـيـهِ بِـالـنُّـذُورِ
لَـمَّـا اعْـتَـلَـلْـتَ تَـصَـدَّعَـتْ ... شُـعَـبُ الـقُـلـوبِ مِـنَ الـصُّـدورِ
مِـنْ بَـيْـنِ مُـلْـتَـهِـبِ الـفُـؤَا ... دِ وبـيـنَ مُـكْـتَـئِـبِ الـضَّـمِـيـرِ
يـا عُـدَّتِـي لِـلـدِّيـنِ والـدُّنـ ... ـيـا ولِـلـخَـطْـبِ الـخَـطِـيـرِ
كـانَـتْ جُـفُـونِـي ثَـرَّةَ الْـ ... ـآمَـاقِ بِـالـدَّمْـعِ الـغَـزِيـرِ[1]
لـو لـم أَمُـتْ جَـزَعـاً لَـعَـمْـ ... ـرُكَ إِنَّـنِـي عَـيْـنُ الـصَّـبُـورِ

(١) الثَّرَّة: الغنيّة.

يَـوْمِـي هـنـالـكَ كَـالـسِّـنـيـ ـنَ وسَـاعَـتِـي مِـثْـلُ الـشُّـهـورِ
يـا جَـعْـفَـرُ الـمُـتَـوَكِّـلُ الـ ـعَـالِـي عَـلَـى الـبَـدْرِ الـمُـنِـيـرِ
الـيـومَ عَـادَ الـدِّيـنُ غَـضّ الـعـودِ ذا وَرَقٍ نَـضِـيـرِ
والـيـومَ أَصْـبَـحَـتِ الـخِـلا فَـةُ وهـي أَرْسَـى مِـنْ ثَـبِـيـرِ[١]
قـد حَـالَـفَـتْـكَ وعَـاقَـدَتْـ ـك عَـلَـى مُـطَـاوَلَـةِ الـدُّهُـورِ
يـا رَحْـمَـةً لِـلـعَـالَـمِـيـ ـنَ ويَـا ضِـيـاءَ الـمُـسْـتَـنـيـرِ
يـا حـجَّـةَ الـلَّـهِ الَّـتـي ظَـهَـرَتْ لـه بِـهُـدًى ونُـورِ
لـلَّـهِ أَنْـتَ فَـمَـا نُـشَـا هِـدُ مِـنْـكَ مِـنْ كَـرمٍ وخـيـرِ
حَـتَّـى نـقـولَ ومَـنْ بِـقُـر بِـكَ مِـنْ وَلِـيٍّ أو نَـصِـيـرِ
الـبَـدْرُ يَـنْـطِـقُ بَـيْـنَـنـا أَمْ جَـعْـفَـرٌ فَـوْقَ الـسَّـرِيـرِ!
فـإذا تَـوَاتَـرَتِ الـعَـطَـا ءُ كُـنْـتَ مُـنْـقَـطِـعَ الـنَّـظِـيـرِ
وإذا تَـعَـذَّرَتِ الـعَـطَـا يَـا كُـنْـتَ فَـيَّـاضَ الـبُـحُـورِ
تُـمْـضِـي الـصَّـوَابَ بِـلا وَزِيـ ـرٍ أو ظَـهِـيـرٍ أو مُـشِـيـرِ[٢]

فقال المتوكّلُ للفتح: إن إبراهيم لَينطقُ عن نيّة خالصة، وودٌّ مَحْض، وما قضينا حقه، فتقدَّمْ بأن يُحْمَلَ إليه الساعةَ خمسون ألف درهَمٍ، وتقدم إلى عبيد الله بن يحيى بأن يُولِّيَه عملاً سَرِيّاً[٣] يَنتفع به.

[إنشاده في سجن المتوكّل]

حدّثني عمّي قال: حدّثني محمد بن دَاود بن الجَرَّاح قال: كان أحمدُ بنُ المدبِّر وَلِيَ لعبيد الله بنِ يحيى بن خاقانَ عملاً، فلم يَحمَدْ أثرَه فيه، وعمل عَلَى أن يَنكُبَه. وبلغ أحمدَ ذلك فهربَ، وكان عُبيد الله منحرِفاً عن إبراهيم، شديدَ النَّفاسة[٤] عليه برأي المتوكل فيه، فأغراه به، وعرّفه خبرَ أخيه، وادَّعى عليه مالاً جليلاً، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، وأوغر صدرَه عليه حتى أذن له في حَبْسه، فقال وهو محبوس:

---

(١) ثبير: جبل عظيم من جبال مكة (معجم البلدان ٢/ ٧٣).
(٢) الظهير: المعين.
(٣) العمل السّرِيّ: الكريم الشريف.
(٤) النّفَاسة: الضّنّ والبخل.

[الوافر]

تَسَلَّي ليس طُولُ الحَبْسِ عَاراً وفيه لَنَا مِنَ اللَّهِ اخْتِيَارُ
فلولا الحَبْسُ مَابُلِيَ اصْطِبَارٌ ولولا اللَّيْلُ ما عُرِفَ النَّهَارُ
وما الأَيَّامُ إلَّا مُعْقِبَاتٌ ولا السُّلطانُ إلاَّ مُسْتَعَارُ
وعن قَدَرٍ حُبِسْتُ فَلاَ نَقِيضٌ وفِيمَا قَدَّرَ اللَّهُ الخَيَارُ
سَيُفْرَجُ ما تَرَيْنَ إلى قَلِيلٍ مقدّره وإن طالَ الإِسَارُ

ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حِسَانٌ مختارة، منها قوله في قصيدة أولها:

[الكامل]

أَدُمُوعُها أَمْ لُؤْلُؤٌ مُتَنَاثِرُ يَنْدَى به وَرْدٌ جَنِيٌّ نَاضِرُ

يقول فيها:

لا تُؤْيِسَنَّكَ مِنْ كَرِيمٍ نَبْوَةٌ فَالسَّيْفُ يَنْبُو وهو عَضْبٌ بَاتِرُ[1]
هذا الزَّمَانُ تَسُومُنِي أَيَّامُهُ خَسْفاً وهأَنَذَا عليه صَابِرُ[2]
إنْ طَالَ لَيْلي في الإِسَارِ فَطَالَمَا أَفْنَيْتُ دَهْراً لَيْلُهُ مُتَقَاصِرُ
والحَبْسُ يَحْجُبُني وفي أَكْنَافِهِ مِنِّي عَلَى الضَّرَّاءِ لَيْثٌ خَادِرُ[3]
عَجَباً له كيفَ الْتَقَتْ أَبْوَابُهُ والجُودُ فيه والغَمَامُ البَاكِرُ؟
هَلَّا تَقَطَّعَ أو تَصَدَّعَ أو وَهَى فَعَذَرْتُهُ لَكِنَّهُ بِي فَاخِرُ

ومنها قوله في قصيدة أولها: [الطويل]

أَلاَ طَرَقَتْ سَلْمَى لَدَى وَقْعَةِ السَّارِي فَرِيداً وَحِيداً مُوثَقاً نَازِحَ الدَّارِ[4]
هو الحَبْسُ ما فيه عَلَيَّ غَضَاضَةٌ وهل كانَ في حَبْسِ الخَلِيفةِ مِن عَارِ![5]

يقول فيها: [الطويل]

أَلَسْتِ تَرَيْنَ الخَمْرَ يَظْهَرُ حُسْنُها وبَهْجَتُها بِالحَبْسِ في الطِّينِ والقَارِ!

---

(١) النبوة: الجفوة. والعضب الباتر: القاطع.
(٢) الخَسْف: الذلّ.
(٣) أكنافه: جوانبه. والخادر: الرابض في خدره.
(٤) طرقت: زارت ليلاً. والنازح: البعيد.
(٥) الغضاضة: العيب والمنقصة.

وَمَا أَنَا إلاَّ كَالجَوادِ يَصُونُهُ مُقَوِّمُهُ لِلسَّبْقِ في طَيِّ مِضْمَارِ(١)
أوِ الدُّرَّةِ الزَّهْرَاءِ في قَعْرِ لُجَّةٍ فلا تُجْتَلَى إلّا بِهَوْلٍ وأخْطَارِ
وهل هُوَ إلاَّ مَنْزِلٌ مِثْلُ مَنْزِلي وبَيْتٌ ودَارٌ مِثْلُ بَيْتِيَ أو دَارِي؟
فلا تُنْكِري طُولَ المَدَى وأذَى العِدَى فَإنَّ لِنهَايَاتِ الأمورِ لإقْصَارِ(٢)
لَعَلَّ وَرَاء الغَيْبِ أمْراً يَسُرُّنا يُقَدِّرُهُ في عِلْمِهِ الخَالِقُ البَارِي
وإنّي لأرْجُو أنْ أصُولَ بِجَعْفَرٍ فَأهْضِمَ أعْدَائي وأدْرِكَ بِالثَّارِ

[ثناؤه على مَنْ خلَّصه من السجن]

فأخبرني عمّي عن محمد بنِ داودَ، أن حبسه طال، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلةٌ مع عَضْل(٣) عبيد الله وقَصْدِه إياه، حتى تخلَّصَه محمدُ بن عبد الله بن طاهر، وجَوَّد المسألة في أمره، ولم يلتفتْ إلى عُبَيد الله، وبذل أن يحتملَ في ماله كلَّ ما يطالبُ به، فأعفاه المتوكّل من ذلك، ووهبه له، وكان إبراهيم استغَاثَ به ومدحَهُ، فقال: [الطويل]

دَعَوْتُكَ مِنْ كَرْبٍ فَلَبَّيْتَ دَعْوَتي ولم تَعْتَرِضْنِي إذ دَعَوْتُ المَعَاذِرُ
إليكَ وقد حُلِّئْتُ أوْرَدْتُ هِمَّتي وقد أعْجَزَتْنِي عَنْ هُمُومي المَصَادِرُ(٤)
نَمَى بِكَ عَبْدُ الله في العِزِّ والعُلاَ وحَازَ لكَ المَجْدَ المُؤَثَّلَ طَاهِرُ(٥)
فَأنْتُمْ بَنُو الدُّنْيَا وأمْلاكُ جَوِّهَا وسَاسَتُها والأعْظَمُونَ الأكَابِرُ
مَآثِرُ كَانَتْ لِلحُسَيْنِ ومُصْعَبٍ وطَلْحَةَ لا تَحْوِي مَدَاها المَفَاخِرُ
إذا بَذَلُوا قِيلَ الغُيُوثُ البَوَاكِرُ وإنْ غَضِبُوا قِيلَ اللّيوثُ الهَوَاصِرُ(٦)
تُطِيعُكُمُ يَوْمَ اللِّقَاءِ البَوَاتِرُ وتَزْهُو بِكُمْ يَوْمَ المَقَامِ المَنَابِرُ(٧)
وما لَكُمُ غَيْرَ الأسِرَّةِ مَجْلِسٌ ولا لَكُمُ غَيْرَ السُّيوفِ مَخَاصِرُ(٨)

---

(١) المضمار: المكان تضمر فيه الخيل.
(٢) الإقصار: الانتهاء والكفّ.
(٣) عضلَ عليه: منعه وضيّق عليه.
(٤) حُلِّئت: منعت.
(٥) المجد المُؤَثَّل: الأصيل.
(٦) الهواصر: الكواسر المحطّمة.
(٧) البواتر: السيوف القاطعة.
(٨) المخاصر: جمع المخصرة: وهي ما يحمله الملك أو الخطيب عندما يخطب.

ولي حَاجَةٌ إنْ شِئْتَ أحْرَزْتَ مَجْدَها … وسَرَّكَ مِنْهَا أوَّلٌ ثُمَّ آخِرُ
كَلامُ أمِيرِ المُؤمنينَ وعَطْفُهُ … فَمَا لِيَ بَعْدَ اللَّهِ غَيْرَكَ نَاصِرُ
وإنْ سَاعَدَ المَقْدُورُ فَالنُّجْحُ وَاقِعٌ … وإلاَّ فَإنِّي مُخْلِصُ الوُدِّ شَاكِرُ

[مراسلة عريب له وشفاعتها]

حدّثني جعفر بنُ قُدامة قال: كتبتْ عَريبُ من سُرَّ من رأى إلى إبراهيم بن المدبّر كتاباً تتشوَّقُه فيه، وتخبره باستيحاشها له، واهتمامها بأمره، وأنها قد سألت الخليفةَ في أمره، فوعدها بما تُحِبُّ، فأجابها عن كتابها، وكتب في آخر الكتاب:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ ما صَوْتٌ بَدِيعٌ لِمَعْبَدٍ … بِأحْسَنَ عِنْدِي مِنْ كِتابِ عَرِيبِ
تَأمَّلْتُ في أثْنَائِهِ خَطَّ كَاتِبٍ … وَرِقَّةَ مُشْتَاقٍ ولَفْظَ خَطِيبِ
ورَاجَعَنِي مِنْ وَصْلِها ما اسْتَرَقَّني … وزَهَّدَنِي في وَصْلِ كُلِّ حبيبِ
فصِرْتُ لها عَبْداً مُقِرّاً بِمِلْكِها … ومُسْتَمْسِكاً مِنْ وُدِّهَا بِنَصيبِ

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامَة قال: كان عليّ بنُ يحيى المنجِّم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسُرَّ من رأى على حال أُنْس، وكانت تغنِّيهم جارية يقال لها نَبْتٌ جاريةُ البكرية المغنية من جواري القِيان، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبّر بنظره وَمَزْحه وتجميشه[1]، وهي مقبلة على فتى كان أمردَ من أولاد الموالي يقال لهُ مُظَفَّر، كانت تهواه، وكان أحسن الناس وجهاً، ولم يَزَلْ ذلك دأبَهم إلى أن افترقوا، فكتبَ إليه عليُّ بنُ يحيى يقول: [الطويل]

لقد فَتَنَتْ نَبْتٌ فَتَى الظَّرْفِ والنَّدَى … بِمُقْلَةِ رِيمٍ فَاتِرِ الطَّرْفِ أحْوَرِ[2]
وشَدْوٍ يَرُوقُ السَّامِعِينَ ويَمْلأُ الـ … ـقلوبَ سُروراً مُونِقٍ مُتَخَيَّرِ[3]
فَأصْبَحَ في فَخِّ الهَوَى مُتَقَنَّصاً … عَزِيزٌ على إخوانِهِ ابنُ المُدَبِّرِ
ولم تَدْرِ ما يَلْقَى بها ولو أنَّها … دَرَتْ رَوَّحَتْ مِنْ حَرِّهِ المُتَسَعِّرِ
وذَاكَ بها صَبٌّ ونَبْتٌ خَلِيَّةٌ … ومَشْغُولَةٌ عنه بِوَجْهِ مُظَفَّرِ
ولو أنْصَفَتْ نَبْتٌ لَمَا عَدَلَتْ به … سِوَاهُ وحَازَتْ حُسْنَ مَرْأىً ومَخْبَرِ

---

(١) التجميش: المداعبة والملاعبة.
(٢) الريم: الظبي الخالص البياض. وفاتر الطرف: ناعسه.
(٣) الشّدو: الغناء. والمونِق: المُعجِب.

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر: [الطويل]

طَرِبْتُ إلى قُطْرَبُّلٍ وَبَلَشْكرِ ... وراجَعْتُ غَيّاً ليسَ عَنِّي بِمُقْصِرِ(١)
وذَكَّرنِي شِعْرٌ أَتَانِيَ مُونِقٌ ... حَبَائِبَ قَلبي في أوائلِ أعْصُرِي
فنَهنهْتُ نَفْسِي عن تَذَكُّرِ مَا مَضى ... وقُلْتُ أَفِيقِي لاَتَ حِينَ تَذَكُّرِ
أَبَا حَسَنٍ ما كُنْتَ تُعْرَفُ بِالخَنَا ... ولا بِعُلوٍّ في المَكَانِ المُؤخَّرِ(٢)
وما زِلْتَ محمودَ الشَّمَائِلِ مرْتَضى الخَـ ... ـلائقِ معروفاً بِعرْفٍ ومُنْكَرِ
أَتَرْمِي بِنَبْتٍ مَنْ جَفَاهَا تَخَيُّراً ... وبَاعَدَهَا عنه بِرَأْيٍ مُوَقَّرِ؟
ودَافَعَها عَنْ سِرِّها وهي تَشْتَكي ... إليه تَبَارِيحَ الهَوَى المُتَسَعِّرِ
ولو كَانَ تَبَّاعاً دَوَاعِيَ نَفْسِهِ ... إذاً لَقَضَى أَوْطَارَهُ ابْنُ المُدَبِّرِ
على أنَّهُ لو حَصْحَصَ الحَقُّ بَاعَها ... ولو كانَ مَشْغُوفاً بها بِمُظَفَّرِ(٣)
بِلُؤلُؤةٍ زَهْرَاءَ يُشْرِقُ ضَوْؤُها ... وغُرَّةٍ وَجْهٍ كَالصَّباحِ المُشَهَّرِ
إلى اللَّهِ أَشْكُو أنَّ هَذَا وهذِهِ ... غَزَالاً كَثِيبٍ ذِي أَقَاحٍ مُنَوِّرِ(٤)
وأَنْتَ فَقَدْ طَالَبْتَها فَوَجَدْتَها ... لَهَا خُلُقٌ لا يَرْعَوِي ذُو تَوَعُّرِ(٥)
وحَاوَلْتَ مِنْها سَلْوَةً عَنْ مُظَفَّرٍ ... فمَا لانَ منها العِطْفُ عِندَ التَخيُّرِ(٦)
نَصَحْتُكَ عَنْ وُدٍّ ولم أكُ جَاهِداً ... فإنْ شِئْتَ فاقبلْ قَوْلَ ذِي النّصْحِ أو ذَرِ(٧)

فكتب إليه عليُّ بنُ يحيى المنجم: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَحْسَنْتَ يَا بْنَ المُدَبِّرِ ... ومَا زِلْتَ في الإحسانِ عَيْنَ المُشَهَّرِ
ظَرُفْتَ ومَنْ يَجْمَعْ مِنَ العِلْمِ مِثْلَ ما ... جَمَعْتَ أَبَا إسحاقَ يَظْرُفْ ويُشْهَرِ

ولإبراهيمَ في نَبْتٍ هذه أشعارٌ كثيرةٌ منها قوله: [البسيط]

نَبْتٌ إذا سَكَتَتْ كَانَ السُّكوتُ لها ... زيناً وإنْ نَطَقَتْ فَالدُّرُّ يَنْتَثِرُ

---

(١) قطربل: اسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر (معجم البلدان ٤/ ٣٧١). وبلشكر: من قرى بغداد من ناحية الدُّجيل (معجم البلدان ١/ ٤٨٤) والغيّ: الضلال.
(٢) الخَنا: الفاحشة.
(٣) حصحصَ الحقّ: ظهر بعد خفاء.
(٤) الأقاح: نبت زهره أصفر أو أبيض تشبّه به الأسنان.
(٥) لا يرعوي: لا يرتدع. والتوعّر: الصعب الصلب.
(٦) العِطْف: الجانب.
(٧) ذر: اترك.

وإنَّما أَقْصَدَتْ قَلْبِي بِمُقْلَتِها ... ما كَانَ سَهْمٌ ولا قَوْسٌ ولا وَتَرُ(١)

وقوله: [البسيط]

يا نَبْتُ يا نَبْتُ قَدْ هَامَ الفُؤادُ بِكُمْ ... وأنتِ واللَّهِ أَحْلَى الخَلْقِ إنْسَانَا

أَلاَ صِلِينِي فَإنِّي قَدْ شُغِفْتُ بِكُمْ ... إنْ شِئْتِ سِرّاً وإنْ أَحْبَبْتِ إعْلاَنا

[قصة الخاتمين هدية عريب له]

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال: كان في إصبع إبراهيم بن المدبِّر خاتمان وَهَبَتْهما له عَرِيب، وكانا مشهورين لها، فاجتمع مع أبي العُبَيس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب، فلمّا سَكِرَا اتَّفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العُبَيس، ويقيمَ عنده من غدٍ إن لم يُرَ الهلال، وأخذ الخاتمين منه رهناً. ورُئِيَ الهلالُ في تلك اللّيلة، وأصبح الناس صياماً، فكتب إبراهيم إلى أبي العُبَيس يطالبه بالخاتمين، فدافعَه، وعبِث به، فكتب إليه من غد: [البسيط]

كيف أَصْبَحْتَ يا جُعِلْتُ فِدَاكا ... إنَّنِي أَشْتَكِي إليكَ جَفَاكا

قد تَمَادى بكَ الجَفَاءُ ومَا كُنْـ ... ـت حَقِيقاً ولا حَرِيّاً بِذَاكَا(٢)

كُنْ شَبِيهاً بِمَنْ مَضَى جَعَلَ اللَّـ ... ـهُ لَكَ العُمْرَ دَائماً ورَعَاكَا

إنَّ شَهْرَ الصِّيَام شَهْرُ فَكَاكٍ ... أنْتَ فيه ونَحْنُ نَرْجُو الفَكَاكَا

فَأرْدُدِ الخَاتَمَيْنِ رَدّاً جَمِيلاً ... قد تَنَعَّمْتَ فِيهما ما كَفَاكا

يا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ دَعْوَةَ دَاعٍ ... يَرْتَجِي نُجْحَ أمْرِهِ إذْ دَعَاكَا

ـ يعني أبا عبد الله بن حمدون والد أبي العبيس المخاطب بهذا الشعر ـ

خَاتَمَايَ اللَّذَانِ عِنْدَ أبي العَبَّـ ... ـاس قد شَارَفَا لَدَيْهِ الهَلاَكَا

وهو حُرٌّ وقَدْ حَكَاكَ كَمَا أَنْـ ... ـكَ في المَكْرُمَاتِ تَحْكِي أَبَاكا(٣)

فبعث بالخاتَمين إليه.

[شعره في دعوة أبي العبيس]

وأخبرني جعفر قال: زارت عَرِيبُ إبراهيم بنَ المدبّر وهو في داره على

---

(١) أقصدت: أصابت فلم تخطىء.

(٢) حَرِيّاً: جديراً.

(٣) حَكَاكَ: أشبهكَ.

الشاطىء في المُطَيْرة[(١)] واقترحت عليه حضور أبي العُبَيس فكتب إليه إبراهيم:

[المتقارب]

قُـلْ لابِـنِ حَـمْـدُونَ ذَاكَ الأَرِيـبِ وذَاكَ الـظَّـرِيـفِ وذَاكَ الـحَـسِـيـبِ
كِـتَـابِـي إِلَـيْـكَ بِـشَـكْـوَى غَـرِيـبٍ لِـوَجْـدٍ شَـدِيـدٍ وشَـوْقٍ عَـجِـيـبِ
وَشَـوْقِـي إِلَـيْـكَ كَـشَـوْقِ الـغَـرِيـبِ إلـى أَرْضِـهِ بَـعْـدَ طُـولِ الـمَـغِـيـبِ
ويَـوْمِـيَ إنْ أَنْـتَ تَـمَّـمْـتَـهُ بِـقُـرْبِـكَ ذُو كُـلِّ حُـسْـنٍ وطِـيـبِ
حَـبَـانِـي الـزَّمَـانُ كَـمَـا أَشْـتَـهِـي بِـقُـرْبِ الـحَـبِـيـبِ وبُـعْـدِ الـرَّقِـيـبِ[(٢)]
فَـمَـا زِلْـتُ أَشْـرَبُ مِـنْ كَـفِّـهِ وأَسْـقِـيـهِ سَـقْـيَ الـلَّـطِـيـفِ الأَدِيـبِ
ويَـشْـكُـو إلَـيَّ وأَشْـكُـو إلـيـه بِـقَـوْلٍ عَـفِـيـفٍ وقَـوْلٍ مُـرِيـبِ
إلـى أَنْ بَـدَا لِـيَ وَجْـهُ الـصَّـبَـاحِ كَـوَجْـهِـكَ ذَاكَ الـعَـجِـيـبِ الـغَـرِيـبِ
فـلا تُـخْـلِـنـا يـا نِـظَـامَ الـسُّـرو رِ مِـنْـكَ فَـأَنْـتَ شِـفَـاءُ الـكَـئِـيـبِ
وغَـنِّ لَـنَـا هَـزَجـاً مُـمْـسِـكـاً تَـخِـفُّ لـه حَـرَكَـاتُ الـلَّـبِـيـبِ[(٣)]
فـإِنَّـك قـد حُـزْتَ حُـسْـنَ الـغِـنَـاءِ وقَـدْ فُـزْتَ مـنـه بَـأَوْفـى نَـصِـيـبِ
وكُـنْ بِـأَبِـي أَنْـتَ رَجْـعَ الـجَـوَابِ فِـدَاؤُكَ أَنْـفُـسُـنَـا مِـنْ مُـجِـيـبِ

أخبرني جعفر قال: غَنَّى أبو العُبيس بنُ حَمْدون يوماً عند إبراهيم:

صوت

[مجزوء الكامل]

إِنِّـي سَـأَلْـتُـكَ بِـالَّـذي أَدْنَـى إلـيـكَ مِـنَ الـوَرِيـدِ
إِلَّا وَصَـلْـتَ حِـبَـالَـنـا وكَـفَـيْـتَـنَـا شَـرَّ الـوَعِـيـدِ

فزاد فيه إبراهيم قوله:

الـهَـجْـرُ لا مُـسْـتَـحْـسَـنٌ بَـعْـدَ الـمَـوَاثِـقِ والـعُـهُـودِ
وأَرَاكِ مُـغْـرَاةً بِـه أَفَـمـا غَـرِضْـتِ مـن الـصُّـدودِ؟[(٤)]
إِنِّـي أُجَـدِّدُ لَـذَّتِـي مـا لاَحَ لـي يَـوْمٌ جَـدِيـدُ

(١) المطيرة: قرية من نواحي سامراء. (معجم البلدان ٥/ ١٥١).
(٢) حباني: اختصّني.
(٣) تخفّ: تنشط.
(٤) مُغْراة: مولَعة. وغرضتِ: مللتِ.

شُــرْبِــي مُــعْــتَّــقَــةَ الـكُــرو ... مِ ونُــزْهَــتِــي وَرْدُ الْـخُــدُودِ

فغنَّى هذه الأبيات أبو العُبَيس مُتّصلة باللحن الأول في البيتين وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبر والأوّلان لَيْسَا له.

نسبة هذا الصوت

الغناء في البيتين الأولين خفيف ثقيل مزموم[1] لأبي العبيس، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب ثاني ثقيل بالوسطى.

قال جعفر: وَغَنَّته يوماً كُرَاعَةُ بِسُرَّ مَنْ رأى ونحن حضور عنده:

يـا مَـعْـشَـرَ الـنَّـاس أَمَـا مُـسْـلِـمٌ ... يَـشْـفَـعُ عِـنْـدَ الـمُـذْنِـبِ الـعَـاتِـبِ؟
ذاكَ الَّــذي يَــهْـرُبُ مِــنْ وَصْـلِـنـا ... تَـعَـلَّـقُـوا بِـالـلَّـهِ بِـالـهَـارِبِ

فزاد فيهما قوله:

مَـلَّـكْـتُـهُ حَـبْـلِـي ولَـكِـنَّـهُ ... أَلْـقَـاهُ مِـنْ زُهْـدٍ عَـلَـى غَـارِبِـي
وقَـالَ إِنِّـي فـي الـهَـوَى كَـاذِبٌ ... فَـانْـتَـقَـمَ الـلَّـهُ مِـنَ الـكَـاذِبِ

حدّثني عمّي، قال: حدّثني محمد بن داود قال: كتب إبراهيم بن المدبّر إلى أبي عبد الله بن حمدون في أيام نكبته يسأله إذكارَ المتوكّل والفتح بأمره: [الرمل]

كَـمْ تُـرَى يَـبْـقَـى عـلـى ذَا بَـدَنِـي ... قَـدْ بَـلِـي مِـنْ طُـولِ هَـمٍّ وضَـنِـي
أَنَــا فــي أَسْــرٍ وأَسْــبَــابِ رَدًى ... وحَــدِيــدٍ فَــادِحٍ يَــكْــلِــمُــنِــي[2]
يَـابْـنَ حَـمْـدُونَ فَـتَـى الـجُـودِ الَّـذي ... أَنَـا مِـنْـهُ فـي جَـنَـى وَرْدٍ جَـنِـي
مَـا الَّـذي تَـرْقُـبُـهُ أَمْ مـا تَـرَى ... فـي أَخٍ مُـضْـطَـهَـدٍ مُـرْتَـهَـنِ!
وأَبُــو عِــمْــرانَ مُــوسَــى حَـنِـقٌ ... حَـاقِـدٌ يَـطْـلُـبُـنِـي بِـالإِحَـنِ[3]
وعُـبَـيْـدُ الـلَّـهِ أَيْـضـاً مِـثْـلُـهُ ... ونَـجَـاحٌ بِـي مُـجِـدٌّ مَـا يَـنِـي[4]
لـيـسَ يَـشْـفِـيـهِ سِـوَى سَـفْـكِ دَمِـي ... أو يَـرَانِـي مُـدْرَجـاً فـي كَـفَـنِـي

---

(١) مزموم: مشدود الأوتار.
(٢) يكلمني: يجرحني.
(٣) الإحن: جمع الإحنة. الغضب والحقد.
(٤) لا يني: لا يفتر ولا يضعف.

والأمِيرُ الفَتْحُ إنْ أذْكَرْتَهُ حُرْمَتِي قَامَ بِأمري وعُنِي
فَأْلُ صِدْقٍ حِينَ أدْعُو بِاسْمِهِ وسُرورٌ حِينَ يَعْرُو حَزَنِي
قُلْ لَهُ: يا حُسْنَ ما أوْلَيْتَنِي مَا لِمَا أوْلَيْتَنِي مِنْ ثَمَنِ
زَادَ إحْسَانَكَ عِنْدِي عِظَماً أنَّهُ بَادٍ لِمَنْ يَعْرِفُنِي
لَسْتُ أدْرِي كَيْفَ أجْزِيكَ بِهِ غَيْرَ أنِّي مُثْقَلٌ بِالمِنَنِ[1]
ما رَأى القَوْمُ كَذَنْبِي عِنْدَهُمْ عُظْمُ ذَنْبِي أنَّنِي لَمْ أخُنِ
ذاكَ فِعْلِي وتُرَاثِي عَنْ أبِي واقْتِدَائِي بِأخِي فِي السُّنَنِ
سُنَّةٌ صَالِحَةٌ مَعْرُوفَةٌ هِي مِنَّا فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ
ظَفِرَ الأعْدَاءُ بِي عَنْ حِيلَةٍ ولَعَلَّ اللَّهَ أنْ يُظْفِرَنِي
لَيْتَ أنّي وهُمُ في مَجْلِسٍ يَظْهَرُ الحَقُّ بِه لِلفَطِنِ
فَتَرَى لِي ولَهُمْ مَلْحَمَةً يَهْلِكُ الخَائِنُ فِيهَا والدَّنِي
والَّذي أسْألُ أن يُنْصِفَنِي حَاكِمٌ يَقْضِي بِمَا يَلْزَمُنِي
قُلْ لِحَمْدُونَ خَلِيلِي وابْنِهِ ولِعِيسَى حَرِّكُوه يا بَنِي

- يعني يا بَنِي الزانية، فلم يزالوا في أمره حتى خلَّصوه -

حدّثني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: كان إبراهيم بن المدبّر يحبُّ جارية للمغنيّة المعروفة بالبكريةِ بسُرَّ مَنْ رأى فقال فيها: [السريع]

غَادَرْتِ قَلْبِي فِي إسَارٍ لَدَيْكِ فَوَيْلَتَا مِنْكِ ووَيْلِي عَلَيْكِ
قد يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ أنّي أعَانِي المَوْتَ شَوْقاً إليكِ
مُنِّي بِفَكِّ الأسْرِ أو فَاقْتُلِي أيّهما أحْبَبْتِ مِنْ حُسْنَيَيْكِ
قد كُنْتُ لا أُعْدِي على ظَالِمٍ فَصِرْتُ لا أُعْدِي على مُقْلَتَيْكِ[2]
الخَمْرُ مِنْ فِيكِ لِمَنْ ذَاقَهُ والوَرْدُ لِلنَّاظِرِ مِنْ وَجْنَتَيْكِ
يا حَسْرَتَا إن مِتُّ طَوْعَ الهَوَى ولم أنَلْ ما أرْتَجِيهِ لَدَيْكِ

وأنشدها أبو عبد الله بن حَمْدون هذه الأبيات، وغنّت بها، وجعل يكرّر قوله:

الخَمْرُ مِنْ فِيكِ لِمَنْ ذَاقَهُ

(١) المِنَن: جمع المنّة: الإحسان والإنعام.
(٢) أعدي: أنصر وأعين.

ويقول: هذا والله قولُ خبير مجرّب، فاستحيتُ من ذلك، وسبَّت إبراهيم، فبلغه ذلك، فكتب إلى أبي عبد الله يقول: [البسيط]

أَلَمْ يَشُقْكَ الْتِمَاعُ البَرْقِ في السَّحَرِ؟ ... بَلَى وهَيَّجَ مِنْ وَجْدٍ ومِنْ ذِكَرِ
ما زَالَ دَمْعِي غَزِيرَ القَطْرِ مُنْسَجِماً ... سَحّاً بِأَرْبَعَةٍ تَجْرِي مِنَ الدُّرَرِ
وقُلْتُ لِلْغَيْثِ لَمَّا جَادَ وابِلُهُ ... وما شَجَانِي مِنَ الأحزانِ والسَّهَرِ
يا عَارِضاً مَاطِراً أَمْطِرْ على كَبِدِي ... فَإِنَّها كَبِدٌ حَرَّى مِنَ الفِكَرِ[1]
لَشَدَّ مَا نَالَ مِنِّي الدَّهْرُ واعْتَلَقَتْ ... يَدُ الزَّمَانِ وَأَوْهَتْ مِنْ قُوَى مِرَرِي[2]
يا وَاحِدِي مِنْ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمُ ... ويَا غِنَايَ ويَا كَهْفِي ويا وَزَرِي[3]
أَحِينَ أَنْشَدْتَ شِعْرِي في مُعَذِّبَتي ... أَمَا رَثَيْتَ لها مِنْ شِدَّةِ الحَصَرِ؟
وما شَفَعْتَ بها شِعْرِي وقُلْتَ به ... في رِيقِها البَارِدِ السَّلْسَالِ ذِي الْخَصَرِ[4]
لَبِئْسَ مُسْتَنْصَحاً في مِثْلِ ذلك يا ... نَفْسِي فِداؤكَ من مُسْتَنْصَحٍ غَدِرِ
والـيومُ يَومٌ كَرِيمٌ ليس يُكْرِمُهُ ... إلاّ كَرِيمٌ مِنَ الفِتْيَانِ ذُو خَطَرِ
نَشَدْتُكَ اللَّهَ فَاصْبَحْهُ بِصُحْبَتِهِ ... مُبَاكِراً فَأَلَذُّ الشُّرْبِ في البُكَرِ
واجْمَعْ نَدَامَاكَ فيه واقْتَرِحْ رَمَلاً ... صوتاً تُغَنِّيهِ ذَاتُ الدَّلِّ والخَفَرِ[5]
يَرْتَاحُ لِلدَّجْنِ قَلْبِي وهو مُقْتَسَمٌ ... بينَ الهموم ارْتِياحَ الأَرْضِ لِلمَطَرِ[6]
يا غَادِراً يا أَحَبَّ النَّاس كُلِّهِمُ ... إِلَيَّ واللَّهِ مِنْ أُنْثَى ومِنْ ذَكَرِ
ويَا رَجَائِي ويَا سُؤْلِي ويا أَمَلي ... ويا حَيَاتِي ويا سَمْعِي ويا بَصَرِي
ويا مُنَايَ ويا نُورِي ويَا فَرَجِي ... ويا سُرُورِي ويا شَمْسِي ويا قَمَرِي
لا تَقْبَلِي قَوْلَ حُسَّادِي عَلَيَّ ولا ... واللَّهِ ما صَدَقُوا في القَوْلِ والخَبَرِ
أَدَالَنِي اللَّهُ مِنْ دَهْرٍ يُضَعْضِعُنِي ... فَقَدْ حُجِبْتُ عَنِ التَّسْلِيم والنَّظَرِ[7]
إِنْ يَحْجُبُوا عَنكِ في تقديرِهم بَصَري ... فكيفَ لم يَحْجُبُوا ذِكْرِي ولا فِكَرِي؟
يا قَومُ قلبي ضَعِيفٌ مِنْ تَذَكُّرِها ... وقَلْبُها فَارِغٌ أَقْسَى مِنَ الحَجَرِ

(١) العارض: السحاب الذي يعترض في الأفق فيسدّه.
(٢) المِرَر: جمع المِرّة: شدّة الخلق.
(٣) الكهف: الملجأ. والوزر: الملجأ والمعقل.
(٤) السلسال: العذب الصافي. والخَصَر: البرد.
(٥) النّدامى: الأصحاب. والرَّمل: من الأوزان الشعرية. والخَفَر: الحياء.
(٦) الدَّجْن: القاتم.
(٧) أدالني: نصرني. ويضعضعني: يضعفني.

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي هَائِمٌ دَنِفٌ ... بِغَادَةٍ لَيْتَها حَظِّي مِنَ البَشَرِ[١]

أخبرني محمّد بن خلف بن المرزُبان قال: حدّثني عبد الله بن محمد المَرْوزي، قال: حدّثني الفضل بن العباس بن المأمون، قال: زارتني عَريبُ يوماً ومعها عِدَّةٌ من جواريها، فوافتنا ونحن على شرابنا، فتحدّثَتْ معنا ساعةً، وسألتُها أن تقيمَ عندنا، فأبَتْ وقالت: قد وعدتُ جماعة من أهل الأدب والظَّرف أن أصيرَ إليهم، وهم في جزيرة المربد، منهم إبراهيم بن المدبِّر، وسعيد بن حميد، ويحيى بن عيسى بن منارة، فحلفت عليها، فأقامت. ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطراً واحداً: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ أردتُ، ولولا، ولعلي. وَوَجَّهت الرقعة إليهم، فلمّا وصلتْ قرأوها، وعَيُوا بجوابها، فأخذها إبراهيم بن المدبّر، فكتب تحت أردت «ليتَ» وتحت لولا «ماذا»؟ وتحت لعلي «أرجو» ووجّه بالرقعة إليها، فلما قرأتْها طرِبت ونعرَت، وقالت: أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم؟ تركني الله إذاً من يديه، وقامت فمضتْ وقالت: لكمْ فيمن أتخلَّفُه[٢] عندكم من جواريّ كفاية.

[مكاتبات عريب له]

أخرني محمد بن خَلف قال: حدّثني عبد الله بن المعتز، قال: قرأتُ في مكاتبات لِعَريب فصلاً من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبّر مكاتبة بديعة بعيادة: قد استبطأتُ عيادتكَ - قُدِّمتُ قبلكَ - وعَذَرْتك، فما ذكرت عذراً ضعيفاً لا ينبغي أن يفرح به. فأستديم الله نعمة عندك.

قال وكتبت إليه أيضاً: أستوهبُ اللّهَ حياتكَ، قرأتُ رقعتكَ المسكينة التي كلّفتَها مسألتك[٣] عن أحوالنا، ونحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك، ونسأله الإجابة فلا تُعوِّدْ نفسَكَ - جعلني الله فداءها - هذا الحفاء، والثقةُ مني بالاحتمال وسرعة الرجوع.

وكتبتْ إليه وقد بلغها صومُه يوم عاشوراء: قَبِلَ اللّه صومَكَ وتلقّاه بتبليغكَ ما التمست، كيف ترى نفسك؟ - نفسي فداؤك - ولم كدَّرت جسمَك في آبٍ، أخرجه

---

(١) الدَّنِف: المريض الذي لزمه المرض الشديد.

(٢) أتخلّفه: أتركه خليفةً بعدي.

(٣) مسألتك: سؤالكَ.

الله عنك في عافية، فإنَّه فظ غليظ وأنت محرور، وإطعامُ عشرة مساكين أعظمُ لأجرك، ولو علمتُ لصمتُ لصومك مساعدة لك وكان الثواب في حسناتكَ دوني، لأن نيتي في الصوم كاذبة.

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال: اتّصَلْت لِعريب أشغال دائمة في أيام تركوا رسى، وخدمتها فيما هنالك. فلم يَرَها إبراهيم بن المدبّر مدة، فكتب إليها:

صوت

[الطويل]

إلى اللَّهِ أَشْكُو وَحْشَتِي وتَفَجُّعِي ... وبُعْدَ المَدَى بيني وَبَيْنَ عَرِيبِ
مَضَى دُونَها شَهْرَانِ لم أحلَ فيهما ... بِعَيْشٍ ولا مِنْ قُرْبِها بِنَصِيبِ
فكنتُ غَرِيباً بين أهلي وجِيرَتي ... ولستُ إذا أبْصَرْتُها بِغَرِيبِ
وإنَّ حَبِيباً لم يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... حَقِيقٌ بِأنْ يُفْدَى بكلِّ حَبِيبِ

لِعَريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتز، وهو من مشهور غنائها.

وقال ابن المعتز في ذكره مكاتبات عَريب إلى إبراهيم بن المدبِّر، وقد كتب إليها يشكو علته: كيف أصبحتِ أنعمَ اللَّهُ صَبَاحَكِ ومبيتَكِ؟ وأرجو أن يكون صالحاً، وإنما أردت إزعاج قلبي فقط.

وكتبتْ إليه تدعو له في شهرِ رمضان: أفديكَ بسمعي وبصري وأَهَلَّ اللَّهُ هذا الشَّهْرَ عليكَ بِاليُمْنِ والمغفرةِ، وأعانك على المُفْتَرضِ فيه والمُتَنَفَّل[1]، وبلَّغك مثلَه أعواماً، وفَرَّجَ عنك وعنّي فيه.

قال وكتبت إليه: فداؤك السَّمْعُ والبصرُ والأمُّ والأبُ ومَنْ عرفني وعرفتُه. كيف ترى نفسَك وُقّيتَها الأذى؟ وأعمى اللّه شانِئَك[2]، ومَقَّهُ[3] الله عند هذه الدعوة، وأرجو أن تكون قد أُجِيبَتْ إن شاء الله، وَكيف ترى الصَّومَ؟ عَرَّفَكَ الله برَكَته، وَأعانك على طاعتِه، وَأرجو أن تكون سالماً من كل مكروه بحول الله وقوّته، ووا شَوقي إليكَ وواحشتي لكَ، ردَّك الله إلى أحسن ما عوّدك، ولا أشمتَ

(١) المتنفّل: هو الزيادة على الفرض.
(٢) الشانيء: الباغض.
(٣) مقّه الله: أهلكه.

بي فيك عدوّاً ولا حاسداً. وقد وافاني كتابُك لاعدمتُه إلاّ بالغنى عنه بك، وذكرت حامله، فَوَجّهْتُ رسولي إليه ليدخله، فأسأله عن خبرك، فوجدته منصرفاً، ولو رأيته لَفَرشْتُ خَدِّي له، وكان لذلك أهلاً.

وكتَبتْ إليه وقد عَتَبَتْ عليه في شيء بلَغها عنه:

وَهبَ اللّه لنا بقاءَكَ مُمَتَّعاً بالنِّعم، ما زلتُ أمسّ في ذكرك، فمرّة بمدحكَ، ومرّة بشكرك، ومرّة بأكلك وذكرك بما فيك لوناً لوناً. اجحدْ ذنبك الآن وهات حُجَجَ الكتَّاب ونفاقَهم، فأما خبرنا أمس فإنّا شربنا من فَضلة نبيذك على تذكارك رِطلاً رِطلاً، وقدْ رفعنا حُسباننا إليك، فارفع حُسبانك إلينا، وخَبِّرنا من زاركَ أمس وألهاكَ، وأي شيء كانت القصّةَ على جِهَتِها؟ وَلا تُخَطْرِفْ[1]، فتحوجنا إلى كشفِكَ والبحثِ عنك، وعن حالك، وقل الحقَّ، فمن صدقَ نجا، وما أحوجكَ إلى تأديب، فإنكَ لا تُحْسِنُ أن تؤدِّبه، والحقّ أقولُ إنه يعتريكَ كُزاز[2] شديد يجوز حدّ البرد. وكفاك بهذا من قولي عقوبة، وإن عدت سمعتَ أكثرَ من هذا، والسلام.

حدّثني عَمّي قال: حدّثني محمد بن داود قال: كان عيسى بن إبراهيم النَّصرانيّ المُكنّى أبا الخير كاتب سعيدَ بنْ صالح يسعى[3] على إبراهيم بن المدَبّر في أيام نكبته، فلما زالت، ومات سعيد نُكب عيسى بن إبراهيم وحُبِسَ ونُهِبَتْ دارُهُ فقال فيه إبراهيم بن المدبِّر: [المنسرح]

قُلْ لأبِي الشَّرِّ إنْ مَرَرْتَ بِهِ ... مَقَالَةً عُرِّيَتْ مِنَ اللَّبَسِ[4]

ألْبَسَكَ اللَّهُ مِنْ قَوَارِعِهِ ... آخِذَةً بِالخُنَاقِ والنَّفَسِ[5]

لا زِلْتَ يابْنَ البَظْرَاءِ مُرْتَهَناً ... فِي شَرِّ حَالٍ وضِيقِ مُحْتَبَسِ

أَقُولُ لَمَّا رَأَيْتُ مَنْزِلَهُ ... مُنْتَهَباً خَالِياً مِنَ الأنَسِ

يا مَنْزِلاً قَدْ عَفَا مِنَ الطَّفَسِ ... وسَاحَةً أُخْلِيَتْ مِنَ الدَّنَسِ[6]

مَنْ لاقْتِرَافِ الفَحْشَاءِ بعدَ أَبِي الشَّـ ... ـرِ ومَنْ لِلقَبِيحِ والنَّجِسِ؟

---

(١) خطرفَ: تجاوز الحقيقة والمعقول.
(٢) الكُزاز: الانقباض والانزواء.
(٣) يسعى: يشي وينمّ.
(٤) اللَّبَس: الشبهة وعدم الوضوح.
(٥) القوارع: جمع القارعة: المصيبة.
(٦) الطّفس: القذارة والوسخ.

[يرسل بشعره وشوقه من دير سليمان]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال: وَلِيَ إبراهيمُ بنُ المدبر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغورَ الجزرية[١]، فكان أكثر مقامه بِمَنبج، فخرج في بعض أيام ولايته إلى نواحي دَلوك ورعبان[٢]، وخلَّف بمنبج جاريةً كان يَتَحَظَّاها مغنّية يقال لها غادِر، فحدّثني بعضُ كُتَّابه أنه كان معه بِدَلوك، وهو على جبل من جبالها، فيه دَيْر يُعرَفُ بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزهها، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب: [الطويل]

أَيَا سَاقِيَيْنا وَسْطَ دَيْرِ سُلَيْمَانِ ... أَدِيرَا الكُؤُوسَ فَانهلاني وعُلاَّني
وخُصَّا بِصَافِيها أَبَا جعفرٍ أخِي ... وذَا ثِقَتِي بينَ الأنَام وخُلْصَانِي
ومِيلاَ بها نَحْوَ ابْنِ سَلاَّمٍ الَّذي ... أَوَدُّ وعُودَا بعدَ ذاكَ لِنعمانِ
وعُمَّا بها النّدمانَ والصّحبَ إنّني ... تَنَكَّرْتُ عَيْشِي بعد صَحبِي وإِخوانِي
ولا تَتْرُكَا نَفْسِي تَمُتْ بِسَقَامِها ... لِذِكْرَى حَبِيبٍ قد شَجَاني وعَنَّاني[٣]
تَرَحَّلْتُ عنهُ عن صُدُودٍ وهِجرَةٍ ... وأقبلَ نَحْوِي وَهْوَ بَاكٍ فَأَبْكَاني
وفَارَقْتُهُ واللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَنا ... بِلَوْعَةِ محزونٍ وغُلَّةِ حَرَّانِ[٤]
وليلةَ عَيْنِ المَرْجِ زَارَ خَيَالُهُ ... فهَيَّجَ لي شَوقاً وجَدَّدَ أَشْجَاني
فأَشْرَفْتُ أَعْلَى الدَّيْرِ أنظرُ طَامِحاً ... بِأَلْمَحِ آمَاقٍ وأَنْظَرِ إِنسانِ[٥]
لَعَلِّي أَرَى أَبْيَاتَ مَنْبِجَ رُؤْيةً ... تُسَكِّنُ مِنْ وَجْدِي وَتَكْشِفُ أَحْزَاني
فقَصَّرَ طَرْفِي واسْتَهَلَّ بِعَبْرَةٍ ... وفَدَّيْتُ مَنْ لو كانَ يَدْرِي لَفَدَّاني
ومَثَّلَهُ شَوْقِي إليه مُقَابِلي ... ونَاجَاهُ قَلْبِي بِالضَّمِيرِ ونَاجَانِي

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبر أهداه مجموعاً إلى أخيه أحمد، فلمّا وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطه: [الوافر]

أَبَا إِسْحَاقَ إنْ تَكُنِ اللَّيَالي ... عَطَفْنَ عَلَيْكَ بِالخَطْبِ الجَسِيمِ

---

(١) الثغور الجزرية: تشمل أنطاكية ومرعش (معجم البلدان ٥/ ١٠٧).

(٢) دلوك: بليدة من نواحي حلب بالشام (معجم البلدان ٢/ ٤٦١). ورعبان: مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات (معجم البلدان ٣/ ٥١).

(٣) عَنّاني: أتعبني وأضناني.

(٤) الغُلّة: شدة العطش. والحرّان: الظامىء.

(٥) الطامح: الذي يتشوّف ويتطلّع ليرى.

فَلَم أَرَ صَرْفَ هذا الدَّهْرِ يَجْرِي ... بِمَكْرُوهٍ على غَيْرِ الكَرِيمِ

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني ميمونُ بنُ هارون قال: اجتمعتُ مع عريب في مجلس أنس بِسُرَّ مَنْ رأى عند أبي عيسى بن المتوكل، وَإبراهيمُ بن المدبِّر يومئذ ببغداد، فمرَّ لنا أحسنُ يوم، وذكرتُهُ عريبُ فتشوَّقته وأحسنت الثناء عليه وَالذكر له، فكتبتُ إليه بذلك من غد، وَشرحْتُه له، فأجابني عن كتابي وكتب في آخره:

[الطويل]

أَتَعْلَمُ يا مَيْمُونُ مَاذَا تُهِيجُهُ ... بِذِكْرِكَ أَحْبَابي وحِفْظِهُم العَهْدَا

ووَصْفِ عريبٍ في كَرِيمٍ وَفَائِها ... وَإِجْمَالِها ذِكْرِي وإِخْلاَصِهَا الوُدَّا؟

عليها سَلاَمِي إنْ تَكُنْ دَارُها نَأَتْ ... فقد قَرَّبَ اللَّهُ الَّذي بَيْنَنَا جِدًّا

سَقَى اللَّهُ دَاراً بَعْدَنَا جَمَعَتْكُمُ ... وسَكَّنَ رَبُّ العَرْشِ سَاكِنَها الخُلْدَا

وخَصَّ أَبَا عِيسى الأَمِيرَ بِنِعْمَةٍ ... وأَسْعَدَ فيما أَرْتَجِيهِ له الجَدَّا[1]

فما ثَمَّ مِنْ مَجْدٍ وَطَوْلٍ وسُؤْدَدٍ ... ورَأْيٍ أَصِيلٍ يَصْدَعُ الحَجَرَ الصَّلْدا[2]

[تصالحه مع عريب وشعره فيها]

حدّثني جحظةُ قال: حدّثني عبد الله بن حمدون قال: اجتمعت أنا وَإبراهيم بن المدبر وابن منارة وَالقاسم وابن زُرزُور في بستان بالمُطَيرة وَفي يوم غيم يُهْرِيقُ رَذَاذه ويَقطر أحسن قَطْر، وَنحن في أطيب عيش وأحسن يوم، فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا، فخرج حافياً، حتى تَلَقَّاها وأخذ بِركابها، حتى نزلَتْ وقَبَّلَ الأرضَ بين يديها، وَكانتْ قد هجرَتْهُ مُدَّة لشيء أنكرته عليه، فجاءتْ وجلست وأقبلتْ عليه مبتسمة، وَقالتْ: إنما جئتُ إلى مَنْ هاهنا لا إليكَ. فاعتذَر، وَشَيَّعْنَا[3] قوله، وشفعنا له. فرضيت وأقامت عندنا يومئذ وباتَتْ، واصطبحْنا من غد، وأقامت عندنا فقال إبراهيم:

---

(١) الجَدُّ: الحظّ.

(٢) الطَّوْلُ: الفضل. والسّؤدد: السيادة والمجد والشرف. والصَّلْد: القاسي الصلب.

(٣) شَيَّعْنا قوله: قوّيناه وزكّيناه.

صوت

[الرمل]

بِـأَبِـي مَـنْ حَـقَّـقَ الـظَّـنَّ بِـهِ فَـأَتَـانَـا زَائِـراً مُـبْـتَـدِيَـا
كَـانَ كَـالـغَـيْـثِ تَـرَاخَـى مُـدَّةً وأَتَـى بَـعْـدَ قُـنُـوط مُـرْوِيَـا
طَـابَ يَـوْمَـانِ لَـنَـا فـي قُـربِـهِ بَـعْـدَ شَـهْـرَيْـنِ لِـهَـجْـرٍ مَـضَـيَـا
فَـأَقَـرَّ الـلَّـهُ عَـيْـنِـي وشَـفَـى سَـقَـمـاً كَـانَ لِـجِـسْـمِي مُـبْـلِـيَـا

لِعريب في هذا الشعر لحنان: رَمَل وهَزَج بالوسطى.

أنشدني الصّوليّ رحمهُ الله لإبراهيم بن المدبر في عريب: [المديد]

زَعَـمُـوا أَنِّـي أُحِـبُّ عَـرِيـبـا صَـدَقُـوا والـلَّـهِ حُـبّاً عَـجِـيـبـا
حَـلَّ مِـنْ قَـلْـبِـي هَـواهَـا مَـحَـلاً لـم تَـدَعْ فـيـه لِـخَـلْـقٍ نَـصِـيـبـا
لِـيَـقُـلْ مَـنْ قَـدْ رَأَى الـنَّـاس قِـدْمـا هـل رَأَى مِـثْـلَ عَـرِيـبٍ عَـرِيـبَـا؟
هِـيَ شَـمْـسٌ والـنِّـسَـاءُ نُـجُـومٌ فَـإِذا لاَحَـتْ أَفَـلْـنَ غُـيُـوبَـا

وَأنشدني الصوليّ أيضاً له فيها: [المتقارب]

أَلا يَـا عَـرِيـبُ وُقِـيـتِ الـرَّدَى وجَـنَّـبَـكَ الـلَّـهُ صَـرْفَ الـزَّمَـنْ
فَـإِنَّـكِ أَصْـبَـحْـتِ زَيْـنَ الـنِّـسَـاءِ وواحِـدَةَ الـنَّـاسِ فـي كُـلِّ فَـنّ
فَـقُـرْبُـكِ يُـدْنِـي لَـذِيـذَ الـحَـيَـاةِ وبُـعْـدُكِ يَـنْـفِـي لَـذِيـذَ الـوَسَـنْ
فَـنِـعْـمَ الـجَـلِـيـسُ ونِـعْـمَ الأَنِـيـسُ ونِـعْـمَ الـسَّـمِـيـرُ ونِـعْـمَ الـسَّـكَـنْ

وأنشدني أيضاً له: [السريع]

إِنَّ عَـرِيـبـاً خُـلِـقَـتْ وَحْـدَهـا فـي كُـلِّ مـا يَـحْـسُـنُ مِـنْ أَمْـرِهـا
ونِـعْـمَـةٌ لِـلَّـهِ فـي خَـلْـقِـهِ يُـقَـصِّـرُ الـعَـالَـمُ عَـنْ شُـكْـرِهـا
أَشْـهَـدُ فـي جَـارِيَـتَـيْـهَـا عـلـى أَنَّـهُـمَـا مُـحْـسِـنَـتَـا دَهْـرِهَـا
فَـبِـدْعَـةٌ تُـبْـدِعُ فـي شَـدْوِهـا وتُـحْـفَـةٌ تُـتْـحِـفُ فـي زَمْـرِهـا
يـا رَبِّ أَمْـتِـعْـهـا بِـمَـا خُـوِّلَـتْ وامْـدُدْ لَـنَـا يـا رَبِّ فـي عُـمْـرِهـا

[أهل البصرة يشيّعونه بحزن]

أخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شُراعة القيسيّ البصريّ قال: كان إبراهيمُ بنُ المدبِّر يتولّى البصرة، وكان محسناً إلى أهل البلد إحساناً يَعُمُّهم، ويشتملُ على جماعتهم نَفْعُه، ويَخُصُّنا من ذلك بأوفر حَظّ وأجزلِ نصيب، فلمّا صُرِفَ عن البصرة

شَيَّعَهُ أهلُها، وتفجّعوا لفراقه وساءهم صَرْفُه، فجعل يردّ الناسَ من تشييعهم على قدرِ مراتبهم في الأنس به، حتى لم يبقَ معه إلاّ أبي. فقال له: يا أبا شراعة، إنَّ المشيِّع مُوَدِّعٌ لا محالة، وقد بلغت أقصى الغايات، فبحقّي عليكَ إلاّ انصرفْتَ، ثم قال: يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به، فأحضر ثياباً وطِيباً ومالاً، فودَّعه أبي، ثم قال: [الرمل]

يـا أَبَـا إسـحـاقَ سِـرْ فـي دَعَـةٍ ... وامْضِ مَصْحُوباً فما مِنْكَ خَلَفْ
لَـيْـتَ شِـعْـرِي أيُّ أرضٍ أَجْـدَبَـتْ ... فَأُغِيثَتْ بكَ مِنْ جهدِ العَجَفْ؟[1]
نَـزَلَ الـرُّحْـمُ مِـنَ الـلَّـهِ بِـهِـمْ ... وحُرِمْنَاكَ لِذَنْبٍ قد سَلَفْ[2]
إنَّـمـا أنْـتَ رَبِـيـعٌ بَـاكِـرٌ ... حَيْثُمَا صَرَّفَهُ اللَّهُ انْصَرَفْ

[رسائله إلى عريب]

أخبرني عليُّ بنُ العباس بن طلحة الكاتب قال: قرأتُ جواباً بخطّ إبراهيمَ بنِ المدبر في أضعاف رقعة كتبتْها إليه عريبُ، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره: [الطويل]

وسَاءَلْتُمُوهُ بَعْدَكُمْ كيفَ حَالُهُ ... وذلكَ أمْرٌ بَيِّنٌ ليسَ يُشْكِلُ
فلا تَسْأَلُوا عن قَلْبِهِ فَهْوَ عِنْدَكُمْ ... ولَكِنْ عَنِ الجِسْمِ المُخَلَّفِ فاسْأَلوا

أخبرني عليّ بنُ العباس قال: حدّثني أبي قال: كنتُ عند إبراهيم بنِ المدبّر، فزارته بدعةُ وتُحفةُ وأخرجتَا إليه رقعةً مِن عريب فقرأناها فإذا فيها: بنفسي أنت وسمعي وبصري، وقَلَّ ذاك لك، أصبح يومنا هذا طيّباً، طَيَّبَ اللّه عيشَك، قد احتجبت سماؤه ورَقَّ هواؤه، وتكامل صفاؤه، فكأنه أنت في رقة شمائلك وطيب محضَرك ومخبرك، لافقدتُ ذلك أبداً منك، ولم يصادفْ حسنُه وطِيبُه مني نشاطاً ولا طرباً لأمور صَدَّتْني عن ذلك، أكره تَنْغِيص ما أشتهيه لك من السرور بِنشرها. وقد بعثتُ إليك ببدعةَ وتحفةَ ليؤنسَاك وتُسَرَّ بهما، سرَّك الله وسرّني بك!

فكتب إليها يقول: [الطويل]

كـيـفَ الـسُّـرُورُ وأَنْـتِ نَـازِحَـةٌ ... عَنِّي وكيفَ يَسُوغُ لي الطَّرَبُ!

---

(١) العَجَف: الهزال الشديد.

(٢) الرُّحم: الرحمة.

إنْ غِبْتِ غَابَ العَيْشُ وانْقَطَعَتْ … أَسْبَابُهُ وأَلَحَّتِ الكُرَبُ

وأنفذ الجواب إليها، فلم يلبث أن جاءت، فبادر إليها، وتلقاها حافياً حتى جاء بها عَلَى حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه، يطأ الحمارُ عَلَى بساطه وما عليه، حتى أخذ بركابها، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها، ثم قال:

[الطويل]

ألاَ رُبَّ يوم قَصَّرَ اللَّهُ طُولَهُ … بِقربِ عَرِيبٍ حَبَّذا هو مِنْ قُرْبِ
بها تَحْسُنُ الدُّنْيَا ويَنْعَمُ عيْشُها … وتجتمعُ السَّرَّاء لِلعَيْنِ والقَلْبِ

حدّثني عليّ بن سليمان قال: أنشدني أبي قال: أنشدني إبراهيم بن المدبر، وقد كتب إلى بِدعة وتحفة يستدعيهما، فتأخرّتا عنه فكتب إليهما: [مجزوء الكامل]

قُلْ يا رسولُ لِهذِهِ … ولهذه بِأَبِي هُمَا
قد كَانَ وَصْلُكُمَا لَنَا … حَسَناً فَفِيمَ قَطَعْتُمَا؟
أَعَرِيبُ سَيِّدَةُ النِّسا … ءِ بِهَجْرِنا أَمَرَتْكُمَا؟
كَلاً وَبَيْتِ اللّهِ بَلْ … هذا جَفَاءٌ مِنْكُمَا

وأنشدني عليّ بنُ العباس لإبراهيم بن المدبر، وفيه لعَرِيبَ هَزَج، وقال:

[الهزج]

ألاَ يَا بِأَبِي أَنْتُمْ … نَأَتْ دَارٌ بِنَا عَنْكُمْ
فَإِنْ كُنْتُمْ تَبَدَّلْتُمْ … فَمَا مِنْ بَدَلٍ مِنْكُمْ
وإنْ كُنْتُم عَلَى العَهْدِ … فَأَحْسَنْتُم وأَجْمَلْتُمْ
ويا لَيْتَ المُنَى حَقَّتْ … فَنُبْدِيهَا ولا تَكْتُمْ
فكُنْتُمْ حَيْثُمَا كُنَّا … وكُنَّا حَيْثُمَا كُنْتُمْ

وحدّثني عليّ قال: حدّثني أبي قال: دخلتُ ليلة على إبراهيم بن المدبّر في أيام نكبته ببغداد في ليلة غَيم، فلاح برقٌ من قطب الشمال ونحن نتحدث، فقطع الحديثَ، وأمسك ساعة مفكراً، ثم أقبل عليّ فقال: [مجزوء الخفيف]

بَارِقٌ شَرَّدَ الكَرَى … لاَحَ مِنْ نَحْوِ ما تَرَى[1]

---

(١) شرّد الكرى: أبعد النوم.

هَـاجَ لِـلْـقَـلْـبِ شَـجْـوَهُ فَـاعْـتَـرَى مـنـه مـا اعْـتَـرَى
أَيُّـهَـا الـشَّـادِنُ الَّـذِي صَـادَ قَـلْـبِـي ومـا دَرَى
كُـنْ عَـلِـيـمـاً بِـشِـقْـوَتِـي فِـيـكَ مِـنْ بَـيْـنِ ذَا الـوَرَى[1]

وحدّثني عن أبيه قال: كنت عند إبراهيم بن المدبر فزارتْه بِدعةُ وتُحفةُ وأقامتا عنده، فأنشدنا يومئذٍ: [الخفيف]

أَيُّـهَـا الـزَّائِـرَانِ حَـيَّـاكُـمَـا الـلَّـ ـهُ ومَـنْ أَنْـتُـمَـا لـه بِـالـسَّـلاَمِ
مـا رَأَيْـنَـا فـي الـدَّهْـرِ بَـدْراً وشَـمْـسـاً طَـرَقَـا ثـم رَجَّـعَـا بِـالـكَـلاَمِ
كيفَ خَلَّفْتُما غَرِيباً سَقَاها اللَّـ ـهُ رَبُّ الـعِـبَـادِ صَـوْبَ الـغَـمَـامِ[2]
هِـيَ كَـالـشَّـمْـسِ والـحِـسَـانُ نُـجُـومٌ لـيـسَ ضَـوْءُ الـنَّـهَـارِ مِـثْـلَ الـظَّـلَامِ
جَـمَـعَـتْ كُـلَّ مـا تَـفَـرَّقَ فـي الـنَّـا سِ وصَـارَتْ فَـرِيـدةً فـي الأَنَـامِ

وأنشدني عن أبيه لإبراهيم بن المدبر وهو محبوس: [الطويل]

وإنِّي لأَسْتَنْشِي الشَّمَال إذا جَرَتْ حَنِيناً إلى أُلاَّفِ قَلْبِي وأَحْبَابِي[3]
وأُهْدِي مَعَ الرِّيحِ الجنوبِ إليهمُ سَلاَمي وَشَكْوَى طولِ حُزْنِي وأَوْصَابي[4]
فيا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ غَرِيبٌ عَلِيمَةٌ بِذَلِكَ أو نَامَ الأَحِبَّة عَمّا بي؟

حدّثني عمّي، عن محمد بن داود قال: كان إبراهيم بن المدبِّر صديقَ أبي الصقر إسماعيل بن بُلْبُل فلم يرضَ فعله لمّا نكب ولا نيابته عنه فقال فيه:

[مجزوء الرمل]

لا تُـطِـلْ عَـذْلِـي عَـنَـاءِ إنَّ فـي الـعَـذْلِ بَـلاَءْ
لَـسْـتُ أَبْـكِـي بَـطْـنَ مـرٍّ فَـكَـدِيَـاً فَـكَـدَاء[5]
إنَّـمَـا أَبْـكِـي خَـلِـيـلاً خَـانَ فـي الـوُدِّ الـصَّـفَـاءْ

---

(١) الورى: الأنام.
(٢) صَوْب الغمام: مطره.
(٣) استنشي: أتنشّق.
(٤) الأوصاب: الأوجاع.
(٥) بطن مرّ: من نواحي مكة (معجم البلدان ١/ ٤٤٩). وكديّ: موضع بأسفل مكة (معجم البلدان ٤/ ٤٤٠). وكداء: موضع بأعلى مكة عند المحصّب (معجم البلدان ٤/ ٤٣٩).

يـا أَبَـا الـصَّـقْـرِ سَـقَـاكَ الـلَّـ ـهُ تَـهْـتَـانـاً رَوَاءْ[١]
وَأَدَامَ الـلَّـهُ نُـعْـمَـا كَ ومَـلاَّكَ الـبَـقَـاءْ
لِـمْ تَـجَـاهَـلْـتَ وِدَادِي وتَـنَـاسَـيْـتَ الإِخَـاءْ؟
كُـنْـتَ بَـرّاً فَـتَـعَـلَّـى رَأْ سِـي تَـعَـلَّـمْـتَ الـجَـفَـاءْ
لا تَـمِـيـلَـنَّ مَـعَ الـرِّيـ ـحِ إذا هَـبَّـتْ رُخَـاءْ
رُبَّـمَـا هَـبَّـتْ عَـقِـيـمـاً تَـتْـرُكُ الـدُّنْـيَـا هَـبَـاءْ[٢]

أخبرني عليّ بن العباس قال: حدّثني أبي قال: كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته عَريبُ. فقال لها: رأيت البارحة في النوم أبا العبيسَ وقد غنى في هذا الشعر وأنت تراسلينه فيه: [الرمل]

يـا خَـلِـيـلَـيَّ أَرِقْـنَـا حَـزَنَـا لِـسَـنَـا بَـرْقٍ تَـبَـدَّى مَـوْهِـنَـا[٣]

وَكأنّي أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول:

وَجَـلا عـن وَجْـهِ دَعْـدٍ مَـوْهِـنـا عَـجَـبـاً مـنـه سَـنـاً أَبْـدَى سَـنَـا

فقالت: ما أملح والله الابتداءَ والإجازة! فاجعل ذلك في اليقظة، واكتب إلى أبي العبيس وسله عني وعنك الحضورَ، فكتب إليه إبراهيم: [الرمل]

يـا أبـا الـعَـبَّـاس يَـا أَفْـتَـى الـوَرَى زَارَنَـا طَـيْـفُـكَ فـي سُـكْـرِ الـكَـرَى
وتَـغَـنَّـى لِـيَ صَـوْتـاً حَـسَـنـاً فـي سَـنَـا بَـرْقٍ عـلـى الأُفْـقِ سَـرَى
وعَـرِيـبٌ عِـنْـدَنـا حَـاصِـلَـةٌ زَيْـنُ مَـنْ يَـمْـشِـي عـلـى وَجْـهِ الـثَّـرى
نَـحْـنُ أَضْـيَـافُـكَ فـي مَـنْـزِلِـنَـا نَـتَـمَـنَّـاكَ فـكُـنْ أَنْـتَ الـقِـرَى[٤]

قال: فسار إليهما أبو العبيس، وحدثه إبراهيم برؤياه، فحفظا الشعر، وَغنّيا فيه بقية يومهما.

صوت

[الطويل]

أَلاَ حَيِّ قَبْلَ البَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهْ ومَـنْ أنتَ مُـشْـتَـاقٌ إلـيـه وَشَـائِـقُـهْ

(١) التَّهتان: المطر المتواصل. والرَّواء: المروي.
(٢) الريح العقيم: التي لا خير فيها.
(٣) المَوْهِن: منتصف الليل أو بعده بساعة.
(٤) القِرى: الضيافة.

وَمَــنْ لا تُــوَاتِــي دَارَه غَــيْــرَ فَــيْــنَــةٍ ... وَمنْ أَنْـتَ تَبْـكِـي كُـلَّ يـومٍ تُـفَـارِقُـهْ[1]

الشعر لِقَيْس بن جَروةَ الطائي الأَجَئيّ، قاله في غارة أغارها عمروُ بنُ هند على إبل لطيّىء فحرَّض زُرارة بن عُدَس عمرو بن هند على طَيّىء وقال له: إنهم يتوعّدونَك، فغزاهم واتّصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني تميم في يوم أوارة وخبر ذلك يذكر ها هنا؛ لِتَعَلُّقِ بعض أخباره ببعض.

والغناء لإِبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي ومِنْ مجموع غناء إبراهيم.

(١) الفينة: المدة القليلة من الزمن.

ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب

[يوم أُوارة]

نسختُ ذلك من كتاب عُمَر بنِ محمد بن عبد الملك الزيات بخطه، وذكر أن أحمدَ بن الهيثم بن فراس أخبره به عن العمريّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وغيره من أشياخ طيّىء. قال: وحدثني محمد بن أبي السريّ عن هشام بن الكلبي قالوا: كان من حديث يوم أُوارة أن عمرَو بنَ المنذر بن ماء السماء ـ وهو عمرو بن هند يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المنصور بن حُجْر آكل المُرار الكنديّ وهو الذي يقال له مُضَرِّط الحجارة ـ أنه كان عاقد هذا الحي من طيّىء على ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا. وإن عمرو بنَ هند غزا اليمامَة، فرجع مُنفِضاً فمر بطيّىء، فقال له زُرَارَة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي: أبيتَ اللعن! أصِبْ من هذا الحيّ شيئاً، قال له: ويلك! إنّ لهم عَقْداً، قال: وإن كان، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذْواداً. فقال في ذلك الطائي، وهو قَيس بن جَروة أحد الأجئِيِّين قال: [الطويل]

أَلاَ حَيِّ قَبْلَ البَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهْ ... وَمَنْ أَنْتَ مُشْتَاقٌ إليه وشَائِقُهْ

ومَنْ لا تُواتِي دَارَهُ غَيْرَ فَيْنَةٍ ... ومَنْ أَنْتَ تَبْكِي كُلَّ يَوْمٍ تُفَارِقُهْ

وتَغْدُو بِصَحْراءِ الثَّوِيَّةِ نَاقَتِي ... كَعَدوِ النَّحُوصِ قَدْ أَمَخَّتْ نَوَاهِقُهْ[1]

إلى المَلِكِ الخَيْرِ ابْنِ هِنْدٍ تَزُورُهُ ... وليسَ مِنَ الفَوْتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهْ

وإنَّ نِسَاءً هُنَّ مَا قَالَ قَائِلٌ ... غَنِيمَةُ سَوءٍ بينهنّ مَهارِقُهْ[2]

---

(١) الثوية: موضع قريب من الكوفة (معجم البلدان ٢/٨٧). والنحوص: الأتان التي لا ولد لها ولا لبن فيها. وأمخت: صار لها مخ. والنواهق: عظام شاخصة من ذي الحافر في مجرى الدمع.

(٢) المهارق: جمع المهرق: ورق يكتب فيها العهود والمواثيق.

ولـو نِـيـلَ فـي عَـهْـدٍ لَـنـا لَـحْـمُ أَرْنَـبٍ ... رَدَدْنَا وهَـذَا الـعَـهْـدُ أَنْـتَ مُـعَـالِـقُـهْ[1]
فَـهَـبْـكَ ابْـنَ هِـنْـدٍ لـم تَـعُـقْـكَ أَمَـانَـةٌ ... ومـا الـمَـرْءُ إلاَّ عَـقْـدُهُ وَمَـواثِـقُـهْ
وكُـنَّـا أُنَـاسـاً خَـافِـضِـيـنَ بِـنِـعْـمَـةٍ ... يَـسِـيـلُ بِـنَـا تَـلْـعُ الـمَـلاَ وَأَبَـارِقُـهْ[2]
فـأَقْـسَـمْـتَ لا أَحْـتَـلُّ إلاّ بِـصَـهْـوَةٍ ... حَـرَامٌ عَـلَـيَّ رَمْـلُـهُ وشَـقَـائِـقُـهْ[3]
وأُقْـسِـمُ جَـهْـداً بِـالـمَـنَـازِلِ مِـنْ مِـنًـى ... ومـا خَـبَّ فـي بَـطْـحَـائِـهِـنَّ دَرَادِقُـهْ[4]
لَـئِـنْ لـم تُـغَـيِّـرْ بَـعْـضَ مـا قَـدْ فَـعَـلْـتُـمُ ... لأَنْـتَـحِـيَـنَّ الـعَـظْـمَ ذو أَنَـا عَـارِقُـهْ[5]

فسُمِّيَ عارقاً بهذا البيتَ. فبلغ هذا الشعر عمروَ بنَ هند، فقال زُرارة بن عُدَس: أبيتَ اللَّعْنَ، إنه يتوعّدُكَ. فقال عمرو بن هند لتُرملة بن شُعاث الطّائيّ ـ وهو ابن عمّ عارق ـ: أيهجوني ابنُ عَمِّكَ ويتوعَّدني! قال: والله ما هجاك، ولكنه قد قال: [الكامل]

والـلَّـهِ لـو كـانَ ابْـنُ جَـفْـنَـةَ جَـارَكُـمْ ... لَـكَـسـا الـوجـوهَ غَـضَـاضَـة وَهَـوَانـا[6]
وسَـلاسِـلاً يَـبْـرقْـنَ فـي أَعْـنَـاقِـكُـمْ ... وإذاً لَـقَـطَّـعَ تِـلْـكُـمُ الأَقْـرَانـا[7]
ولَـكَـانَ عَـادَتُـهُ عـلـى جِـيـرَانِـه ... ذَهَـبـاً ورَيْـطـاً رَادِعـاً وجِـفَـانَـا

قالوا: الرّداع: المصبوغ بالزّعفران، وإنما أراد تُرملة أن يُذهبَ سَخيمته، فقال: والله لأقتلنّه. فبلغ ذلك عارقاً، فأنشأ يقول: [الطويل]

مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـمْـرَو بـنَ هِـنْـدٍ رِسَـالَـةً ... إذا اسْتَحْقَبَتْها العِيسُ تُنْضَى على البُعْدِ[8]
أَيُـوعِـدُنـي والـرَّمْـلُ بـيـنـي وبَـيْـنَـه؟ ... تـبـيَّـنْ رُوَيْـداً مـا أُمَـامَـةُ مِـنْ هِـنْـدِ
ومِـنْ أَجَـأٍ دُونـي رِعَـانٌ كَـأَنَّـهـا ... قَـنَـابِـلُ خَـيْـلٍ مِـنْ كُـمَـيْـتٍ ومِـنْ وَرْدِ[9]

---

(١) معالقه: متعلّق به.
(٢) خفض العيش: لينه وسهولته. والتلع: جمع التَّلْعَة: ما ارتفع من الأرض أو ما سفل منها. والملا: الصحراء. والأبارق: جمع الأبرق: الأرض الغليظة التي فيها حجارة ورمل وطين مختلطة.
(٣) لا أحتلّ: لا أنزل. والصُّهوة: برج يتّخذ في أعلى الرابية. والشقائق: جمع الشقيقة: الأرض الصلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب.
(٤) الجَهْد: الوسْع والطاقة. وخَبَّ: عدا. والدرادق: جمع الدردق: صغير الإبل.
(٥) لأنتحيَنّ: لأُصيبنّ. وعرق العظمَ: أكل اللّحمَ الذي عليه كلّه. وذو: الذي.
(٦) الغضاضة: العيب والهوان.
(٧) الأقران: جمع القرن: الحبل الذي يُقرن به البعيران.
(٨) استحقبتها: حملتها في حقيبة الرَّحْل. وتنضى: تهزل.
(٩) الرِّعان: جمع الرَّعْن: أول الجبل البارز منه. والقنابلُ: جمع القَنْبَل: الجماعة من الخيل. والكميت: الذي خالط حمرته سواد.

غَدَرْتَ بَأَمْرٍ أَنْتَ كُنْتَ اجْتَذَبْتَنَا ... عليه وشَرُّ الشِّيمَةِ الغَدْرُ بالعَهْدِ
فقد يَتْرُكُ الغَدْرَ الفَتَى وطَعَامُهُ ... إذا هو أَمْسَى حَلْبَةٌ مِنْ دَمِ الفَصْدِ[١]

فبلغ عمرَو بن هند شعرُه هذا، فغزا طيئاً، فأسر أسرى من طيّىء من بني عدي بن أخزم ـ وهم رهط حاتم بن عبد الله ـ فيهم رجلٌ من الأجئيِّين يقال له قيسُ بن جَحدر ـ وهو جَدّ الطرماح بن حكيم، وهو ابن خالة حاتم ـ فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند، وكذلك كان يصنع، فسأله إيّاهم، فوهبهم له إلاَّ قيس بن جحدر، لأنه كان من الأجئيِّين من رهط عارق، فقال حاتم: [الطويل]

فَكَكْتَ عَدِيّاً كُلَّها مِنْ إِسَارِها ... فَأَنعِمْ وشَفِّعْنِي بَقَيْسِ بنِ جَحْدَرِ
أَبُوهُ أَبِي والأُمَّهَاتُ أُمَّهَاتُنَا ... فَأَنْعِمْ فَدَتْكَ اليومَ نَفْسِي ومَعْشَرِي

فأطلقه.

[مالك بن المنذر عند زرارة بن عدس]

قال: وبلغنا أَنَّ المنذرَ بن ماء السماء وضع ابناً له صغيراً ـ ويقال: بل كان أخاً له صغيراً ـ يقال له مَالِك عند زُرارة، وإنّه خرج ذات يوم يتصيَّدُ، فأخفَق ولم يصبْ شيئاً، فرجع فمَرَّ بإبلٍ لرجل من بني عبد الله بن دارِم، يقال له سُوَيد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم، وكان عند سويد ابنةُ زُرارة بن عُدَس، فولدت له سبعةَ غِلمة، فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها، ثم اشتوى وسويدٌ نائم، فلمَّا انتبه شَدَّ على مالك بعصاً فضربه بها، فأَمَّه[٢]. ومات الغلامُ، وخرج سويدٌ هارباً حتى لحقَ بمكة وعلم أنه لا يأمن، فحالف بني نوفل بن عبد مناة واخْتَطَّ بمكة، فمن ولده أبو أهاب بن عزيز بن قيس بن سويدٍ، وكانت طيّىء تطلب عثرات زُرَارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلقَط الطائيّ يقول: [مجزوء الكامل]

مَنْ مُبْلِغٌ عَمْراً بِأَنَّ المَرْ ... ءَ لَم يُخْلَقْ صُبَارَهْ[٣]
وحَوَادِثُ الأَيَّامِ لا ... تَبْقَى لها إلاَّ الحِجَارَهْ

---

(١) الحَلبة: المرة من الحَلْب.
(٢) أَمَّهُ: ضربه على أُمّ رأسه.
(٣) الصُّبَارة: الحجارة الملس.

أنَّ ابْـــنَ عِـــجْـــزَةِ أمـــه بِـالـسَّـفْـحِ أَسْـفَـلَ مِـنْ أُوَارَهْ

ـ قال هشام: أول ولد المرأة يقال له: زُكمة، والآخر: عِجزة ـ

تَـسْـفِـي الـرِّيَـاحُ خِـلالَـه سَـحْـيـاً وقَـد سَـلَـبُـوا إزَارَهْ[1]

فـاقْـتُـلْ زُرَارَةَ لا أرى فـي الـقَـوْمِ أفْـضَـلَ مِـنْ زُرَارَهْ

[زرارة يهرب بعد مقتل مالك ثم يعود]

فلمّا بلغ هذا الشعرُ عمرَو بن هند بكى حتى فاضَتْ عيناه، وبلغ الخبرُ زرارة فَهرب، وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدرْ عليه، فأخذ امرأته وهي حُبلى فقال: أَذَكَرٌ في بطنك أم أنثى؟ قالت: لا عِلْمَ لي بذلك، قال: ما فعل زُرارة الغادر الفاجر؟ فقالت: إن كان ما علمتُ لطيِّبُ العَرَق سمين المَرق ويأكل ما وَجد، ولا يسأل عَمّا فَقدَ، لا ينام ليلةَ يَخافُ، ولا يشبع ليلةَ يُضافُ. فَبقر بطنها.

فقال قوم زُرارة لِزُرارة: والله ما قتلتَ أخاه، فَأْتِ الملك، فاصدقه الخبر، فأتاه زرارة، فأخبره الخبر فقال: جِئْني بسويد، فقال: قد لحقَ بمكة، قال: فعليّ ببنيه السبعة، فأُتي بِبَنيه ويأمّهم بنت زُرارة وهم غِلْمة بعضهم فوق بعض، فأمر بقتلهم، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه، وتعلَّق بزُرارة الآخرون فتناولوهم، فقال زُرارة: يا بعضي دَعْ بعضاً فذهبت مثلاً. وقُتِلوا.

وآلى عمرو بن هند بِأليَّةٍ لَيَحْرِقَنَّ من بني حنظلة مائة رجل، فخرج يريدهم وبعث على مقدَّمته الطائيَّ عمرو بن ثعلبة بن عَتّاب بن مِلقط، فوجدوا القوم قد نَذِروا[2]، فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأسفل أوارة من ناحية البحرين فحبسهم، ولحقه عمرو بن هند، حتى انتهى إلى أوارة، فضُربت فيه قبّتُه، فأمر لهم بأخدود فحُفِرَ لهم، ثم أضرمه ناراً، فلمّا احتدَمَتْ وتَلَظَّتْ، قذفَ بهم فيها، فاحترقوا.

[الشقيُّ وافدُ البراجم]

وأقبل راكبٌ من البراجم ـ وهم بطن من بني حنظلة ـ عند المَساء، ولا يدري

(١) تسفي الرياح: تثير التراب والغبار. وسحياً: جرفاً.

(٢) نَذِروا: علموا بالأمر.

بشيء مما كان يُوضع له[١] بعيره فأناخ، فقال له عمرو بن هند: ما جاء بك؟ قال: حبُّ الطعام، قد أَقْوَيْتُ ثلاثاً لم أذقْ طعاماً، فلما سطع الدخان ظننتُه دخانَ طعام، فقال له عمرو بن هند: مِمّنْ أنت؟ قال: من البراجم، قال عمرو: «إن الشَّقِيَّ وافدُ البراجم» فذهبَت مثلاً، ورمى به في النار، فهجت العرب تميماً بذلك، فقال ابن الصَّعِقِ العامري: [الوافر]

أَلاَ أَبْـلِـغْ لَـدَيْـكَ بَـنِـي تَـمِـيـمٍ ... بِـآيَـةِ مـا يُـحِـبُّـونَ الـطَّـعَـامَـا

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً، فقيل له: أبيت اللَّعْنَ! لو تحلّلت بامرأة منهم، فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً. فدعا بامرأة من بني حنظلة، فقال لها: من أنتِ؟ قالت: أنا الحمراء بنت ضَمرة بن جابر بن قَطن بن نهشلَ بن دارم، فقال: إني لأَظُنُّكِ أعجمية، فقالتْ: ما أنا بأعجميَّة ولا ولدتْني العجم: [الرجز]

إِنِّـي لَـبِـنْـتُ ضَـمْـرَةَ بْـنِ جَـابِـرِ ... سَـادَ مـعـدّاً كَـابِـراً عـن كَـابِـرِ
إِنِّـي لأُخْـتُ ضَـمْـرَةَ بـنِ ضَـمْـرَهْ ... إذا الـبِـلاَدُ لُـفِّـعَـتْ بِـجَـمْـرَهْ[٢]

قال عمرو: أَمَا والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصَرَفتكِ عن النار، قالت: أما والذي أسألُه أن يضعَ وسادَك[٣]، ويخفِضَ عِمَادَك، ويسلبك مُلكَكَ، ما قتلتَ إلاّ نساء أعاليها ثُدِيّ وأسفلها دُمِيّ قال: اقذفوها في النار، فالتفتتْ، فقالت: ألاَ فتًى يكون مكانَ عجوز! فلمّا أبطأوا عليها قالت: صار الفتيانُ حُمماً، فذهبت مثلاً فأُحْرِقَتْ، وكان زوجها يقال له هَوذة بن جرول بن نهشل بن دارم.

[شعر للقيط يعيّر فيه بني مالك]

فقال لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك وقتله إياهم ونزولهم معه: [المتقارب]

لِـمَـنْ دِمْـنَـةٌ أَقْـفَـرَتْ بِـالـجِـنَـابِ ... إلى الـسَّـفْـحِ بـينَ الـمَـلاَ فَـالـهِـضَـابِ
بَـكَـيْـتَ لِـعِـرفَـانِ آيَـاتِـهَـا ... وهَـاجَ لَـكَ الـشَّـوْقَ نَـعْـبُ الـغُـرَابِ
فـأَبْـلِـغْ لَـدَيْـكَ بَـنِـي مَـالِـكٍ ... مُـغَـلْـغَـلَـةً وسَـرَاةَ الـرِّبَـابِ[٤]

(١) أوضعَ البعيرَ: حمله على السير السريع.
(٢) لُفِّعَتْ: شُمِلَتْ.
(٣) الوِساد: المُتَّكَأ.
(٤) المغلغَلَة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد.

فَــإنَّ امْـــرَأً أَنْـــتُـــمْ حَـــوْلَـــهُ ... تَـحِـفُّـونَ قُـبَّـتَـهُ بِـالـقِـبَـابِ
يُـهِـيـنُ سَـرَاتَـكُـمُ عَـامِـداً ... ويَـقْـتُـلُـكُـمْ مِـثْـلَ قَـتْـلِ الـكِـلاَبِ
فـلـو كُـنْـتُـمُ إبْـلاً أمْـلَـحَـتْ ... لـقـد نَـزَعَـتْ لِـلـمـيـاهِ الـعِـذَابِ[1]
ولَـكِـنَّـكُـمْ غَـنَـمٌ تـصْـطَـفَـى ... ويُـتْـرَكُ سَـائِـرُهـا لِـلـذِّئَـابِ
لَـعَـمْـرُو أبِـيـكَ أبِـي الـخَـيْـرِ مَـا ... أرَدْتَ بِـقَـتْـلِـهِـمُ مِـنْ صَـوَابِ
ولا نِـعْـمَـةً إنَّ خَـيْـرَ الـمُـلُـو ... كِ أفْـضَـلُـهُـمْ نِـعْـمَـةً فـي الـرِّقَـابِ

وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا: [البسيط]

واسْأَلْ زُرَارَةَ والـمَـأْمُـورَ مـا فَـعَـلَـتْ ... قَـتْـلَـى أُوَارَةَ مِـنْ رعـلانِ والـلَّـدَدِ[2]
ودَارِمـاً قـد قَـذَفْـنَـا مِـنْـهُـمُ مِـائَـةً ... في جَاحِمِ النَّارِ إذ يُلْقَوْنَ بالخُدَدِ[3]
يَنْزونَ بِالمُشْتَوِي منها ويُوقِدُها ... عَمْرٌو ولولا شُحومُ القَوْمِ لم تَقِدِ

قال: فحدّثني الكلبي عن المفضل الضّبيّ قال: لمَّا حضر زُرارة الموتُ جمع بنيه وأهل بيته ثم قال: إنه لم يبقَ لي عند أحد من العرب وِتْر إلاَّ قد أدركته؛ غير تحضيض الطَّائيّ ابن ملقطِ الملك علينا، حتى صنع ما صنع، فأيّكم يضمن لي طلب ذلك من طيّىء؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد: أنا لك بذلك ياعم. ومات زرارة، فغزا عمرو بن عمرو جديلة، ففاتوهم، وأصاب ناساً من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن ثمامة وقال في ذلك شعراً.

[لقيط بن زرارة يخطب بنت ذي الجدّين]

وكان زُرارة بن عُدس بن زيد رجلاً شريفاً، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط، ورأى منه خُيَلاَءَ ونشاطاً، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذٍ شاب. فقال له زرارة: لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جِئْتَني بمائة من هجان[4] المنذر بن ماء السماء، أو نكحتَ بنت ذي الجدَّين بن قيس بن خالد. قال لقيط: للّه عليَّ ألا يمس رأسي غَسْل، ولا آكُل لحماً، ولا أشرب خمراً، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت. فخرج لقيط ومعه ابن خال له، يقال له القُراد بن إهاب، وكلاهما كَان شَاعراً شريفاً،

(١) أملحت: وردت الماء المالح.
(٢) رعلان واللّدَد: موضعان.
(٣) الخُدّد: جمع الخُدَّة: الحفرة.
(٤) الهجان من الإبل: البيضاء الكريمة.

فسارا حتى أتيا بني شيبان، فسلّما على ناديهم ثم قال لقيط: أفيكم قيس بن خالد ذو الجدَّين؟ وكان سيدَ ربيعة يومئذ، قالوا: نعم، قال: فأيّكم هُو؟ قال قيس: أنا قيسٌ. فما حاجتك؟ قال: جِئتُكَ خاطباً ابنتك ـ وكانت على قيس يمين ألاّ يخطبَ إليه أحدٌ ابنته عَلانِيَةً إلاّ أصابه بِشَرٍّ وسَمَّعَ به ـ فقال له قيس: ومَنْ أنت؟ قال: أنا لقيط بنُ زُرارة بن عُدس بن زيد، قال قيس: عَجَباً منك يا ذا القُصَّة! هلا كان هذا بيني وبينك؟ قال: ولِمَ يا عمّ؟ فوالله إنّك لَرُغْبَة وما بي من نَضَاة ـ أي ما بي عار ـ ولَئِنْ ناجيتكَ لا أخدعك، ولئن عالَنْتُكَ لا أفضحكَ، فأعجَبَ قيساً كلامُه، وقال: كفءٌ كريم؛ إنّي زَوَّجْتُكَ ومَهَرْتُكَ مائة ناقة ليس فيها مظائر ولا ناب ولا كَزُوم[1]، ولا تبيتُ عندنا عَزباً ولا محروماً. ثم أرسل إلى أمّ الجارية: إنّي قد زَوَّجْتُ لقيطَ بن زُرارة ابنتي القَدور، فاصنعيها واضربي لها ذلك البَلَق[2]، فإنّ لقيطَ بنَ زُرارة لا يبيت فينا عَزباً. وجلس لقيط يتحدّث معهم، فذكروا الغزو، فقال لقيط: أما الغزو فأَرَدُّها للِقاح وأهزَلُها للجمال، وأما المقام فأسمنها للجِمال، وأحبُّها للنساء. فأعجب ذلك قيساً، وأمر لقيطاً، فذهب إلى البلَق فجلس فيه، وبعثت إليه أمّ الجارية بِمجمرة وبخور، وقالت للجارية: اذهبي بها إليه، فوالله لئن ردّها ما فيه خير، ولئن وضعها تحته ما فيه خير، فلما جاءته الجارية بالمجمرة بَخَّرَ شعره ولحيته ثم رَدَّها عليها، فلما رجعت الجاريةُ إليها، خَبَّرتها بما صنع، فقالت: إنه لخليقٌ للخير، فلما أمسى لقيط أُهْدِيَت الجارية إليه، فمازحها بكلام اشمأزّت منه، فنام وطرح عليه طرف خَميصة[3]، وباتت إلى جنبه، فلما استثقل انسلَّتْ فرجَعَت إلى أُمها، فانتبه لقيط فلم يَرَها، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي، فقال: أرحل بعيرك وإياك أن يُسْمَعَ رُغاؤُها. فتوجّها إلى المنذر بن ماء السماء.

وأصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت، ولم يَدْرِ ما الذي ذهب به. ومضى لقيط، حتى أتى المنذَر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله، فأعطاه مائة من هجائنه، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زُرارة، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر، ثم انصرف لقيط من عند كسرى، فأتى أباه فأخبره خبره. وأقام يسيراً، ثم خرج هو وقرادٌ حتى

---

(١) المظائر: من الظِّئر وهي الأنثى المرضعة. والناب: الناقة المسنّة. والكَزوم: الناقة التي سقطت أسنانها من الكبر.

(٢) البَلَق: بيت من الشَّعَر.

(٣) الخميصة: كساء أسود مربّع له أعلام.

جاءا محلّة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل، فقال لقيط: [البسيط]

انْظُرْ قَرادُ وهَاتَا نَظْرَةً جَزِعَا عُرْضَ الشَّقَائِقِ هَلْ بَيَّنْتَ أَظْعَانَا
فيهِنَّ أُتْرُجَّةٌ نَضْحَ العَبِيرُ بها تَكسي تَرَائِبَها شَذْراً ومَرْجَانا[1]

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد، فجهّزها أبوها. فلما أرادت الرحيل قال لها: يا بُنَيَّة كوني لزوجِكِ أمةً يكن لكِ عبداً، وليكن أكثرُ طِيبِكِ الماء، فإنّكِ إنّما يُذهَب بك إلى الأعداء، وأراك إن ولدتِ فستلدين لنا غيظاً طويلاً، واعلمي أن زوجَك فارس مُضَر، وأنه يوشك أن يُقْتَلَ أو يموت، فلا تَخمِشي عليه وجهاً ولا تَحْلِقي شعراً، قالت له: أما والله لقد رَبَّيْتَني صغيرة، وأقصيتني كبيرة، وزوّدتني عند الفراق شَرَّ زادٍ. وارتحلَ بها لقيط، فجعلتْ لا تمرُّ بحَيٍّ من العرب إلاّ قالت: يا لقيط، أهؤلاء قومُكَ؟ فيقول: لا، حتى طلعت على محلّة بني عبد الله بن دارم، فرأت القبابَ، والخيل العِرابَ[2]، قالت: يا لقيط أهؤلاء قومك؟ قال: نعمْ، فأقام أياماً يُطعِم وينحر، ثم بنى بها، فأقامت عنده حتى قُتِلَ يوم جَبَلة، فبعث إليها أبوها أخاً لها فحُمِلَتْ، فلمّا ركبَتْ بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم، فقالت: يا بني دارم، أوصيكم بالغرائب خيراً، فوالله ما رأيت مثلَ لقيط، لم تخمِشْ عليه امرأة وَجْهاً ولم تَحلِقْ عليه شعراً، فلولا أني غريبة لَخَمَشْتُ وحلقتُ، فحبّبَ الله بين نسائكم، وعادى بين رعائكم، فأثنوا عليها خيراً.

ثم مضتْ حتى قدمَتْ على أبيها، فزوَّجها من قومه، فجعل زوجُها يسمعُها تذكر لَقيطاً وتحزن عليه، فقال لها: أيَّ شيء رأيت من لقيط أحسنَ في عينك؟ قالت: خرج يوم دَجْن وقد تَطيَّب وشربَ، فطرد البقر فصرع منها، ثم أتاني وبه نضحُ دماء، فضمّني ضَمَّةً، وشَمَّني شمّةً، فليتني مِتُّ ثَمَّة، فلم أرَ منظراً كان أحسنَ من لَقيط. فمكث عنها حتى إذا كان يومُ دَجن شَربَ وتطيّب ثم ركب فطرد البقر، ثم أتاها وبه نضح دمٍ والطِّيبُ ورِيحُ الشراب، فضمّها إليه وقبّلها، ثم قال لها: كيف ترينَ؟ أأنا أم لَقِيط فقالت: ماءٌ ولا كَصَدَّاء، ومرعى ولا كالسَّعدان[3] فذهبت

(١) الشَّذر: قطع الذهب واللؤلؤ الصغار.
(٢) الخيل العراب: الأصيلة.
(٣) السَّعدان: نبت ذو شوك وهو من أنجع المراعي.

مثلاً، وصَدَّاء رَكِيَّة[١] ليس في الأرض رَكِيَّة أطيب منها، وقد ذكرها التميمي في شعره: [الطويل]

إِنِّي وتَهْيَامِي بِزَيْنَبَ كَالَّذِي ... يُخَالِسُ مِنْ أحواضِ صَدَّاءَ مَشْرَبا
يَرَى دُونَ بَرْدِ المَاءِ هَوْلاً وَذَادَةً ... إذا اشْتَدَّ صَاحوا قبلَ أنْ يَتَحَبَّبَا[٢]

يقول: قبل أن يروى يقال: تحبَّبْتُ من الشراب أي رَويتُ، وَبضعْت منه أيضاً أي رويت منه، والتحبُّبُ: الرِّيّ.

صوت

[الطويل]

وكَاتِبةٍ في الخَدِّ بالمِسْكِ جَعْفَرَا ... بِنَفْسِي مَخَطُّ المِسْكِ مِنْ حَيْثُ أَثَّرا
لَئِنْ كَتَبَتْ في الخَدِّ سَطْراً بِكَفِّها ... لقد أَوْدَعَتْ قَلْبِي مِنَ الحُبِّ أَسْطُرا
فيَا مَنْ لِمَمْلوكٍ لِمَلْكِ يَمِينِهِ ... مُطِيعٌ لها فيما أَسَرَّ وأَظْهَرَا
ويا مَنْ هَواهَا في السَّرِيرَةِ جَعْفَرٌ ... سَقَى اللَّهُ مِنْ سُقْيَا ثَنَايَاكِ جَعْفَرا[٣]

الشعر لمحبوبة شاعرةِ المتوكّل، والغناء لعريب خفيف رَمَل مطلق.

(١) والرَّكِيّة: البئر ذات الماء.
(٢) الذَّادة: جمع الذائد: الطارد والمانع.
(٣) الثنايا: جمع الثَّنِيّة: أسنان مقدّم الفم.

أخبار محبوبة

[توفيت بعد ٢٤٧ هـ/ بعد ٨٦١ م]

[جمالها وسرعة بديهتها وبعض شعرها]

كانت محبوبة مولَّدة من مولّدات البصرة، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشّاعِرة اليماميّة أن تتقدَّمها، وكانت محبوبة أجملَ من فَضْل وأعفّ، ومَلَكها المتوكّل وهي بكر، أهداها لهُ عبدُ الله بنُ طاهر، وبقيت بعده مدة، فما طمع فيها أحدٌ، وكانت أيضاً تغنّي غِناءً ليس بالفاخر البارع.

أخبرني بذلك جحظةُ عن أحمد بن حَمدون، وأخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدّثني عليّ بن يحيى المنجم: كان علي بنُ الجهم يُقرَّبُ من أنس المتوكّل جدّاً، ولا يكتمه شيئاً من سرّه مع حرمه وأحاديث خَلواته، فقال له يوماً: إنّي دخلتُ على قبيحةَ، فوجدتها قد كتبتْ اسمي على خَدِّها بغالية؛ فلا والله ما رأيتُ شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدِّ، فقل في هذا شيئاً. قال: وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء السِّتْرِ، وكان عبد الله بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة إلى المتوكّل، قال: فدعا عليّ بن الجهم بِدواةٍ، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكّر، قالت محبوبة على البديهة من غير فكرٍ ولا رَوِيَّة:

وكَاتِبَةٍ بِالمِسْكِ في الخَدِّ جَعْفَرا ... بِنَفْسِي مَخَطُّ المِسْكِ مِنْ حَيثُ أَثَّرَا
لَئِنْ كَتَبَتْ في الخَدِّ سَطراً بِكَفِّها ... لقد أَوْدَعَتْ قَلْبِي مِنَ الحُبِّ أَسْطُرَا
فيا مَنْ لِمَمْلُوك لِمَلْكِ يَمِينِه ... مُطِيعٍ له فِيمَا أَسَرَّ وأَظْهَرَا
ويا مَنْ مُنَاهَا في السَّرِيرَة جَعْفَرٌ ... سَقَى اللَّهُ مِنْ سُقْيَا ثَنَايَاكِ جَعْفَرَا[1]

(١) السَّريرة: ما يُسِرُّه الإنسان.

قال: وبَقِي عليّ بن الجهم واجماً لا ينطقُ بحرف. وأمر المتوكّلُ بالأبيات، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تُغَنِّيَ فيها قال علي بن يحيى: قال علي بن الجهم بعد ذلك: تحيّرتُ والله، وتقلّبتْ خواطري، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله.

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدّثني ابن خُرْداذبة قال: حَدّثني عليّ بن الجهم قال: كنتُ يوماً عند المتوكّلِ وهو يَشربُ ونحن بين يديه، فدفع إلى محبوبة تُفاحة مُغَلَّفة فقَبَّلتها، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرِب، ثم خرجت جاريةٌ لها ومعها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل فقرأها، وضحك ضحكاً شديداً، ثم رمى بها إلينا، فقرأناها وإذا فيها: [المنسرح]

يـا طِـيـبَ تُـفَّـاحَـةٍ خَـلَـوْتُ بِـهَـا ... تُـشْـعِـلُ نَـارَ الـهَـوَى عـلـى كَـبِـدِي
أَبْـكِـي إلـيـهـا وأَشْـتَـكِـي دَنَـفِـي ... ومـا أُلاَقِـي مِـنْ شِـدَّةِ الـكَـمَـدِ
لـو أَنَّ تُـفَّـاحَـةً بَـكَـتْ لَـبَـكَـتْ ... مِـنْ رَحْـمَـتِـي هَـذِهِ الَّـتـي بِـيَـدِي
إنْ كُـنْـتِ لا تَـرْحَـمِـيـنَ مـا لَـقِـيَـتْ ... نَفْسِي مِنَ الجهدِ فَارْحَمِي جَسَدِي

قال: فوالله ما بَقِيَ أحد إلاَّ استظرفها واستملحها، وأمر المتوكل فغُنيّ في هذا الشعر صوتٌ شربَ عليه بقية يومه.

حدّثني جعفر بن قُدامة قال: حَدَّثني علي بنُ يحيى المنجّم، أن جواريَ المتوكّل تفرّقْنَ بعد قتله، فصار إلى وصيف عدّة منهن، وأخذ محبوبة فيمن أُخِذَ، فاصطبحَ يوماً وأمر بإحضار جواري المتوكل، فأُحْضِرْنَ، عليهنّ الثياب الملوّنة، والمذهّبة والحُليّ، وقد تَزيَّنّ وتعَطَّرْنَ إلاّ محبوبة فإنّها جاءت مَرْهاء متسلّبة[1]، عليها ثيابُ بياضٍ غير فاخرة، حزناً على المتوكّل. فغنّى الجواري جميعاً، وشربنَ وطربَ وصيفٌ وشرب، ثم قال لها: يا محبوبة غَنِّي فأخذت العود، وغَنَّتْ وهي تبكي، وتقول: [مجزوء الخفيف]

أيُّ عَـيْـشٍ يَـطِـيـبُ لِـي ... لا أَرَى فـيـهِ جَـعْـفَـرَا
مَـلِـكـاً قـد رَأَتْـهُ عَـيْـ ... ـنِـي قَـتِـيـلاً مُـعَـفَّـرَا
كُـلُّ مَـنْ كَـانَ ذَا هُـيَـا ... مٍ وحُـزْنٍ فَـقَـدْ بَـرَا
غَـيْـرُ مَـحْـبُـوبَـةَ الَّـتـي ... لَـو تَـرَى الـمَـوْتَ يُـشْـتَـرَى

(١) المرهاء: الغير مكتحلة.
والمتسلِّبة: التي لبست السلاب: وهو الثوب الأسود الذي يلبس في الحداد.

لأشْتَرَتْهُ بِمِلْكِهَا كُلُّ هذا لِتُقْبَرَا
إنَّ مَوْتَ الكَئِيبِ أَصْلَحُ مِنْ أَنْ يُعَمَّرَا

فاشتدّ ذلك على وصيف، وهَمَّ بقتلها. وكان بُغا حاضراً، فاستوهبها منه، فوهبها له فأعتقها وأمر بإخراجها، وأن تكون بحيث تختارُ من البلاد، فخرجت من سُرَّ من رأى إلى بغداد، وأُخْمِلَتْ ذكرها طول عمرِها.

[مغاضبة ومصالحة في المنام]

أخبرني جعفر بن قُدامة، قال: حَدَّثني ملاوِّي الهَيْثمي قال: قال لي عليُّ بنُ الجهم: كانت محبوبة أُهدِيَتْ إلى المتوكّل، أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية، وكانت بارعة الحسن والظَّرْفِ والأدب مُغَنِّيَةً مُحسِنة، فحَظِيَتْ عند المتوكّل، حتى إنّه كان يُجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب، فيُدْخِلُ رأسَه إليها، ويحدّثها ويراها في كلّ ساعة. فغاضبها يوماً، وهجرها ومنع جواريه جميعاً من كلامِها ثم نازعتْه نفسه إليها، وأراد ذلك، ثم منعته العِزَّةُ، وامتنعتْ من ابتدائه إدْلاَلاً عليه بِمَحلِّها منه. قال عليُّ بنُ الجهم: فبكَّرْتُ إليه يوماً فقال لي: إنّي رأيت البارحة محبوبة في نومي كأني قد صالحتها، فقلت: أَقَرَّ الله عينَك يا أمير المؤمنين، وأنامَك على خير، وأيقظكَ على سرور، وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة، فبينا هو يحدّثني وأُجيبه إذا بوصيفة قد جاءته، فأسرّت إليه شيئاً، فقال لي: أتدري ما أَسَرَّتْ هذه إليَّ؟ قلت: لا، قال: حَدّثتني أنها اجتازت بمحبوبة الساعةَ وهي في حجرتها تغنّي، أفلا تعجبُ من هذا؟ إني مغاضبها، وهي متهاونة بذلك، لا تبدأُني بصلح، ثم لا ترضى حتى تغنّي في حجرتها، قُمْ بنا يا عليُّ حتى نسمع ما تُغَنِّي. ثم قام وتبعتُه حتى انتهى إلى حُجرتها فإذا هي تغني وتقول: [المنسرح]

أَدُورُ فـي القَصْـرِ لا أَرَى أَحَـداً أَشْكُو إليـه ولا يُكَلِّمُنِي
حَتَّى كَأَنّي رَكِبْتُ مَعْصِيَةً لَيْسَتْ لها تَوْبَةٌ تُخَلِّصُنِي
فهل لَنَا شَافِعٌ إلى مَلِكٍ قد زَارَنِي في الكَرَى فَصَالَحَنِي
حَتَّى إذا ما الصَّبَاحُ لاَحَ لنا عَادَ إلى هَجْرِه فصَارَمَنِي

فطرب المتوكِّلُ، وأحسّتْ بمكانه فأمرتْ خَدَمَها فخرجوا إليه، وتنحّينا وخرجتْ إليه، فحدّثته أنها رأته في منامها وقد صالحها فانتبهتْ، وقالت هذه الأبيات، وغَنَّتْ فيها. فحدّثها هو أيضاً برؤياه واصطلحا، وبعث إلى كلّ واحد منا

بجائزة وخِلْعة. ولما قُتِلَ تَسلَّى عنه جميعُ جواريه غيرها، فإنّها لم تزلْ حزينة متسلّبة هاجرة لكل لذة حتى ماتتْ. ولها فيه مراثٍ كثيرة.

صوت

[البسيط]

يـا ذَا الَّـذِي بِـعَـذَابِـي ظَـلَّ مُـفْـتَـخِـراً ... هـل أَنْـتَ إلاَّ مَـلِـيـكٌ جَـارَ إذ قَـدَرا

لـولا الـهَـوَى لَـتَـجَـازَيْـنـا عـلـى قَـدَرٍ ... وإنْ أُفِـقْ مـنـه يـومـاً مـا فَـسَـوفَ تَـرَى

الشعر يقال إنه للواثق، قاله في خادم له غضب عليه، ويقال: إن أبا حفص الشَّطرنجي قاله له.

والغناء لعُبَيدة الطنبورية رمَل مطلق، وفيه لحن للواثق آخر، قد ذكر في غنائه.

أخبارُ عُبيدة الطُّنبوريّة

[نشأتها وغناؤها بحضرة إسحاق]

كانت عُبيدة من المُحْسِنات المُتَقَدّمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاقُ وحسبها بشهادته. وكان أبو حَشيشة[1]، يُعَظّمها، ويعترف لها بالرِّياسة والأُستاذيّة، وكانت من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم صوتاً. ذكرها جحظة في كتاب الطُّنبوريين والطُّنبوريات، وقرأتُ عليه خبرَها فيه فقال: كانت من المحسِنَات، وكانت لا تخلو من عِشْق، ولم يُعْرَفْ في الدُّنيا امرأة أعظمُ منها في الطُّنبور، وكانت لها صنعةٌ عجيبة، فمنها في الرمَل:

كُنْ لي شَفِيعاً إلَيْكَا ... إنْ خَفَّ ذاكَ عَلَيْكَا
وأعْفِنِي مِنْ سُؤَالِي ... سِوَاكَ ما في يَدَيْكَا
يا مَنْ أعِزُّ وأهْوَى ... ما لِي أهُونُ عَلَيْكَا؟

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد بن إسحاق قال: قال لي عليّ بن الهيثم اليزيديّ: كان أبو محمد ـ يعني أبي رحمه الله إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ ـ يألفني ويدعوني ويعاشرُني، فجاء يوماً إلى أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه، فرجع ومَرَّ بي، وأنا مشرف من جَناحٍ لي، فوقف وسَلَّم عليّ وأخبرني بقصّته، وقال: هل تنشطُ اليومَ للمسير إليّ؟ فقلت له: ما على الأرض شيء أحبّ إليّ من ذلك، ولكني أُخبرُك بقصتي، ولا أكتمُك. فقال: هاتها، فقلت: عندي اليوم محمدُ بنُ عمرو بنِ مَسعدة وهارون بن أحمد بن هشام، وقد دعونا عُبيدةَ الطُّنبورية، وهي حاضرة، والساعةَ يجيء الرجلان، فامضِ في حفظ الله، فإني أجلسُ معهم حتى تنتظم أُمورُهم، وأروح إليك. فقال لي: فهلاّ

---

(١) أبو حشيشة: هو محمد بن علي بن أمية بن أبي أمية المعروف بالطنبوري، ولقبه أبو حشيشة، شاعر موسيقي دمشقي (ت نحو ٢٥٠ هـ/ ٨٦٥ م). ترجمته في المرزباني ٤٢٧، والأعلام ٧/ ١٥٥).

عرضتَ عليَّ المُقام عندك؟ فقلت له: لو علمتُ أن ذلك مما تَنشط له والله لرغبتُ إليك فيه، فإن تفضلتَ بذلك كان أعظَم لِمنَّتك، فقال: أَفْعلُ، فإني قد كنت أشتهي أن أسمَع عُبيدة، ولكن لي عليك شريطَة، قلت: هاتها، قال: إنها إن عرفتني وسألتموني أن أُغني بحضرتها لم يَخْفَ عليها أمرِي وانقطعتْ فلم تصنع شيئاً، فدعوها على جِبِلّتها[1]، فقلت: أفعلُ ما أمرتَ به، فنزل وَردَّ دابته وعَرَّفْتُ صاحِبَيَّ ما جرى، فكتماها أمرَه وأكلنا ما حضر، وقُدِّم النبيذ، فغنت لحناً لها تقول:

[مجزوء الوافر]

قَرِيبٌ غَيْرُ مُقْتَرِبِ ... ومُؤْتَلِفٌ كَمُجْتَنِبِ
لَهُ وُدِّي ولِي مِنْهُ ... دَوَاعِي الهَمِّ والكُرَبِ
أُوَاصِلُهُ على سَبَبٍ ... ويَهْجُرُنِي بِلاَ سَبَبِ
ويَظْلِمُنِي على ثِقَةٍ ... بِأَنَّ إِلَيهِ مُنْقَلَبِي

فطربَ إسحاقُ، وَشرب نِصْفاً، ثم غَنَّتْ وَشَربَ نِصْفاً، ولم يزل كذلك حتى وَالى بين عشرة أنصاف، وَشربناها معه؛ وَقام ليصلِّي، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام: وَيحك يا عبيدة! ما تبالينَ وَالله متى متّ، قالت: ولم؟ قال: أتدرينَ مَنَ المستحسنُ غناءَكِ والشّاربُ عليه ما شرب؟ قالت: لا والله، قال: إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فلا تُعَرِّفِيهِ أنَّكِ قد عرفته. فلمَّا جاء إسحاق ابتدأتْ تُغنّي، فلحقتها هَيبةٌ له واختلاط، فنقصتْ نقصاناً بيِّناً، فقال لنا: أعرّفْتُموها من أنا؟ فقلنا له: نعم، عرَّفها إيَّاكَ هارونُ بنُ أحمد، فقال إسحاق: نقوم إذاً، فننصرف، فإنه لا خيرَ في عشرتكم الليلةَ ولا فائدةَ لي ولا لكم، فقام فانصرف.

حدّثني بهذا الخبر جحظةُ عن جماعة منهم العباس بن أبي العُبيس، فذكر مثله وقال فيه: إن الصّوت الذي غنّته:

يَا ذَا الَّذي بِعَذَابِي ظَلَّ مُفْتَخِراً

حدّثني جحظة قال: حدّثني محمد بن سعيد الحاجب قال: حدّثني ملاحِظٌ غلام أبي العباس بن الرشيد، وَكان في خدمة سعيد الحاجب، قال: اجتمع الطُّنبوريُّون عند أبي العباس بن الرَّشيد يوماً، وفيهم المسدودُ وعُبيدة، فقالوا

(١) الجِبِلّة: الطبيعة.

للمسدود: غَنِّ، فقال: لا والله، لا تَقَدَّمْتُ عُبيدَة وَهي الأستاذة، فما غَنَّى حتى غَنَّتْ.

وحدّثني جحظة، قال: حدّثني شرائح الخزاعيُّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر وَساباط شرائح مشهور قال: كانت عُبيدة تعشقُني فتَزَوَّجْتُ فمرَّتْ بي يوماً فسألتها الدُّخولَ إليّ فقالت: يا كَشْخَانُ[1]، كيف أدخل إليك وَقد أقعدتَ في بيتك صاحب مَصْلَحَة! ولم تَدْخل.

وحَدّثني جحظة قال: وهب لي جعفرُ بنُ المأمون طنبورهَا فإذا عليه مكتوب بأبنوس: [مجزوء الخفيف]

كُلُّ شَيءٍ سِوَى الخِيَا نة في الحُبِّ يُحْتَمَلْ

[بعض أخبارها]

وَحدَّثني جحظةُ وجعفرُ بنُ قدامة، وخبر جعفر أتم، إلاَّ أَنّي قرأتُه على جحظة، فعرفه وذكر لي أنه سَمِعَه، قالا جميعاً: حدَّثنا أحمد بن الطّيب السرخسيّ قال: كان عليّ بن أحمد بن بسطام المروزيّ، وهو ابن بنت شبيب بن واج، وَشبيب أحد النّفر الّذين سترهم المنصور خلف قبّته يوم قتلَ أبا مُسلم وقال لهم: إذا صَفَّقْتُ فاخرجوا فاضربوه بِسيُوفكم. ففعل وفعلوا فكان عليّ بن أحمد هذا يتعشَّقُ عُبيدة الطنبورية وَهو شاب وَأنفق عليها مالاً جليلاً، فكتبتُ إليه أسأله عن خبرها ومَن هي؟ وَمن أين خرجَتْ؟ فكتب إليّ: كانت عُبيدةُ بنتَ رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغسّاني، نديم عبد الله بن طاهر ـ وأبو السّمراء أحدُ العِدَّة الذين وَصلهم عبد الله بن طاهر في يوم وَاحد لكلِّ رجل منهم مائةُ ألفِ دينار ـ وَكان الزّبيديّ الطُّنبوريّ أخو نظم العمياء، يختلف إلى أبي السَّمراء، وكان صباح صاحب أبي السَّمراء، فكان الزّبيديّ إذا سار إلى أبي السّمراء فلم يصادفه، أقام عند صباح وَالد عبيدة وباتَ وشَربَ وغَنّى وأَنِسَ. وكان لِعُبيدة صوت حسن وطبع جيِّد، فسمعت غناءَ الزُّبيدي، فوقع في قلبها واشتهته، وسمع الزُّبيديُّ صوتها، وعرفَ طبعها فعَلَّمها، وواظبَ عليها، ومات أبوها، ورقَّتْ حَالُها، وقد حَذِقَت الغِناء على الطُّنبور، فخرجت تُغَنّي، وتقنع باليسير، وكانت مليحة مقبولة خفيفة

(١) الكَشْخان: الذي لا يغار على حريمه.

الروح؛ فلم يَزَلْ أمرُها يزيد، حتى تَقدَّمَتْ وكَبُرَ حَظُّها، واشتهاها النّاس. وحَلَّتْ تِكَّتهَا وسَمَحَتْ، ورغبَ فيها الفتيانُ، فكان أولَ مَن تَعَشقها علي بن الفرج الرُّخَجِيّ أخو عمر، وكان حسنَ الوجه كثيرَ المال، فكنت أراها عنده، وكُنَّا نتعاشرُ على الفروسيّة، ثم ولدت من عليّ بن الفرج بنتاً، فحَجَبها لأجل ذلك، فكانت تحتال في الأوقات بِعِلَّةِ الحَمَّام وغيره، فتلمُّ بمن كانت تودُّه ويودُّها، فكنت مِمّن تُلِمُّ به، وأنا حينئذ شابّ ورثتُ عن أبي مالاً عظيماً وضِياعاً جليلة، ثم ماتت بنتُها من عليّ بن الفرج، وصادفَ ذلك نكبتَهم واختلالَ حال عليّ بن الفرج، فطلّقها فخرجت، فكانت تخرج بدينارين للنهار وديناريـن لِلّيل، واعترَّتْ[1] بأبي السمراء، ونزلت في بعض دوره. وتزوّجَتْ أُمّها بوكيل له، فتعشَّقَتْ غلاماً من آل حمزة بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببَغداد، وكان يغنّي بِالمِعْزفة غناءً مليحاً، وكان حسنَ الوجه، لا عيبَ في جَماله إلا أنه كان متغيّرَ النَّكْهَة[2]، وكانت شديدة الغُلْمَة لا تحرِمُ أحداً ولا تكرهه، من حدِّ الكهول إلى الطفل، حتى تعلّقت شابّاً يعرفُ بأبي كرب بن أبي الخطاب، مُشَرَّط[3] الوجه أفطس قبيحاً شديدُ الأدْمة، فقيل لها: أيّ شيء رأيت في أبي كرب؟ فقالتْ: قد تمتّعتُ بكلِّ جِنسٍ من الرجال إلا السّودان، فإن نفسي تبشعهم، وهذا بينَ الأسود والأبيض، وبيته فارغ لما أُريد، وهو صفعاني إذا أردت ووكيلي إذا أردت. قال: وكان لها غُلام يَضْرِب عليها يقال له عليّ ويلقب ظِئْر عُبيدة، فكانت إذا خلت في البيت وشَبَقَتْ اعتمدت عليه، وقالت: هو بمنزلة بَغْلِ الطَّحّان يصلحُ لِلحَمْل والطَّحْن والركوب.

وكان عمروُ بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنّيهم مع جواريه، وإنما عرفها من داري، لأنه بعث يدعوني، فدخل غلامُه فرآها عندي، فوصفها له فكتب إليّ يسألني أن أجيئَه بها مَعي. ففعلتُ، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث بن جمعة والحسن بن سليمان البرقي وهارون بن أحمد بن هشام، فعدلوا كلُّهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه، ومال إليها جواريه، وما خرجت إلا وقد عقدت بين الجماعة مودة، وكان جواري عمرو بن بانة يشتقْنَ إليها، فيسألنه أن يدعوها، فيقول لهنّ: ابعثنَ إلى عليّ حتى يبعثَ بها إليكنّ، فإنه

---

(١) اعْتَرَّتْ بفلان: اعترضت لمعروفه.

(٢) النكهة: رائحة الفم.

(٣) مُشَرَّط الوجه: في وجهه شقوق.

يميل إليها، وهو صديقي وأخشَى أن يظن أني قد أفسدتها عليه ـ ولم يكنْ به هذا إنما كان به الدِّيناران اللَّذان يريد أن يحدرَها[1] بهما ـ وكان عمرو من أبخل الناس، وكان صوتُ إسحاق بن إبراهيم عليها:

يـا ذا الّـذي بِـعَـذابـي ظَـلَّ مُـفْـتَـخِـراً

وكان صوتُ عَلّويه ومُخارق عليها:

قَـــرِيـــبٌ غَـــيْـــرُ مُـــقْـــتَـــرِبِ

وهذان الصوتان جميعاً من صنعتها.

[رثاء إسحاق لها]

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها، ويمنع نفسه ذلك لِتيهه ولِبَرْمكته وَتَوقِّيه أن يبلغَ المعتصم عنه شيء يعيبه، وماتت عُبيدة من نَزْف أصابها، فأفرط حتى أتلفها.

وفي عبيدة يقول بعضُ الشعراء، ومن الناس مَنْ ينسبه إلى إسحاق: [البسيط]

أَمْسَتْ عُبَيْدَةُ في الإِحسانِ وَاحِدَةً ... فَاللَّهُ جَارٌ لَهَا مِنْ كُلِّ مَحْذُورِ
مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً حِينَ تُبْصِرُها ... وأَحْذَقِ النَّاسِ إنْ غَنَّتْ بِطُنْبُورِ

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي قال: سمعت إسحاق يقول: الطُّنبور إذا تجاوز عُبيدَةَ هَذَيان.

صوت

[السريع]

سَقِمْتُ حَتَّى مَلَّنِي العَائِدُ ... وذُبْتُ حَتَّى شَمِتَ الحَاسِدُ
وكُنْتُ خِلْواً مِنْ رَسِيسِ الهَوَى ... حَتَّى رَمَانِي طَرْفُكَ الصَّائِدُ[2]

الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد الكاتب ووجدتُهُ في شعر محمد بن أُميَّة له، والغناء لأحمد بن صدَقة الطنبوريّ، رمل مطلق. وقد مضت أخبارُ خالد الكاتب ومحمد بن أمية ونذكر ها هنا أخبارَ أحمدَ بنِ صدقة.

---

(١) حدره: أعطاه.
(٢) رسيس الشيء: بقيّته وأثره.

أخبار أحمد بن صدقة

[اسمه ونسبه ونشأته]

هو أحمدُ بن صدَقة بن أبي صدقة، وكان أبوه حجازياً مغنياً، قَدِمَ على الرشيد وغَنَّى له، وقد ذَكرْتُ أخبارَه في صدر هذا الكتاب.

وكان أحمدُ بنُ صدقة طُنبوريّاً محسناً مُقَدَّماً حَاذِقاً حَسَنَ الغناء مُحكم الصَّنعة، وَله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطُّنبوريّين. وكان ينزل الشَّام، فوُصف للمتوكّل فأمر بإحضاره، فقدِمَ عليه وغناه فاستحسن غناءه وأجزل صلته واشتهاه الناسُ وكَثُر منْ يدعوه، فكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافاً.

أخبرني بذلك جحظةُ وقال: كانت له صنعة ظريفة كَثِيرة ذكر منها الصّوتَ المتقدِّم ذكرهُ ووصفَه وقرَّظه، وذكر بعد هذا الصوت: [السريع]

وشَادِنٍ يَنْطِقُ بِالظَّرْفِ حُسْنُ حَبِيبي مُنْتَهَى الوَصْفِ
هَامَ فُؤَادي وجَرَتْ عَبْرَتِي لا بَعُدَ الإلْفُ مِنَ الإلْفِ

قال: وهو رَمَل مطلق، ولو حلفْتُ أنهما ليسا عند أحد من مغنّي زماننا إلاّ عند واحد ما حَنِثتُ، يعني نفسه.

[قصته مع خالد بن يزيد]

حَدّثني محمدُ بنُ مزْيد قال: حدّثنا حماد بن إسحاق قال: حدّثني أحمد بن صدَقة قال: اجتزتُ بخالد بن يزيدَ الكاتب، فقلت له: أنشدْني بيتين من شعركَ حتى أغنّي فيهما. قال: وَأيُّ حَظٍّ لي في ذلك؟ تأخذُ أنت الجائزةَ وأُحصِّل أنا الإثم! فحلفتُ له أني إن أفدتُ بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظّاً، أو أذكرتُ به الخليفة، وسألته فيك، أما الحظّ من جهتك فأنت أنزل من ذلك، ولكن عسى أن تفلحَ في

مسألة الخليفة، ثم أنشدني: [المتقارب]

تـقـولُ سَـلاً فَـمَـنِ الـمُـدْنَـفُ ... ومَـنْ عَـيْـنُـهُ أبَـداً تَـذْرِفُ؟
وَمَـنْ قَـلْـبُـهُ قَـلِـقٌ خَـافِـقٌ ... عَـلَـيْـكَ وأحْـشَـاؤُهُ تَـرْجُـفُ؟

فلمَّا جلس المأمون للشرب دعاني، وقد كان غضب على حَظِيَّة له، فحضرتُ مع المغنّين، فلما طابت نفسه وَجّهت إليه بتفاحة من عنبر، عليها مكتوب بالذهب: يا سيدي، سلوتَ. وعلم الله أني ما عرفتُ شيئاً من الخبر.

وانتهى الدَّور إليَّ، فغَنَّيْتُ البيتين، فاحمرَّ وَجه المأمون، وانقلبت عيناه وقال لي: يابن الفاعلة، ألكَ عَلَيَّ وَعَلى حرمي صاحب خبر! فوثبتُ، وقلت: يا سيّدي ما السبب؟. فقال لي: من أين عرفتَ قصتي مع جاريتي، فغنّيْتَ في معنى ما بيننا؟ فحلفتُ له أنّي لا أعرف شيئاً من ذلك، وحدّثته حديثي مع خالد، فلمّا انتهيتُ إلى قوله، «أنتَ أنزلُ من ذلك» ضحك، وقال: صدق، وَإن هذا الاتّفاق ظريف، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها.

[غناؤه بين يدي المأمون]

أخبرني محمد قال: حدَّثنا حماد قال: حدَّثني أحمدُ بنُ صدقة قال: دخلت على المأمون في يوم السَّعانين[1]، وبين يديه عشرون وَصيفة، جَلباً روميّات مَزَنَّرَات، قد تَزيّنَّ بالدّيباج الرومي، وعَلَّقْنَ في أعناقهنّ صُلْبانَ الذهب، وفي أيديهنّ الخُوص[2] والزيتون، فقال لي المأمون: ويلكَ يا أحمد! قد قلتُ في هؤلاء أبياتاً فغنّني فيها.

ثم أنشدني قوله: [الهزج]

ظِـبَـاءٌ كـالـدَّنـانِـيـرِ ... مِـلاَحٌ فـي الـمَـقَـاصِـيـرِ
جِـلاَهُـنَّ الـسَّـعَـانِـيـنُ ... عَـلَـيْـنَـا فـي الـزَّنَـانِـيـرِ
وقـد زَرَّفْـنَ أصْـدَاغـاً ... كَـأذْنَـابِ الـزَّرَازِيـرِ
وأقْـبَـلْـنَ بِـأوْسَـاطٍ ... كَـأوْسَـاطِ الـزَّنَـابِـيـرِ

فحفظتها وغَنَّيته فيها، فلم يزلْ يشرب، وترقُصُ الوَصائفُ بين يديه أنواع

---

(١) السّعانين أو الشّعانين: عيد النصارى، وهو الأحد الذي يسبق أحد الفصح مباشرة.
(٢) الخوص: ورق النخل.

الرقص من الدّستبند، إلى الإبلا[1] حتى سكر، فأمر لي بألفِ دينار، وَأمر بأن يُنْثَر على الجواري ثلاثة آلاف دينار، فقبضتُ الألف، ونُثرت الثلاثة الآلاف عليهنّ، فانتهبتُها مَعهنَّ.

حدّثني جحظة قال: حدّثني جعفر بن المأمون قال: اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون، ومعنا المسدود، وأحمد بن صدقة، وكان أحمد قد حلَق في ذلك اليوم رأسَه، فاستعجلوا بِسُلافة كانت لهم، فأخذ المسدود سُكُرُّجة[2] خردَل، فصبّها على رأس أحمد بن صدقة وقال: كُلُوا هذه حتى تجيءَ تلك. فحلف أحمد بالطلاق ألاَّ يقيمَ، فانصرف. ولمّا كان من غدٍ جمعهما الفضل بن العباس، فتقدم المسدودُ، ودخل أحمد وطنبور المسدود موضوع، فجسَّه ثم قال: من كان يسبح في هذا الماء؟ فما انتفعنا بالمسدود سَائر يومه، على أن الفضل قد خلع عليهما، وحَملهما. ولم يزلْ أحمد مقيماً، حتى بلغه موت بُنيَّة له بالشأم، فشخص نحو منزله، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه.

قال جحظة: وقال بعض الشعراء يهجو أحمدَ بنَ صدقة وكانت له صديقة فقطعتْه فعيَّره بذلك ونسبها إلى أنها هربت منه لأنه أبخر:

هَـــرَبَـــتْ صَـــدِيـــقَـــةُ أَحْـــمَـــدِ ... هَـــرَبَـــتْ مِـــنَ الـــرِّيـــقِ الـــرَّدِي
هَـــرَبَـــتْ فَـــإِنْ عَـــادَتْ إلـــى ... طُـــنْـــبُـــورِهِ فَـــاقْـــطَـــعْ يَـــدِي

صوت

[الطويل]

أَلَـمْ تَـعْـلَـمُـوا أَنِّـي تُـخَـافُ عَـرَامَـتِـي ... وأنَّ قَـنَـاتِـي لا تَـلِـينُ عـلـى الـقَـسْـرِ[3]
وإنِّـي وإيَّـاكُـمْ كَـمَـنْ نَـبَّـهَ الـقَـطَـا ... ولـو لَـمْ تُـنَـبَّـهْ باتَـتِ الـطَّـيْـرُ لا تَـسْـرِي
أَنَـاةً وحِـلْـمـاً وانْـتِـظَـاراً بِـكُـمْ غَـداً ... فـمـا أنـا بـالـوَانِـي ولا الـضَّـرَعِ الـغَـمْـرِ[4]
أَظُـنُّ صُـرُوفَ الـدَّهْـرِ والـجَـهْـلَ مِـنْـكُـمُ ... سَـتَـحْـمِـلُـكُـمْ مِـنِّـي على مَـرْكَـبٍ وَعْـرِ

الشعر للحارث بن وعْلة الجَرمي، وَالغناء لابن جامع ثقيل بالبِنصر عن عمرو، وفيه لسِياط لحن ذكره إبراهيم ولم يجنّسْه، وقيل إن الشعر لوعلَة نَفسِه.

---

(١) الدستبند: ضرب من الرقص تتشابك فيه الأيدي. والإبلا: ضرب من الرقص يشبه الرقص العربي.
(٢) السُّكُرّجة: طبق للطعام.
(٣) العَرَامة: الشراسة والشدّة.
(٤) الواني: الضعيف. والضَّرَع: الجبان. والغمر: القليل الخبرَة.

أخبار الحارث بن وعلة

[اسمه ونسبه]

الحارث بن وعْلة بن عبد الله بن الحارث بن بُلع بن سبيلة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حَرْم بن زبان ـ وهو عِلاَفٌ، وإليه تُنْسَبُ الرِّحَالُ العِلافِيَّة، وهو أول من اتَّخَذها ـ بن حُلْوَان بن عمران بن الحَافِ بن قُضاعة. وقد ذكرت متقدّماً الاختلاف في قضاعة، ومن نسبَه معَدِّياً، ومَن نَسَبَه حِميريّاً.

والرِّحال العِلافِيَّة مَشْهُورَة عند الناس، قد ذكرتْها الشعراءُ في أشعارها، قال ذو الرُّمة: [الطويل]

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ العَرُوسِ ادَّرَعْتُهُ ... بأربعةٍ والشَّخْصُ في العَيْنِ وَاحِدُ
أَحَمُّ عِلاَفِيٌّ وأَبْيَضُ صَارِمٌ ... وأَعْيَسُ مَهْرِيٌّ وأَرْوَعُ مَاجِدُ[١]

وكان وَعلةُ الجرميّ وابنُه الحارث من فُرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها، وشهد وعلةُ الكُلاب الثاني، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المِنقريّ، وطلبه ففاته ركْضاً وعدواً، وخبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاء الله تعالى.

فأخبرني عَمِّي قال: حَدَّثني الكُرانيّ، قال: حدّثنا العمريّ عن العُتبيّ قال: كتب عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث إلى الحجَّاج مبتدئاً: أما بعد فإن مَثَلي وَمَثَلُك كما قال القائل: [البسيط]

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهَا ... حَرْباً تُفَرِّقُ بين الجِيرَةِ الخُلُطِ؟
أَمْ هَلْ دَلَفْتُ بِجَرَّارٍ له لَجَبٌ ... يَغْشَى الأماعِيزَ بين السَّهْلِ والفُرُطِ؟[٢]

(١) الأحمّ: الأسود. والصارم: القاطع: والأعيس من الإبل: ما خالط بياضه شقرة.
(٢) الفُرُط: الجبال الصغيرة.

ـ والشعر لوَعْلَةَ الجَرمِيّ ـ هذا مَثَلي وَمَثَلُك، فسأحملك على أصعبِه، وأُريحك من مركبه.

فكتب الحجَّاج بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه جوابه: أما بعد؛ فإني قد أجبت عدوَّ الرحمٰن بلا حولَ ولا قوة إلا بالله، ولعمرُ الله لقد صدق، وخلع سلطانَ اللّهِ بيمينه، وطاعتَه بشماله، وخرج من الدِّين عُرياناً، كما ولدتْه أمُّه.

ثم لم يصبرْ عبد الملك على أن يَدَع جوابَه بشعرٍ فقال: وعلى أن مَثَلي ومَثَله ما قال الآخر: [الطويل]

أَنَـاةً وحِـلْـمـاً وانْـتِـظـاراً بِـكُـمْ غَـداً ... فـمـا أنـا بِـالـوَانِـي ولا الـضَّـرَعِ الـغَـمْـرِ
أَظُـنُّ صُـروفَ الـدَّهْـرِ والـجَـهْـلَ مِـنْـهُـمُ ... سَـتَـحْـمِـلُـهُـمْ مِـنِّـي عـلـى مَـرْكَـبٍ وَعْـرِ

فليت شعري أَسَما عَدوُّ الرحمٰن لدعائم دين الله يهدِّمُها؟ أم رام الخلافَة أن ينالها؟ وأوشك أن يُوهن الله شوكتَه، فاستعنْ بالله، واعلم أن الله مع الذين اتَّقوْا والذين هم مُحسنون.

قال مؤلف هذا الكتاب: الشعر الذي تمثّل به عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث لوعلَة النجرمي، والشعر الذي تمثّل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة.

[بعض أخباره المتفرّقة]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال: حدّثني طلحة بن عبد الله الطَّلحيّ، عن أحمد بن إبراهيم، عن أبي عبيدة قال: قتلَتْ نَهدٌ أخا وعلة الجرميّ، فاستعان بقومه فلم يعينوه، فاستعان بِحُلفاء من بني نمير، وكانوا له حلفاء وإخواناً، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك: [البسيط]

سـائـل مُـجَـاوِرَ جَـرْمٍ هـل جَـنَـيْـتُ لـهـا ... حَـرْبـاً تُـزَيِّـلُ بـيـن الـجِـيـرَةِ الْـخُـلُـطِ
أَمْ هَـلْ عَـلَـوْتُ بِـجَـرَّارٍ لـه لَـجَـبٌ ... يَغْشَى المَخَارِمَ بين السَّهْلِ والفُرُطِ[1]
حَـتَّـى تَـرَكْـتُ نِـسَـاءَ الـحَـيِّ ضَـاحِـيـةً ... فـي سَـاحَـةِ الـدَّارِ يَـسْـتَـوْقِـدْنَ بِـالـغُـبُـطِ

أخبرني هاشم بن محمد الْخُزاعيّ، قال: حدّثنا الرياشيّ قال: خرج رجل من بني تميم ـ يقال إنه قيسُ بن عاصم، قال الرّياشيّ: وَحَقَّقَ أبو عبيدة أنه قيس ـ يوم

(١) الفُرُط: الجبال الصغيرة.

الكُلاب يلتمس أن يصيب رجلاً من ملوك اليمن له فداء، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وَعلَة الجَرمِيّ، وعليه مقطعات له، فقال له: على يمينك، قال: على يساري أقصَدُ لي[1]، قال: هيهاتَ منك اليمن، قال: العراقُ مني أبعد، قال: إنك لن ترى أهلَك العامَ، قال: ولا أهلك تراهم، وجعل وعلةُ يركُض فرسه، فإذا ظنَّ أنها قد أعيت وَثَب عنها، فعدا معها وصاح بها، فتجري وهو يُجاريها، فإذا أعْيا وثب فركِبَهَا، حتى نجا. فسأل عنه قيس، فعرف أنه وَعْلَةُ الجرمي، فانصرف وتركه، فقال وعلة في ذلك: [الطويل]

فِدًى لكُمَا رَحْلَيَّ أُمّي وخَالَتي ... غَدَاة الكُلابِ إذ تُحَزُّ الدَّوابِرُ[2]

نَجَوتُ نجاءً لم يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... كَأنِّي عُقَابٌ عِندَ تَيْمَنَ كاسِرُ[3]

ولَمَّا رَأيتُ الخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِساً ... تَنَازَعَنِي مِنْ ثُغْرَةِ النَّحْرِ جَائِرُ

فإنْ أسْتَطِعْ لا تَلْتَبَسْ بي مُقَاعِسٌ ... ولا يَرَنِي مِيدنهم والمحاضر

ولا تَكُ لي جَرَّارَةٌ مُضَرِيَّةٌ ... إذا مَا غَدَتْ قوتَ العِيالِ تُبَادِرُ

أما قوله: «تحز الدوابر» فإن أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه: لا تشتغلوا بأسْرهم فيفوتكم أكثرهم، ولكن اتّبعوا المنهزمين فجزّوا أعصابهم من أعقابهم ودعُوهم في مواضعهم، فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم، فأخذتموهم، ففعلوا ذلك. وأهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم اليزيدون، وهم يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن هَوْبَر، ويزيد بن المأمورِ ويزيد بن مخزَّم. هؤلاء الأربعة اليزيدون، والخامس عبد يغوث بن وقَّاص، فقتِل اليزيدونَ أربعتهم في الوقعة، وأسِر عبد يغوث بن وقاص، فقتلته الرِّباب برجل منها، وقد ذُكر خَبَرُ مقتله متقدماً في صوت يغنى فيه وهو:

أَلاَ لا تَلُومَاني كَفَى اللَّومَ مَا بِيَا

وأما قوله:

وَلَمَّا رَأيتُ الخَيْلَ تَدْعو مُقَاعِساً

---

(١) أقصدُ لي: أصوبُ.

(٢) تُحَزّ: تُشَقّ. والدوابر: جمع الدابر: مؤخّر كل شيء.

(٣) تَيْمَن: أرض بين بلاد بني تميم ونجران (معجم البلدان ٢/٦٨).

فإن بني تميم لما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمعة: يا آل كعب! فتنادى أهل اليمن: يا آل كعب! فتنادوا: يا آل الحارث! فتنادى أهل اليمن: يا آل الحارث! فتنادوا: يا آل مقاعس! وتميّزوا بها من أهل اليمن.

صوت

[البسيط]

والـلَّـهِ لا نَـظَـرَتْ عَـيْـنِـي إلـيـكَ ولَـوْ سَـالَـتَ مَـسَـارِبُـها شَـوْقـاً إلـيـكَ دَمَـا
إنْ كُنْتُ خُنْتُ ولم أُضْمِرْ خِيَانَتَكُمْ فـالـلَّـهُ يـأخـذُ مِـمَّـنْ خَـانَ أو ظَـلَـمَـا
سَـمَـاجـة لِـمُـحِـبٍّ خَـانَ صَـاحِـبَـهُ مـا خَـانَ قَـطُّ مُـحِـبٌّ يَـعْـرِفُ الـكَـرَمَـا

الشعر لعليّ بن عبد الله الجعفريّ، والغناء للقاسم بن زُرزور، ولحنه ثقيل أول مطْلق ابتداؤه نشيد، وكان إبراهيم بن أبي العُبَيْس يذكر أنه لأبيه.

أخبار عليّ بن عبد الله بن جعفر ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو عليُّ بنُ عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وأمه وَلاّدة بنت الحَجَل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أُميّة. شاعر ظريف حجازيّ، كان عمر بن الفرج الرُّخّجيّ حمله من الحجاز إلى سُرَّ من رأى مع مَنْ حمل من الطالبيّين فحبسه المتوكل معهم.

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقي قال: حدّثنا عمر بن عثمان الزُّهري المعروف بابن أبي قُباجَة قال: رفع عمر بن الفرج عليّ بن عبد الله بن جعفر الجعفريّ إلى المتوكل أيام حَجّ المنتصر، فحبسه المتوكل لأنه كان شيخَ القوم وكبيرَهم، وكان أغلظ لعُمَر بن الفرج.

قال عليّ بن عبد الله: مكثتُ في الحبس مدّةً، فدخل عليَّ رجل من الكتّاب يوماً فقال: أريد هذا الجعفري الذي تَدَيَّث في شِعره. فقلت له: إليّ فأنا هو، فعدل إليّ وقال: جعلت فداك! أُحبّ أن تنشدني بيتيك اللذين تديَّثت فيهما، فأنشدته: [الطويل]

ولَـمَّـا بَـدَا لـي أنَّـهَـا لا تَـوَدُّنِـي ... وأنَّ هَـوَاهَـا لـيسَ عَـنِّـي بِـمُـنْـجَـلِ
تَـمَـنَّـيْـتُ أنْ تَـهْـوى سِـوَايَ لَـعَـلَّـهـا ... تَـذُوقُ حَـرَارَاتِ الـهَـوَى فَـتَـرِقَّ لِـي

قال: فكتبهما، ثم قال لي: اسمع ـ جعلتُ فداك ـ بيتين قلتهما في الغيْرة، فقلت: هاتِهما فأنشدني:

رُبَّـمَـا سَـرَّنِـي صُـدُودُك عَـنِّـي ... فـي طِـلاَبِـيـكِ وامْـتِـنَـاعِـكِ مِـنِّـي
حَـذَراً أنْ أكُـونَ مِـفْـتَـاحَ غَـيْـرِي ... فـإذَا مـا خَـلَـوتُ كُـنْـتِ الـتَّـمَـنِّـي

[كبرياؤه وأنفته]

حدّثني اليزيديُّ قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني

العباس بن عيسى العُقيليّ أن عليّ بن عبد الله الجعفري أنشده: [المجتث]

والــلَّـــهِ والــلَّـــهُ رَبِّـــي وتِــلْــكَ أَقْــصَــى يَــمِــيــنِــي
لــو شِــئْــتُ ألاَّ أُصَــلِّــي لَــمَــا وَضَــعْــتُ جَــبِــيــنِــي

حدّثنا اليزيديّ قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العباسُ بن عيسى قال: حدّثني عليّ بن عبد الله الجعفريّ قال: مرّتْ بي امرأة في الطَّواف، وأنا جالس أُنشدُ صديقاً لي هذا البيت: [البسيط]

أَهْوَى هَوَى الدّينِ واللَّذَاتُ تُعْجِبُني فكَيفَ لي بِهَوى اللَّذَّاتِ والدِّينِ؟

فالتفتت المرأةُ إليَّ وقالت: دَعْ أيَّهما شئت وخذ الآخرَ.

حَدّثنا اليزيديّ قال: حدّثنا محمد بن الحسن الزُّرقي قال: حدّثنا عبد الله بن شبيب قال: أنشدني عليُّ بن عبد الله بن جعفر الجعفريُّ لنفسه: [البسيط]

واللَّـهِ لا نَـظَـرَتْ عَـيْـنِـي إِلَـيْـكَ ولـو سَـالَـتْ مَـسَـارِبُـها شَـوْقـاً إليـكَ دَمَا
إلاّ مُـفَـاجَـأةً عِـنْـدَ الـلِّـقَـاءِ ولا نَـازعَـتْـكِ الـدَّهْـرَ إلاَّ نَـاسِـيـاً كَـلِـمَـا
إنْ كُنْتُ خُنْتُ ولم أُضمِرْ خِيَانَتَكُمْ فـالله يَـأْخُـذُ مِـمَّـنْ خَـانَ أو ظَـلَـمـا
سَـمَـاجَـةٌ لِـمُـحِـبٍّ خَـانَ صَـاحِـبَـهُ مـا خَـانَ قَـطُّ مُحِبٌّ يَعْـرِفُ الـكَـرَما

قال عبد الله بن شبيب: وأنشدني عليُّ بن عبد الله لنفسه[١]:

صوت

[الكامل]

وَقَفَ الهَوَى بي حَيْثُ أنْتِ فليسَ لِي مُـتَـأَخَّـرٌ عَـنْـه ولا مُـتَـقَـدَّمُ
أَجِـدُ الـمـلامـةَ فـي هَـوَاكِ لَـذِيـذَةً حُـبّـاً لِـذِكْـرِكِ فَـلْـيَـلُـمْـنِـي الـلُّـوَّمُ
وَأَهَـنْـتِـنِـي فَـأَهَـنْـتُ نَـفْـسِـي جَـاهِـداً مـا مَـنْ يَـهـونُ عَـلَـيْـكِ مِـمَّـن يُـكْـرَمُ
أَشْـبَـهْـتِ أَعْـدَائِـي فَـصِـرْتُ أُحِـبُّـهُـمْ إذ صَـارَ حَـظِّـي مِـنْـكِ حَـظِّـي مِـنْـهُـمُ

صوت

[الطويل]

أَتَـعْـرِفُ رَسْـمَ الـدَّارِ مِـنْ أُمِّ مَـعْـبَـدِ نَـعَـمْ فَرَمـاكَ الـشَّـوْقُ قَـبْـلَ الـتَّـجَـلُّـدِ[٢]

(١) تروى هذه الأبيات لأبي الشيص.
(٢) التجلُّد: التصبُّر.

فيَا لَكَ مِنْ شَوْقٍ ويا لَكِ عَبْرَةً　　سَوَابِقُها مِثْلُ الجُمَانِ المُبَدَّدِ[1]

الشعر لعتيبة بن مرداس المعروف بابن فَسْوة، والغِناء لجميلة، خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكي.

وذكر الهشاميّ أن فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول، وأنه يظنّه من منحول يحيى إليه.

(١) المبدَّد: المتناثر.

أخبار عتيبة ونسبه

[اسمه ونسبه ولقبه]

عُتَيبة بن مِرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم، لم يقعْ إليّ من نسبه غيرُ هذا، وَهو شاعر مُقِلٌ غيرُ معدود في الفحول، مُخضرَم ممّن أدرك الجاهلية وَالإسلام هَجّاء خبيث اللّسان بَذِيٌّ.

وَابنُ فسْوة لَقَبٌ لَزِمَه في نفسه، وَلم يكن أبوه يُلقّب بفسوة، إنّما لُقّبَ هو بهذا، وَقد اخْتُلِفَ في سبب تلقيبه بذلك، فذكر إسحاق الموصليّ عن أبي عمرو الشَّيباني: نسختُ ذلك من كتاب إسحاق بخطه، أن عتيبةَ بنَ مِرداس كان فاحشاً كثيرَ الشرّ قد أدركَ الجاهليّةَ، فأقبل ابن عَمٍّ له من الحَجّ، وَكان من أهل بيت منهم يقال لهم بنو فَسْوة، فقال له عتيبة: كيف كنْتَ يابن فَسوة؟ فوثب مغضباً، فركب راحلته وَقال: بئس لعمر الله ما حَيَّيْتَ به ابن عمِّك، قدم عليك من سفر، وَنزل دارَكَ! فقام إليه عُتَيبةُ مُسْتَحيياً، وَقال له: لا مازحتُكَ تغضب يابن عمّ، فإنّما مازحتُكَ! فأبى أن ينزل، فقال له: انزِل وَأنا أشتري منك هذا الاسمَ فَأتسمَّى به، وظن أن ذلك لا يضرّه، قال: لا أفعل أو تشتريه مني بمحضرٍ من العشيرة. قال: نعم. فجمعهم وَأعطاه بُرداً وجملاً وكبشين، وقال لهم عتيبةُ: اشهدوا أنّي قد قبلت هذا النَّبزَ[1] وأخذتُ الثمنَ، وَأنّي ابنُ فسوة، فزالت عن ابن عمه يومئذ، وَغَلبتْ عليه وَهُجِيَ بذلك، فقال فيه بعض الشعراء:

أَوْدَى ابْــنُ فَــسْــوةَ إلاّ نَــعْــتَــه الإبــلا

وَعُمِّرَ عُمراً طويلاً، وَإنّما قال:

أودى ابــنُ فَــسْــوةَ إلاّ نَــعْــتَــه الإبــلا

(١) النّبز: التلقيب بالسّوء.

لأنه كان أوَصفَ الناس لها، وَأغراهم بوَصفها، ليس له كبير شعر إلا وَهو مُضَمَّن وَصفها.

وَأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: إنَّما سُمِّيَ عتيبةُ بنُ مرداس ابن فسوة، لأنه كان له جارٌ من عبد القيس، فكان يتحدّثُ إلى ابنته، وَكَان لها حظٌّ من جمال، وَكانت تُعجبُه وَيَهِيمُ بها، فكان أحداثُ بني تميم، إذا ذكروا العبديّ، قالوا: قال ابن فسوة، وَفعل ابن فسوة، فأكثروا عليه من ذلك حتى ملَّ فعمِلَ على التّحوُّلِ عنهم، وَبلغ ذلك عتيبةَ، فأتاهُ فطلب إليه أن يقيم، وَأن يحتمل اسمه، وَيشتريه منه ببعير، فلم يفعل، قال العبديّ: فتحولتُ عنهم وَشاع في الناس أنه قد ابتاع مني وغلب عليْهِ، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له: [الطويل]

أَلاَ رُبَّ مَـوْلًـى نـاقِـصٍ غَـيْـرِ زَائِـدِ وَحَـوَّلَ مَـوْلاَنـا عَـلَـيْـنَـا اسْـمَ أُمِّـهِ

[ابن عباس يصرفه ويمنعه من هجاء الناس]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث قال: حدّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَلي وَابن دأب وابن جُعْدَبة، قالوا: أتى عتيبَةُ بن مرداس ـ وَهو ابن فسوة ـ عبد الله بن العباس عليهما السلامُ وهو عامل لعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة، وتحته يومئذٍ شُمَيلة بنت جُنادة ابن بنت أبي أزهر الزهرانية، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السُّلَميّ، فاستأذن عليه، فأذن له، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدَحهم، فيعطونه ويخافون لسانه، فلما دخل على ابن عباس قال له: ما جاء بكَ إليَّ يابنَ فسوة؟ فقال له: وهل عنك مَقصَرٌ أو وراءَك مَعْدًى[1]؟ جئتكَ لِتعينَني على مروءتي، وتَصِلَ قرابتي، فقال له ابن عباس: وما مروءة مَنْ يعصِي الرحمٰنَ ويقول البُهتانَ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصلَ؟ والله لَئِنْ أعطيتكَ لأُعِينَنَّكَ على الكفر والعصيان، انطلقْ فأنا أُقسِمُ بالله لئن بلغني أنك هجوتَ أحداً من العرب لأقطعنَّ لسانك. فأراد الكلام، فمنعه مَنْ حضر، وحبسه يومَه ذلك، ثم أخرجه عن البصرة.

---

(١) المعدى: التجاوز إلى الغير.

فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليّ عليه السلام، فَلَقِيَ الحسن بن عليّ عليهما السلام، وعبد الله بن جعفر عليه السلام، فسألاه عن خَبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما، فاشتريا عِرْضَهُ بما أرضاه، فقال عتيبة يمدح الحسن وابن جعفر عليه السلام ويلوم ابنَ عباس رَضِيَ الله عنهما: [الطويل]

أَتَيْتُ ابنَ عَبَّاسٍ فلم يَقْضِ حَاجَتِي ... ولم يَرْجُ مَعْروفِي ولم يَخْشَ مُنْكَرِي
حُبِسْتُ فلم أُنْطِقْ بِعُذْرٍ لِحَاجَةٍ ... وسَدَّ خَصَاصَ البَيْتِ مِنْ كُلِّ مَنْظَرِ(١)
وجِئْتُ وأَصْوَاتُ الخُصومِ وَرَاءَهُ ... كَصَوْتِ الحَمَامِ في القَلِيبِ المُغَوَّرِ(٢)
ومَا أَنَا إذ زَاحَمْتُ مِصْرَاعَ بَابِهِ ... بِذِي صَوْلَةٍ ضَارٍ، ولا بِحَزَوَّرِ(٣)
فلو كُنْتُ مِن زَهْرَانَ لم يَنْسَ حاجَتِي ... ولَكِنَّنِي مَوْلَى جَمِيلِ بنِ مَعْمَرِ

ـ وكان حليفاً لجَميل بن مَعْمر القُرشيّ ـ

وبَاتَتْ لِعَبْدِ الله مِن دُونِ حَاجَتِي ... شُمَيْلَةُ تَلْهُو بِالحَدِيثِ المُفَتَّرِ
ولم يَقْتَرِبْ مِنْ ضَوْءِ نَارٍ تَحُثُّهَا ... شُمَيْلَةُ إلاَّ أَنْ تَصَلَّى بِمِجْمَرِ
تُطَالِعُ أَهْلَ السّوقِ والبَابُ دُونَهَا ... بِمُسْتَفْلِكِ الذِّفْرَى أَسِيلِ المُدَثَّرِ(٤)
إذا هي هَمَّتْ بالخُروجِ يَرُدُّهَا ... عَنِ البَابِ مصراعا مُنيفٍ مُجَيَّرِ

ـ وجدت بِخطّ إسحاق الموصلي: مُجَيَّر: مُحَيَّر. والمحيّر: المصهرج. والحيار: الصهروج ـ

فليتَ قَلُوصِي عُرِّيَتْ أو رَحَلْتُهَا ... إلى حَسَنٍ في دَارِهِ وابْنِ جَعْفَرِ
إلى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ يَأْمُرُ بِالتُّقَى ... ولِلدِّينِ يَدْعو والكتابِ المُطَهَّرِ
إلى مَعْشَرٍ لا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ ... ولا يلبسونَ السِّبْتَ، ما لم يُخَصَّرِ(٥)
فلمَّا عَرَفْتُ البَأْسَ منه وقد بَدَتْ ... أَيَادِي سَبَا الحاجاتِ لِلْمُتَذَكِّرِ
تَسَنَّمْتُ حُرْجُوجاً كَأَنَّ بُغَامَهَا ... أَجِيجُ ابْنِ مَاءٍ في يَرَاعٍ مُفَجَّرِ

---

(١) خَصاص الباب: ثقبه الذي يُرى منه.
(٢) القليب: البئر. والمغوّر: البعيد الغور.
(٣) الحَزَوَّر: الغلام القوي.
(٤) المستفلِك: المستدير، من استفلك ثديُ الفتاة: استدار فصار كالفلكة. والذّفرى: العظم الناتىء خلف الأذن وهو المقصود هنا بالاستدارة. والأسيل: الناعم. والمدثّر: الغطاء.
(٥) يخصفون: يخرزون. والسِّبْت: الجلد المدبوغ. ويُخَصَّر النعل يُجعل له خَصْر وهو ما استدقّ من قدّام الأذنين منها.

فما زِلْتُ في التَّسْيَارِ حَتَّى أَنَخْتُها إلى ابْنِ رَسُولِ الأُمَّةِ المُتَخَيَّرِ[1]
فلا تَدَعُنِّي إذْ رَحَلْتُ إلَيْكُمُ بَنِي هَاشِمٍ أَنْ تَصْدُرُونِي بِمَصْدرِ

وهي قصيدة طويلة، هذا ذكر في الخبر منها.

وأخبرني بهذا الخبر أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهري وأحمدُ بنُ عبيد الله بن عمَّار، عن عمر بن شَبَّة، عن المدائنيّ مثل ما مضى أو قريباً منه، ولم يتجاوز عمر بن شبة المدائني في إسناده.

[ابن كُرَيز يهينه ويطرده فيهجوه ثم يمدحه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسَن بن الحرون قال: قال ابن الأعرابي: كان عتيبة بن مرداس السُّلَميّ شاعراً خبيثَ اللّسان مَخُوف المَعَرَّة[2] في جاهليته وإسلامه، وَكان يَقدمُ على أُمراء العراق وَأشرافِ الناس، فيصيب منهم بشعره، فقدم على ابن عامر بن كُرَيْز ـ وكان جواداً ـ فلمّا استؤذنَ له عليه أرسل إليه: إنكَ والله ما تسألُ بحسب وَلا دين ولا منزلة، وما أرى لرجل من قريش أَن يعطيكَ شيئاً، وأمر به فَلُكِزَ وأُهينَ فقال ابنُ فَسْوة: [الطويل]

وكَائِنْ تَخَطَّتْ نَاقَتِي وزَمِيلُها إلى ابْنِ كُرَيْزٍ مِنْ نُحُوسٍ وأَسْعُدِ
وأغْبَرَ مَسْحُولِ التُّرَابِ تَرَى لَهُ حَياً طَرَدَتْه الرِّيحُ من كُلِّ مَطْرَدِ[3]
لَعَمْرُكَ إنِّي عِنْدَ بَابِ ابْنِ عَامِرٍ لَكَالظَّبْيِ عِنْدَ الرَّمْيَةِ المُتَرَدِّدِ
فلم أرَ يَوْماً مِثْلَهُ إذ تَكَشَّفَتْ ضَبَابَتُهُ عَنِّي ولَمَّا أُقَيَّدِ

فبلغ قولُه ابنَ عامر، فخاف لسانَه وما يأتي به بعد هَذا ورجع له، وأحسن القومُ رِفْدَه، وقالوا: هذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه واليَسِير يرضيه، فقال: رُدُّوه فَرُدَّ، فقال له: إيه يا عتيبة، ارددْ عَلَيَّ ما قلت، فقال: ما قلت إلا خيراً قال: هاته، فقال: قلت: [الطويل]

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ نَعَمْ فَرَمَاكَ الشَّوْقُ قَبْلَ التَّجَلُّدِ

---

(١) الحرجوج: الناقة السمينة الطويلة. والبُغام: صوت الناقة. والأحيح: الصوت. وابن ماء: طائر يكثر وجوده حول المياه. واليراع: جمع اليراعة: الشجر الكثيف الملتفّ.

(٢) المعرّة: الأذى والمساءة.

(٣) المسحول: الناعم الدقيق.

فيَا لَكَ مِنْ شَوْقٍ ويَا لَكِ عَبْرَةً سَوابِقُها مِثْلُ الجُمَانِ المُبَدَّدِ
وكَائِنْ تَخَطَّتْ نَاقَتِي وزَمِيلُها إلى ابْنِ كُرَيْزٍ مِنْ نُحُوسٍ وأَسْعُدِ
فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ويَعْلَمُ أنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
إذا ما مُلِمَّاتُ الأُمُورِ اعْتَرَيْنَهُ تَجَلَّى الدُّجَى عَنْ كَوْكَبٍ مُتَوَقِّدِ

فتبسَّمَ ابن عامر وقال: لَعَمري ما هكذا قلت، ولكنه قول مستأنف، وأعطاه حتى رَضِيَ وانصرف.

قال: وأنشدنا ابن الأعرابيّ له بِعقب هذا الخبر، وكان يَستحسنُ هذه الأبياتَ ويستجِيدُها: [الطويل]

مُنَعَّمَةٌ لم يُغْذِهَا أَهْلُ بَلْدَةٍ ولا أَهْلُ مِصْرٍ فَهْيَ هَيْفَاءُ نَاهِدُ
فَرِيعَتْ فلم تَخْبَا ولَكِنْ تَأَوَّدَتْ كَمَا انْتَصَّ مَكْحُولُ المَدَامِعِ فَارِدُ[1]
وأَهْوَتْ لِتَنْتَاشَ الرِّوَاقَ فلم تَقُمْ إليهِ ولَكِنْ طَأْطَأَتْهُ الوَلاَئِدُ[2]
قَلِيلَةُ لَحْمِ النَّاظِرَيْنِ يَزِينُها شَبَابٌ ومَخْفُوضٌ مِنَ العَيْشِ بَارِدُ
تَنَاهى إلى لَهْوِ الحَدِيثِ كَأَنَّهَا أَخُو سَقَمٍ قد أَسْلَمَتْهُ العَوَائِدُ
تَرَى القُرْطَ مِنْها في قَنَاةٍ كَأَنَّها بِمَهْلَكَةٍ لولا البُرَا والمَعَاقِدُ[3]

وقال أبو عمرو الشيباني: أغار رجل مِنْ بني تَغلب يقال له الهُذَيل بعقب مقتل عثمان على بني تميم، فأصاب نَعَماً كثيراً، فورد بها ماءً لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال له سَفَارِ[4]، فإذا عليه الأسود وخالد ابنا نُعيم بن قَعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن رباح في إبل لهما قد أورداها، فأراد الهذيل أخذَها، فتفرّقت، فتفرق أصحابُه في طلبها، وهو قائم على رأس رَكِيَّةٍ من سفَار، فرماه أحدهما فقتَلَه فوقع في الرَّكيَّة فكانت قَبره. ويقال: بل رماه عبدٌ أسود لمالك بن عروة المازنيّ، فقال عتيبة بن مرداس الذي يقال له ابنُ فَسْوة في ذلك: [الطويل]

مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيَانَ تَغْلِبَ أَنَّهُ خَلا لِلهُذَيْلِ مِنْ سَفَارِ قَلِيبُ؟[5]

(١) تأوّدت: تَعوّجت وانثنت. وانتصّ: سار. والفارد: المتنحّي المتبعد عن غيره.
(٢) تنتاش: تتناول. والرّواق: مقدّم البيت أو الفسطاط. وطأطأته: حطّته. والولائد: الخَدَم.
(٣) القناة: الرمح المستقيم. والبُرا: جمع برة: الخلخال. والمعاقد: جمع معقد: موضع العقد.
(٤) سَفَار: منهل قبل ذي قار بين البصرة والمدينة (معجم البلدان ٣/ ٢٢٣).
(٥) القليب: البئر.

إذا صَـوَّتَ الأضداءُ صَـوَّتَ وَسْـطَـهـا فَتًـى تَـغْـلِـبِـيٌّ فـي الـقَـلِـيـبِ غَـرِيـبُ
فَـأَغْـدَدْتُ يَـرْبُـوعـاً لِـتَـغْـلِـبَ إنَّـهُـمْ أُنَـاسٌ غَـذَتْـهُـمْ فِـتْـنَـةٌ وحُـرُوبُ
حَـوَيْـتَ لِـقَـاحَ ابْـنَيْ نُـعَـيْـم بـنِ قَـعْـنَـبٍ وإنَّـكَ إنْ أَحْـرَزْتَـهَـا لَـكَـسُـوبُ

وقال أبو عمرو أيضاً: كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوّج أخت بشر بن كهف أحد بني خُزاعة بن مازن، فكان أثيراً عنده، واستعمله على الحمَى، فسأله ابنُ فسوة أن يُرْعيَه فأبى، ومنعه وطرد إبله، فقال في ذلك: [الطويل]

مَـنْ يَـكُ أَرْعَـاهُ الـحِـمَـى أَخَـوَاتُـهُ فَمَـا لِـيَ مِـنْ أُخْـتٍ عَـوَانٍ ولا بِـكْـرِ[1]
ومـا ضَـرَّهـا أَنْ لـم تَـكُـنْ رَعَـتِ الحِمَى ولـم تَـطْـلُـبِ الـخَـيْـرَ الـمـمَـنَّـعَ مِـنْ بِـشْـرِ
مَـتَـى يَـجِـيءْ يَـوْمـاً إلـى الـمَـالِ وَارِثـي يَـجِـدْ قَـبْـضَ كَـفٍّ غَـيْـرَ مَـلأَى ولا صِـفْـرِ
يَـجِـدْ مُـهْـرَةً مِـثْـلَ الـقَـنَـاةِ طِـمِـرَّةً وعَـضْـبٌ إذا مَـا هُـزَّ لـم يَـرْضَ بـالـهَـبْـرِ[2]
فـإنْ تَـمْـنَـعُـوا مـنـهـا حِـمَـاكُـمْ فَـإنَّـهُ مُـبَـاحٌ لـهـا مـا بَـيْـنَ إنـبـطَ فـالـكَـدْرِ[3]
إذا مـا امْـرُؤٌ أَثْـنَـى بِـفَـضْـلِ ابْـنِ عَـمِّـهِ فَـلَـعْـنَـةُ رَبِّ الـعَـالَـمِـيـنَ عَـلَـى بِـشْـرِ

[هجاؤه بني سعد ومدحه لقومه]

وقال أبو عمرو الشّيبانيّ، ونسخته أيضاً من خط إسحاقَ الموصلي، وجمعت الروايتين: إن ابن فسوةَ نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة، وبات بهم ومعه جارية له يُقال لها جوزاء، فسرقوا عَيْبَةً[4] له فيها ثيابُه وثياب جاريته، فرحل عنهم، فلما عاد إلى قومه أعلمهمْ ما فعله به بنو سعد بن مالك. فركب معه فُرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد فأخذُوا منها صِرْمةً[5]، واستاقوها فدفعوها إليه، فقال يمدح قومه ويهجو بَني سعدٍ بقوله: [الطويل]

جَـزَى الـلَّـهُ قَـومِـي مِـنْ شَـفِـيـعٍ وشَـاهِـدٍ جَـزَاءَ سُـلَـيْـمَـانَ الـنَّـبِـيِّ الـمُـكَـرَّمِ
هُـمُ الـقَـوْمُ لا قَـوْمُ ابْـنِ دَارَةَ سَـالِـمٍ ولا ضَـابِـيءُ إذ أَسْـلِـمَـا شَـرَّ مُـسْـلَـمِ

(١) العَوان من النساء: المتوسِّطة في السنّ.
(٢) الطِّمِرّة: الفرس الجواد الشديد العدو. والعضب: القاطع. والهبر: القطع.
(٣) إنبط: موضع في ديار كلب (معجم البلدان ١/٢٥٨) والكدر: هو ماء لبني سليم (معجم البلدان ٤/ ٤٤١).
(٤) العيبة: حقيبة من جلد يوضع فيها المتاع.
(٥) الصِّرْمة: القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين.

وما عَيْبَةُ الجَوْزَاءِ إذ غَدَرَتْ بِهَا ... سَرَاةُ بَنِي قَيْسٍ بِسِرٍّ مُكَتَّمِ
إذا ما لَقِيتَ الحَيَّ سَعْدَ بنَ مَالِكٍ ... على زَمٍّ فانْزِلْ خَائِفاً أو تَقَدَّمِ(١)
أُنَاسٌ أَجَارُونا فكانَ جِوَارُهُمْ ... شَعَاعاً كَلَحْمِ الجَازِرِ المُتَقَسَّمِ(٢)
لقد دَنِسَتْ أَعْرَاضُ سَعْدِ بن مَالكٍ ... كَمَا دَنِسَتْ رِجْلُ البَغِيِّ مِنَ الدَّم
لهم نِسْوَةٌ طُلْسُ الثِّيَابِ مَوَاجِنٌ ... يُنَادِينَ مَنْ يَبْتَاعُ عُوداً بِدِرْهَمِ(٣)
إذا أَيِّمٌ قَيْسِيَّةٌ مَاتَ بَعْلُهَا ... وكَانَ لها جَارٌ فَلَيْسَتْ بِأَيِّمِ
يُمَشِّي ابْنُ بِشْرٍ بَيْنَهُنَّ مُقَابَلاً ... بِأَيْرٍ كَأَيْرِ الأَرْجَحِيِّ المُخَرَّمِ
إذا رَاحَ مِنْ أَبْيَاتِهِنَّ كَأَنَّمَا ... طَلَيْتَ بِتَنُّومٍ قَفَاهُ وخِمْخِمِ(٤)

وفي رواية إسحاق:

تَسُوقُ الجَوَارِي مَنْخَرَاهُ كَأَنَّمَا ... دَلَكْنَ بِتَنُّومٍ قَفَاهُ وخِمْخِمِ

صوت

[المنسرح]

قد طَالَ شَوْقِي وعَادَنِي طَرَبِي ... مِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ كَرِيمَةِ النَّسَبِ
غَرَّاءَ مِثْلُ الهِلاَلِ صُورَتُهَا ... أو مِثْلُ تِمْثَالِ صُورَةِ الذَّهَبِ

ويروى: «بيعة الرُّهُب». الشعر لعبد الله بن العجلان النَّهدي، والغناء لمالك ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن مسْجح.

(١) زمّ: بئر لبني سعد بن مالك (معجم البلدان ٣/ ١٥٠).

(٢) الشّعَاع: المتفرّق المتناثر.

(٣) الطُّلس: جمع الأطلس: الثوب البالي. والمواجن: جمع الماجنة: الفاسقة.

(٤) التّنوم: نوع من الشجر المثمر يستخدم ورقه مع الخلّ لقلع الثآليل. والخِمخم: نوع من النبات له شوك دقيق.

أخبار عبد الله بن العَجلان

[توفي نحو ٥٠ ق. هـ/ ٥٧٤ م]

[اسمه ونسبه وقصّة عِشقه لهند زوجته]

هو عبد الله بن العَجْلان بن عبد الأحَبّ بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. شاعر جاهليّ أحد المتيّمين من الشعراء ومَنْ قتله الحبّ منهم. وكانت له زوجة يقال لها هند، فطلّقها ثم ندمَ على ذلك، فتزوّجَتْ زوجاً غيره، فمات أسفاً عليها.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديٍّ قال: كان عبد الله بن العجلان النهديّ سيداً في قومه وابنَ سيد من ساداتهم، وكان أبوه أكثر بني نَهْدٍ مالاً، وكانت هند امرأة عبد الله بن العَجْلان التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نَهْدٍ، وكانت أحبَّ الناس إليه، وأحظاهم عنده، فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد، فقال له أبوه: إنه لا ولدَ لِي غيرُك، ولا ولد لك، وهذه المرأة عاقر، فطلّقها وتزوجْ غيرها، فأبى ذلك عليه، فآلى ألاَّ يكلمه أبداً حتى يطلّقها. فأقام على أمره، ثمّ عَمد إليه يوماً، وقد شرب الخمر حتى سكرَ، وهو جالسٌ مع هند، فأرسل إليه أن صِرْ إليَّ، فقالت له هند: لا تمضِ إليه، فوالله ما يريدك لِخَيرٍ، وإنّما يريدكَ لأنَّه بلغه أنك سكران، فطمع فيك أن يقسم عليك، فتطلّقني، فنمْ مكانك ولا تَمْضِ إليه. فأبى وعصاها، فتعلّقت بثوبه، فضربها بِمِسْواكٍ فأرسلته، وكان في يدها زعفران، فأثَّرَ في ثوبه مكان يدها، ومضى إلى أبيه، فعاوده في أمرها، وأنَّبَهُ وضَعَّفَهُ، وجمع عليه مشيخةَ الحَيِّ وفتيانهم، فتناولوه بألسنتهم، وعَيَّروه بشغفه بها وضَعْفِ حَزْمه، ولم يزالوا به حتى طلّقها. فلمّا أصبح خُبِّرَ بذلك، وقد علمتْ به هندٌ، فاحتجبَتْ عنه، وعادت إلى

أبيها، فأسفَ عليها أسفاً شديداً، فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير، فزوَّجها أبوها منه، فبنى بها عندهم، وأخرجها إلى بلده. فلم يزلْ عبدُ الله بن العَجْلان دَنِفاً سقيماً، يقول فيها الشعر، ويبكيها حتى مات أسفاً عليها، وعرضوا عليه فتيات الحيّ جميعاً فلم يقبل واحدة منهنّ، وقال في طلاقه إيَّاها: [مجزوء الكامل]

فَارَقْتُ هِنْداً طَائِعاًفَنَدِمْتُ عِنْدَ فِرَاقِهَا

فَالعَيْنُ تَذْرِي دَمْعَةً ... كَالدُّرِّ مِنْ آمَاقِهَا

مُتَحَلِّياً فوقَ الرِّدَا ... ءِ يَجُولُ مِنْ رَقْرَاقِهَا

خَوْدٌ رَدَاحٌ طَفْلَةٌ ... مَا الفُحْشُ مِنْ أخْلاَقِهَا(١)

ولَقَدْ أَلَذُّ حَدِيثَهَا ... وأُسَرُّ عِنْدَ عِنَاقِهَا

وفي هذه القصيدة يقول:

إنْ كُنْتِ سَاقِيَةً بِبُزْ ... لِ الأدْمِ أو بِحِقَاقِهَا(٢)

فَاسْقِي بَنِي نَهْدٍ إذا ... شَرِبُوا خِيَارَ زِقَاقِهَا

فَالخَيْلُ تَعْلَمُ كَيْفَ نُلْـ ... ـحِقُهَا غَدَاةَ لَحَاقِهَا

بِأَسِنَّةٍ زُرْقٍ صَبَحْـ ... ـنَا القَوْمَ حَدَّ رِقَاقِهَا

حَتَّى تَرَى قِصَدَ القَنَا ... والبِيضَ في أعْنَاقِهَا(٣)

قال أبو عمرو الشيباني: لَمَّا طَلَّقَ عبد الله بن العَجْلان هنداً أُنكِحَتْ في بني عامر، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات، فجمعت نهد لبني عامر جمعاً، فأغاروا على طوائف منهم، فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وبنو الحَرِيش وبنو قُشَير، ونذروا بهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت بنو عامر، وغنمت نهدٌ أموالهم، وقتل في المعركة ابنٌ لمعاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له، وقُرْط وجُدعانُ ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة بن كعب وحُسين بن عمرو بن معاوية وَمَسْحَقة بن المجمّع الجعفي، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك: [الوافر]

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي العَجْلاَنَ عَنِّي ... فَلا يُنْبِيكَ بِالحَدَثَانِ غَيْرِي

---

(١) الخَوْد: الفتاة الناعمة الحسنة الخلق. والرّداح: الضخمة الرّدف. والطّفلة: الناعمة الرَّخْصة.

(٢) الأدم: الجلد. والحِقاق: جمع الحُقّ: وعاء صغير يوضع فيه الطِّيب.

(٣) القِصَدُ: جمع القصدة: القطعة من الشيء إذا انكسر، ويقصد بها القطعة من الرماح أو السيوف المكسّرة في الأعناق.

بِأنَّا قد قَتَلنَا الخَيْرَ قُرْطاً وَجُرْنَا في سَرَاةِ بَنِي قُشَيْرِ[1]
وَأفْلَتَنا بَنُو شَكَلٍ رِجَالاً حُفَاةً يربؤون على سُمَيْرِ[2]

[رثاء قيسية لقتلى قومها]

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم: [الوافر]

أصَبْتُمْ يا بَنِي نَهْدِ بن زَيْدٍ قُروماً عِندَ قَعْقَعَةِ السِّلاحِ
إذا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وكان مَحْلاً وحَاذَرَ فيه إخْوَانُ السَّمَاحِ
أهَانُوا المَالَ في اللَّزَبَاتِ صَبْراً وَجَادُوا بالمَتَالِي واللِّقَاحِ[3]
فبَكِّي مَالِكاً وَابْكِي بجيراً وَشَدَّاداً لِمُسْتَجِرِ الرِّمَاحِ
وَكَعْباً فَانْدبيهِ مَعاً وَقُرطاً أولئك مَعْشَرِي هَدُّوا جَنَاحِي
وبَكِّي إنْ بَكَيْتِ على حُسَيْلٍ وَمِرْدَاسٍ قَتِيلِ بَنِي صَباحِ

قال: وَأَسَر عبد الله بن العَجْلان رجلاً من بني الوحيد، فمنَّ عليه وأطلقه، وَوعده الوحيديّ الثوابَ فلم يَفِ فقال عبد الله: [الوافر]

وَقَالُوا لَنْ تَنَالَ الدَّهْرَ فَقْراً إذا شَكَرَتْكَ نِعْمَتَكَ الوَحِيدُ
فيَا نَدماً نَدِمْتُ على رِزَامٍ وَمُخْلِفِهِ كَمَا خُلِعَ العَتُودُ

قال أبو عمرو: ثم إن بني عامر جمعوا لبني نهد، فقالت هند امرأة عبد الله بن العَجلان التي كانت ناكحاً فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر: لك خمسَ عَشْرَة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر، فقال: أفعل، فحملته على ناقة لزوجها ناجيةٍ. وزودته تمراً وَوَطْباً من لبن، فركب فجدَّ في السير. وفَنِيَ اللبنُ، فأتاهم والحيّ خلوف في غزو ومِيرَة[4]، فنزل بهم، وقد يبسَ لسانه، فلمّا كَلَّموه لم يقدر على أن يجيبهم، وأومأ لهم إلى لسانه، فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن، فأُسخن وَسقاه إياه، فابتلّ لسانه وتكلّم وقال لهم: أُتيتم، أنا رسول هند إليكم تُنذركم، فاجتمعت بنو نهد واستعَدّت ووافتهم بنو عامر فَلَحِقُوهم على

---

(١) قُرط: هو ابن سلمة بن قشير.

(٢) يربؤون: يحلون.

(٣) اللَّزَبَات: جمع اللَّزْبَة: الشدّة والقحط. والمتالي: جمع متلية: هي التي يتلوها ولدها عند الفطام. واللقاح: جمع اللِّقحة: الناقة الغزيرة اللبن.

(٤) الميرة: الطعام.

الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت بنو عامر، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك: [الطويل]

عَاوَدَ عَيْنِي نَصْبُها وَغُرُورُها ... أَهَمٌّ عَنَاها أَمْ قَذَاها يَعُورُها؟[١]
أم الدَّارُ أَمْسَتْ قد تَعَفَّتْ كَأَنَّهَا ... زَبُورُ يَمَانٍ رَقَّشَتْهُ سُطورُها؟[٢]
ذَكَرْتُ بها هِنْداً وأَتْرَابَها الأُلَى ... بها يكذبُ الوَاشِي ويُعْصَى أَمِيرُها
فَمَا مُعْولٌ تَبْكِي لِفَقْدِ أَلِيفِها ... إذا ذَكَرَتْهُ لا يَكُفُّ زَفِيرُها
بِأَغْزَرَ مِنِّي عَبْرَةً إذ رَأَيْتُها ... يَحُثُّ بها قَبْلَ الصَّبَاحِ بَعيرُها
أَلم يَأْتِ هِنداً كَيْفَما صُنْعُ قَوْمِها ... بَنِي عَامِرٍ إذ جَاءَ يَسعَى نَذِيرُها
فقالوا لَنَا إنَّا نُحِبُّ لِقَاءَكُمْ ... وإنَّا نُحَيِّي أَرْضَكُمْ ونَزُورُها
فقلنا إذاً لا نَنْكُلُ الدَّهْرَ عَنْكُمُ ... بصُمِّ القَنَا اللائي الدِّمَاءَ تُمِيرُها
فلا غَرْوَ أنَّ الخَيْلَ تَنحِطُ في القَنَا ... تُمَطَّرُ مِنْ تَحْتِ العَوَالي ذُكُورُها[٣]
تَأَوَّهُ مِمَّا مَسَّها مِنْ كَرِيهَةٍ ... وتُصْغِي الخدودَ والرِّمَاحُ تَصُورُها[٤]
وأَرْبَابُها صَرْعَى بِبُرْقَةِ أَخْربٍ ... تُجَرِّرُهُمْ ضُبْعَانُها ونُسُورُها[٥]
فَأَبْلِغْ أَبَا الحَجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةً ... مُغَلْغَلَةً لا يَغْلِبَنْكَ بُسُورُها[٦]
فَأَنْتَ مَنَعْتَ السِّلْمَ يومَ لَقِيتَنا ... بِكَفَّيْكَ تُسْدِي غَيَّةً وتُنِيرُها
فذوقوا عَلَى ما كَانَ مِنْ فَرْطِ إِحْنَةٍ ... حَلائِبَنا إذْ غَابَ عَنَّا نَصيرُها[٧]

[نهاية قصة حبّه لهند]

قال أبو عمرو: فلمّا اشتدَّ ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سرّاً من أبيه مخاطراً بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يرهبُ ما بينهم من الشَّرِّ والتِّرَات[٨]، حتى نزل ببني نمير، وقصد خباء هند، فلما قارب دارها رآها وهي

(١) النَّصب: المرض. وعناها: أصابها. والقَذَى: ما يقع في العين من غبار ونحوه.
(٢) الزَّبور: الكتاب.
(٣) لا غروَ: لا عجبَ. وتنحط: تزفر. وتُمطَّر: تسرع. والعوالي: الرماح.
(٤) تصورها: تُميلها.
(٥) برقة: من نواحي اليمامة، وقيل: موضع بالمدينة (معجم البلدان ١/ ٣٩٠).
(٦) بسورها: أعجالها.
(٧) الإحنة: الحقد والضغن.
(٨) التِّرَات: جمع تِرَة: الثأر.

جالسة عَلَى الحوض، وزوجها يسقي، ويذود الإبلَ عن مائه، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره، وأقبل يشتدُّ إليها، وأقبلت تشتدُّ إليه، فاعتنق كلُّ واحد منهما صاحبه، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان، حتى سقطا على وجوههما، وأقبل زوج هند ينظر ما حالُهما، فوجدهما ميتين.

قال أبو عمرو: وأخبرني بعضُ بني نهد أنَّ عبد الله بن العجلان أراد المضيّ إلى بلادهم، فمنعه أبوه وخوّفه الثّارات وقال: نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة، ولم يَزَلْ يدافعه بذلك حتى جاء الوقت، فحجَّ وحجَّ أبوه معه، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثَرُ كَفِّها في ثوبه بِخَلوق، فرجع إلى أبيه في منزله، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات. هذه رواية أبي عمرو.

وقد أخبرني محمد بن خلف وَكيع، قال: حَدّثني عبد الله بن عليّ بن الحسن قال: حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال: خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال: [الطويل]

ألاَ إنَّ هِنْداً أصبحتْ مِنْكَ مَحْرَماً ... وأَصْبَحْتَ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِها حَمَا
وأَصْبَحْتَ كالمَقْمُورِ جَفْن سِلاحِهِ ... يُقَلِّبُ بالكَفَّيْنِ قَوْساً وأَسْهُمَا

ثم مَدَّ بها صوته فمات.

قال ابن سيرين: فما سمعتُ أحداً مات عشقاً غير هذا. وهذا الخبر عندي خطأ لأن أكثر الرواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية، قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة، فقدم أبو سفيان بن حرب، فسأله عن أخبار مكة، وهل حدث بعده شيء، فقال: لا، إلاَّ أنِّي تزوّجْتُ هنداً بنت عتبة، فمات مسافرٌ أسفاً عليها، ويدلُّ على صحَّة ذلك قوله:

وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَمَا

لأنه ابن عَمّ أبي سفيان بن حرب لَحّاً[1] وليس النميريُّ المتزوّج هنداً النهديَّة ابن عَمّ عبد الله بن العجلان فيكون من أحْمَائها، والقول الأول على هذا أصحّ.

(١) لَحاً: لاصقاً.

[مختارات من شعره في هند]

ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند: [الطويل]

أَلاَ أَبْلِغَا هِنْداً سَلامِي فَإِنْ نَأَتْ فَقَلْبِيَ مُذْ شَطَّتْ بها الدَّارُ مُدْنَفُ
ولم أَرَ هِنْداً بعدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ بِأَنْعَمَ في أهلِ الدِّيَارِ تَطَوَّفُ
أَتَتْ بين أترابٍ تَمَايَسُ إذ مَشَتْ دَبِيبَ القَطَا أو هُنَّ مِنْهُنَّ أَقْطَفُ[1]
يُبَاكِرْنَ مِرْآةً جَلِيّاً وتَارَةً ذَكِيّاً وبالأيْدي مَدَاكٌ ومِسْوَفُ[2]
أَشَارَتْ إلينا في خَفَاءٍ ورَاعَها سَرَاةُ الضُّحَى مِنّي على الحَيِّ مَوْقِفُ
وقالَتْ: تَبَاعَدْ يابْنَ عَمِّي فَإِنَّني مُنِيتُ بِذِي صَوْلٍ يَغَارُ ويَعْنُفُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أنشدنا فضل اليزيديّ عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهديّ، قال إسحاق وفيه غناء: [الطويل]

خَلِيلَيَّ زُورَا قبلَ شَحْطِ النَّوَى هِنْدَا ولا تَأْمَنا مِنْ دَارِ ذِي لَطَفٍ بُعْدا
ولا تَعْجَلا، لم يَدْرِ صَاحِبُ حَاجَةٍ أَغيّاً يُلاقِي في التَّعَجُّلِ أَمْ رُشْدَا
ومُرَّا عَلَيْهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا وإنْ لم تَكُنْ هِنْدٌ لِوَجْهَيْكُما قَصْدَا
وقولا لها ليسَ الضَّلالُ أَجَازَنا ولَكِنَّنا جُزْنا لِنَلْقَاكُمُ عَمْدَا

صوت

[مجزوء الوافر]

أَلاَ يَا ظَبْيَةَ البَلَدِ بَرَانِي طُولُ ذَا الكَمَدِ
فَرُدِّي يا مُعَذِّبَتِي فُؤَادِي أو خُذِي جَسَدِي
بُلِيتُ لِشِقْوَتِي بِكُمُ غُلاماً ظَاهِرَ الجَلَدِ[3]
فَشَيَّبَ حُبُّكُمْ رَأْسِي وبَيَّضَ هَجْرُكُمْ كَبِدِي

الشعر للمؤمّل بن أُميل، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

---

(١) تمايس: تتمايل وتتبختر.
(٢) المَدَاك: ما يسحق عليه الطِّيب. والمسوف: ما يشام به الطِيب.
(٣) الجَلَد: الصبر.

أخبار المُؤَمّل ونسبه

[توفي نحو ١٩٠ هـ/ نحو ٨٠٥ م]

[اسمه ونسبه وعماه في بيت شعر قاله]

المُؤَمّل بن أُمَيْل بن أسيد المحاربيّ، من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، شاعر كوفيٌّ من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكانت شهرته في العباسية أكثر، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصّهم ويخدمهم من أوليائهم، وانقطع إلى المهديّ في حياة أبيه وبعده. وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرِّزين الفحول ولا المرذُولين، وفي شعره لِينٌ، وله طبع صالح. وَكان يهوى امرأةً من أهل الحِيرة يقال لها هند، وفيها يقول قصيدَتَه المشهورة: [البسيط]

شَفَّ المُؤَمَّلَ يَوْمَ الحِيرةِ النَّظَرُ لَيْتَ المُؤَمَّلَ لم يُخْلَقْ له بَصَرُ

يقال: إنه رأى في منامه رجلاً أدخل أصبعيه في عينيه، وقال: هذا ما تمنّيت، فأصبح أعمى.

[المهدي يغدق المال عليه والمنصور يستردّه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانيّ، قال: حَدَّثني أبو قُدامة، قال: حدّثني المؤمّل قال: قدمت على المهديّ وهو بالرّي[1]، وهو إذ ذاك وَلِيُّ عهدٍ، فامتدحتُه بأبيات، فأمر لي بعشرين ألفَ دِرْهم، فكتبَ بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور، وهو بمدينة السَّلام[2] يُخبره أن الأمير المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألفَ درهم،

---

(١) الرّيّ: مدينة مشهورة من أمهات المدن وهي محطّ الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال (معجم البلدان ٥/ ٧٩).

(٢) مدينة السلام بغداد (معجم البلدان ٥/ ٧٩).

فكتب إليه يَعذِلُه ويلومه، ويقول له: إنما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أنْ يقيم ببابك سنةً أربعةَ آلاف درهم، وكتب إلى كاتب المهديّ أن يوجِّهَ إليه بالشاعر، فطُلِبَ ولم يقدرْ عليه، وكتبَ إلى أبي جعفر أنه قد توجّه إلى مدينة السلام، فأجلَس قائداً من قُوّاده على جِسر النهرَوان، وأمره أن يتصفَّح الناسَ رجلاً رجُلاً، فجعل لا يمرّ به قافلة، إلا تصفَّح من فيها، حتى مرت به القافلةُ التي فيها المؤمَّل، فتصفحهم، فلما سأله من أنت؟ قال: أنا المؤمَّل بنَ أُميل المحاربي الشاعر، أحدُ زوار الأمير المهدي، فقال: إياك طلبتُ، قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدعُ خوفاً من أبي جعفر.

فقبضَ عَليَّ، وأسلمني إلى الربيع، فأدخلني إلى أبي جعفر، وقال: هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين ألفاً، قد ظَفرنا به، فقال: أدخلوه إليَّ، فأُدخِلْتُ إليه، فسلّمتُ تسليمَ فزع مُرَوَّع، فردّ السّلام، وقال: ليس لك ها هنا إلّا خَيْر، أنت المؤمل بن أُميل؟ قلت: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين أنا المؤمل بن أُميل، قال: أتيتَ غلاماً غِرّاً كريماً، فخدعته فانخدع؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير، أتيت غلاماً غِرّاً كريماً، فخدعتُه فانْخدعَ قال: فكأن ذلك أعجبَه، فقال: أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدتُه: [الوافر]

هـو الـمَـهْـدِيُّ إلّا أنَّ فِـيـهِ ... مُـشَـابَـهَـةً مِـنَ الـقَـمَـرِ الـمُـنِـيـرِ
تَـشَـابَـهَ ذَا وذَا فَـهُـمَـا إذا مـا ... أَنَـارا مُـشْـكِـلاَنِ عـلـى الـبَـصِـيـرِ[1]
فـهـذا فـي الـظَّـلاَمِ سِـرَاجُ لَـيْـلٍ ... وهَـذَا فـي الـنَّـهَـارِ ضِـيَـاءُ نُـورِ
ولَـكِـنْ فَـضَّـلَ الـرَّحْـمَـنُ هَـذَا ... عـلـى ذَا بِـالـمَـنَـابِـرِ والـسَّـرِيـرِ
وَبِـالـمُـلْـكِ الـعَـزِيـزِ فَـذَا أَمِـيـرٌ ... ومَـا ذا بِـالأمِـيـرِ ولا الـوَزِيـرِ
وبَـعْـضَ الـشَّـهْـرِ يَـنْـقُـصُ ذا وهـذا ... مُـنِـيـرٌ عِـنْـدَ نُـقْـصَـانِ الـشُّـهُـورِ
فـيَـابْـنَ خَـلِـيـفَـةِ الـلَّـهِ الـمُـصَـفَّـى ... بـه تَـعْـلُـو مُـفَـاخَـرَةُ الـفَـخُـورِ
لَـئِـنْ فُـتَّ الـمُـلُـوكَ وقـد تَـوَافَـوْا ... إلَـيْـكَ مِـن الـسُّـهُـولَـةِ والـوُعُـورِ
لـقـد سَـبَـقَ الـمُـلـوكَ أَبُـوكَ حَـتَّـى ... بَـقُـوا مـن بَـيـنِ كَـابٍ أو حَـسِـيـرِ[2]
وجِـئْـتَ مُـصـلّـيـاً تَـجْـرِي حَـثِـيـثـاً ... ومـا بِـكَ حـيـن تَـجْـرِي مـن فُـتـورِ[3]
فـقـالَ الـنَّـاسُ مـا هَـذَانِ إلّا ... كـمـا بـيـنَ الـخَـلِـيـقِ إلى الـجَـدِيـرِ

---

(١) مشكلان: ملتبسان.
(٢) الكابي: العاثر. والحسير: المُعيي.
(٣) المصلّي: التالي للسّابق.

لَئِنْ سَبقَ الكَبِيرُ لأَهْلُ سَبْقٍ ... له فَضْلُ الكَبيرِ على الصَّغِيرِ
وَإِنْ بَلَغَ الصَّغِيرُ مَدَى كَبِيرٍ ... فقدْ خُلِقَ الصَّغِيرُ مِنَ الكَبِيرِ

فقال: واللهِ لقد أحسنت، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألفَ درهم، فأين المال؟ قلت: هو هذا، قال: يا رَبيع، امض معه، فأعطه أربعة آلاف درهم، وخذ الباقي. قال المؤمِّل: فخرج معي الربيع، وَحطَّ ثِقْلي، ووزَنَ لي من المال أربعةَ آلاف درهم، وأخذَ الباقي. فلمَّا وَلِيَ المهديُّ الخلافة ولَّى ابن ثَوبَان المظَالم، فكان يجلس للناس بالرُّصَافة[1]، فإذا ملأ كساءَه رِقاعاً رفعها إلى المهديّ، فرُفِعَتْ إليه رُقْعة، فلما دخل بها ابن ثوبان جعل المهديُّ ينظر في الرِّقاع، حتى إذا وَصل إلى رُقْعَتي ضَحِك، فقال له ابنُ ثوبان: أصلَحَ الله أمير المؤمنين! ما رأيتك ضَحِكْتَ من شيء من هَذه الرقاع إلا من هذه الرُّقعة، فقال: هذه رقعة أعرفُ سببها، ردّوا إليه عشرين ألفَ درهم، فردُّوها إليَّ وانصرفْت.

[مبايعته لموسى وهارون والمكافأة التي نالها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدّثنا عبد الله بن سعد بن أبي سعد قال: حدّثني الحكم بن موسى السّلوليّ، قال: حَدَّثني سعد بن أخي العوفيّ قال: قَدِمَ على المهديّ في بيعة ابنيه موسى وهارون المُؤمِّل بنُ أُمَيْل المحَاربيّ والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السَّلولي وَقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحِمْيري من الكوفة، فقدما على المهديّ في عسكره، فأنشده المؤمِّل: [الوافر]

هَاكَ بِيَاعَنا يا خَيْرَ وَالٍ ... فقد جُدْنا به لَكَ طَائِعِينا
فإنْ تَفْعَلْ فأنْتَ لِذَاكَ أَهْلٌ ... فَفَضْلُكَ يابْنَ خَيْرِ النَّاسِ فينا
وعَدْلُكَ يابْنَ وَارِثِ خَيْرِ خَلْقٍ ... نَبِيِّ اللَّهِ خَيْرِ المُرْسَلِينا
فَإِنَّ أَبَا أَبِيكَ وأَنْتَ مِنْهُ ... هو العَبَّاسُ وَارِثُه يَقِينا
أَبَانَ بِهِ الكِتَابُ وذَاكَ حَقٌّ ... ولَسْنَا لِلكِتَابِ مُكَذِّبِينا
بِكُمْ فُتِحَتْ وأَنْتُمْ غيرَ شَكٍّ ... لها بِالعَدْلِ أَكْرَمُ خَاتِمِينَا
فدُونَكَها فَأَنْتَ لها مَحَلٌّ ... حَبَاكَ بِها إلهُ العَالَمِينا
ولو قِيدَتْ لِغَيْرِكُمُ اشْمَأَزَّتْ ... وأَعْيَتْ أَنْ تُطِيعَ القَائِدِينا

---
(١) الرُّصافة: في الجانب الشرقي من بغداد (معجم البلدان ٣/ ٤٦).

فأمر لهمَا بثلاثينَ ألفَ درهم، فجِيءَ بالمال، فأُلقِيَ بينهما، فأخذ كل واحد منهما بَدْرَة[١]، وصَدَعَ[٢] الأخرى بينهما، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفاً.

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عبد الله بن أمين عن أبي محمد اليزيديّ، عن المؤمَّل بن أميل قال: صِرتُ إلى المهديّ بجُرجان فمدحتُه بقولي: [المتقارب]

تَعَزَّ وَدَعْ عَنْكَ سَلْمَى وسِرْ ... حَثِيثاً على سَائِرَاتِ البِغَالِ
وكُلُّ جَوَادٍ لَه مَيْعَةٌ ... يَخُبُّ بِسَرْجِكَ بَعْدَ الكَلاَلِ[٣]
إلى الشَّمْسِ شَمْسِ بَنِي هَاشِم ... وما الشَّمْسُ كَالبَدْرِ أو كَالهِلاَلِ
ويُضحِكُهُ أَنْ يَدُومَ السُّؤَالُ ... ويُتْلِفُ في ضِحْكِهِ كَلَّ مَالِ

فاستحسنَها المهديُّ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وشاع الشعر وكان في عسكره رجل يُعرف بأبي الهوْسات يُغنّي، فغنّى في الشعر لِرُفقائه، وبلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سّراً، فدخل عليه فغناه، فأمر له بخمسة آلاف درهم، وَأمر لي بعشرة آلاف درهم أُخرى، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور.

ثُم ذكر باقي الخبر على ما تقدَّم قبله، وَزاد فيه أن المنصور قال له: جئتَ إلى غلام حَدَثٍ فخدعته، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألفَ درهم لشعر قلته فيه، غيرِ جيّد وأعطاكَ من رقيقِ المسلمينَ ما لا يملكه، وأعطاك من الكُراع[٤] والأثاث ما أسرف فيه، يا ربيعُ خذْ منه ثمانية عشر ألف درهم، وأَعْطِهِ ألفين، ولا تعرضْ لِشَيْءٍ من الأثاث والدّواب والرّقيق، ففي ذلك غناؤه. فأُخِذَتْ والله مني بخَوَاتِمها، ووُضِعتْ في الخزائن. فلما وليَ المهديّ دخلتُ إليه في المتظلمين. فلمّا رآني ضحك وقال: مَظلمةٌ أعرفها، ولا أحتاجُ إلى بَيِّنة عليها، وَجعل يضحك، وَأمر بالمال فردّ إليّ بعينه، وزاد فيه عشرَة آلاف.

[بعض صفاته]

أخبرني الحسنُ بن علي الخفَّاف قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه

---

(١) البدرة: كيس فيه مقدار من المال.
(٢) صدعَ: قسم.
(٣) ميعةُ الفرس: أول جريه.
(٤) الكُراع: الخيل والبغال والحمير.

قال: حدّثني حُذيفة بن محمد الطائيّ قال: حدّثني أبي قال: رأيتُ المؤمّل شيخاً مُصفَرّاً نحيفاً أعمى، فقلت له: لقد صدقت في قولك: [الطويل]

وقد زَعَمُوا لي أنّها نَذَرَتْ دَمِي ... ومَا لِي بِحَمْدِ اللّهِ لَحْمٌ وَلا دَمُ

فقال: نعم ـ فديتكَ ـ وما كنت أقول إلّا حقاً.

قال محمد بن القاسم: وحدّثني عبد الله بن طاهر أن أول هذا الشعر:

حَلُمْتُ بِكُمْ في نَوْمَتِي فغَضِبْتُمُ ... ولا ذَنْبَ لي إنْ كُنتُ في النَّوْمِ أحْلُمُ

سَأطْرُدُ عَنِّي النَّومَ كَيْلا أرَاكُمُ ... إذا مَا أتَانِي النَّوْمُ والنَّاسُ نُوَّمُ

تُصَارِمُنِي واللَّهُ يَعْلَمُ أنّني ... أبَرُّ بِها مِنْ وَالِدَيْهَا وأرْحَمُ

صوت

وقد زَعَمُوا لي أنّهَا نَذَرَتْ دَمِي ... ومَا لِي بِحَمْدِ الله لَحْمٌ ولا دَمُ

بَرَى حُبُّها لَحْمِي ولم يُبْقِ لي دَمَاً ... وإنْ زَعَمُوا أنّي صَحِيحٌ مُسَلَّمُ

فلم أرَ مِثْلَ الحُبِّ صَحَّ سَقِيمُهُ ... ولا مِثْلَ مَنْ لا يَعْرِفُ الحُبَّ يَسْقُمُ

سَتَقْتُلُ جِلْداً بَالِياً فَوْقَ أعْظُمٍ ... ولَيسَ يُبَالِي القَتْلَ جِلْدٌ وأعْظُمُ

في هذه الأبيات التي أولها:

وَقد زَعَمُوا لي أنّها نَذَرَتْ دَمِي

لنبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوُسطى عن ابن المكي.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه، قال: حَدّثني محمد بن أحمد بن عليّ، قال: لمّا قال المؤمّل: [البسيط]

شَفَّ المُؤَمِّلَ يَوْمَ الحِيرَةِ النَّظَرُ ... لَيْتَ المُؤَمِّلَ لم يُخْلَقْ له بَصَرُ

عَمِيَ، وَأُرِيَ في منامه: هذا ما تمنيتَ.

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني عليّ بن الحسنِ الشيباني قال: رأى المؤمّلُ في منامه قائلاً يقول: أنتَ المُتَألّي[1] على الله ألا يعذّبَ المحبّين حيث تقول:

(١) المتألّي: الحالف.

[البسيط]

يَكْفِي المُحِبِّينَ في الدُّنْيَا عَذَابُهُمُ وَاللَّهِ لا عَذَّبَتْهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ[1]

فقال له: نعم، فقال: كذبتَ يا عدوَّ الله، ثم أدخل إصبعيه في عينيه وقال له: أنت القائل: [البسيط]

شَفَّ المُؤَمَّلُ يَوْمَ الحِيرَةِ النَّظَرُ لَيْتَ المُؤَمَّلُ لَمْ يُخْلَقْ له بَصَرُ

هذا ما تمنّيتَ، فانتبَه فزِعاً، فإذا هو قد عَمِيَ.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا مُصعب الزبيريّ قال: أُنشِدَ المهديُّ قولَ المؤمَّل: [البسيط]

قَتَلْتِ شَاعِرَ هذا الحَيِّ مِنْ مُضَرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَرْضى بِذَا مُضَرُ

فضحك، وقال: لو علمنا أنها فعلت ما رَضِينا، وَلَغضبنا له وأنكرنا.

صوت [الطويل]

بَكَيْتُ حَذَارَ البَيْنِ عِلْماً بِمَا الَّذي إلَيهِ فُؤَادِي عِنْدَ ذَلِكَ صَائِرُ
وَقَالَ أُنَاسٌ لو صَبَرْتَ وإنَّنِي على كُلِّ مَكروهٍ سِوَى البَيْنِ صَابِرُ

الشعر لأبي مالك الأعرج؛ والغناء لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته ورواية الهشاميّ.

قال الهشاميّ: وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل، وَلسليم ثقيل أول.

---

(١) سَقَر: جهنّم.

أخبار أبي مالك ونسبه

[اسمه ونسبه ونشأته ورثاؤه لأبيه]

أبو مالك النَّضر بن أبي النَّضر التميميّ، هذا أكثر ما وجدتُه من نسبه، وكان مولده ومنشؤه بالبادية. ثم وفد إلى الرشيد ومدحه وَخدمه فأحمدَ مذهبه، ولحظتْه عنايةٌ من الفضل بن يحيى، فبلغ ما أحبَّ، وهو صالح الشعر، متوسّط المَذهب، ليس من طبقةِ شعراء عصره المجيدين، وَلا من المرذولين.

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا أحمد بن الهَيثم بن فراس قال: كان أبو مالك النضر بن أبي النضر التميميّ مع الرشيد، وكان أبوه مقيماً بالبادية، فأصاب قوم من عشيرته الطَّريقَ، وقطعُوه عن بعض القوافل، فخرج عامل دِيارِ مضر ـ وكان يقال له جيَّال ـ إلى ناحِية كانت فيها طوائف من بني تميم، فقصدَهم وهم غارُّون[١]، فأخذَ منهم جماعةً فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج، وكان ذا مال، فطلبه فيمن طلَب من الجناة، وطمع في ماله، فضربه ضرباً أتى فيه على نفسه، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه: [الخفيف]

فِيمَ يُلْحَى عَلَى بُكَائِي العَذُولُ ... والَّذِي نَابَنِي فَظِيعٌ جَلِيلُ

عدِّ هذا الملامَ عَنِّي إلى غَيْـ ... ـري فقلبِي بِبَثِّهِ مَشْغُولُ

رَاعَنِي وَالِدي جَنَتْ كَفُّ جَيَّا ... لِ عليه فَرَاحَ وهو قَتِيلُ

أيُّهَا الفَاجِعي بِرُكْنِي وعِزِّي ... هَبِلَتْنِي إنْ لَمْ أرُعْكَ الهَبُولُ[٢]

سُمْتَنِي خطَّةَ الصَّغَارِ وأظْلَمْـ ... ـتَ نَهَاري عَلَيَّ غَالَتْكَ غُولُ[٣]

---

(١) غارّون: غافلون.

(٢) هَبِلَتْني الهَبُول: ثكلتني أمّي.

(٣) الصّغار: الذلّ. وغالتكَ غول: أهلكتك المهلكة. والغول: كل ما أخذ الإنسان على حين غرّة فأهلكه.

مـا عَـدَانِـي الـجَـفَـاءُ عَـنْـكَ ولَـكِـنْ ... لـم يُـدِلْـنِـي مِـنَ الـزَّمَـانِ مُـدِيـلُ(١)
زَالَ عَـنَّـا الـسُّـرورُ إذْ زُلْـتَ عَـنَّـا ... وازْدَهَـانـا بُـكَـاؤُنـا والـعَـوِيـلُ(٢)
ورَأَيْـنَـا الـقَـرِيـبَ مِـنَّـا بَـعِـيـداً ... وجَـفَـانـا صَـدِيـقُـنَـا والـخَـلِـيـلُ
ورَمَـانـا الـعَـدُوُّ مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ ... وتَـجَـنَّـى عـلـى الـعَـزِيـزِ الـذَّلِـيـلُ
يا أبا النَّضْرِ سَوْفَ أبْكِيكَ ما عِشْـ ... ـتُ سَـوِيّـاً وذاكَ مِـنِّـي قَـلِـيـلُ
حَـمَـلَـتْ نَـعْـشَـكَ الـمَـلائِـكَـةُ الأبْـ ... ـرارُ إذ مـا لَـنـا إلـيـكَ سَـبِـيـلُ
غَـيْـرَ أنِّـي كَـذَبْـتُـكَ الـوُدَّ لـم تَـقْـ ... ـطُـرْ جُـفـونـي دَمـاً وأنـتَ قَـتِـيـلُ
رَضِـيَـتْ مُـقْـلَـتِـي بِـإرْسَـالِ دَمْـعِـي ... وعـلـى مِـثْـلِـكَ الـنُّـفُـوسُ تَـسِـيـلُ
أسِـــواكَ الَّـــذي أجُـــودُ عـــلـــيـــه ... بِـــدَمِـــي إنَّـــنِـــي إذاً لَـــبَـــخِـــيـــلُ
عَـثَـرَ الـدَّهْـرُ فِـيـكَ عَـثْـرَةَ سَـوْءٍ ... لـم يُـقِلْ مِـثْـلَـهـا الـمُـعِـيـنُ الـمُـقِـيـلُ
قُـلْ إنْ ضَـنَّ بِـالـحَـيَـاةِ فَـإنِّـي ... بَـعْـدَهُ لِـلـحَـيَـاةِ قَـالٍ مَـلُـولُ(٣)
إنَّ بِـالـسَّـفْـحِ مِـنْ ضـبـاعَـةَ قَـوْمـي ... لَـيْـسَ مِـنـهـم ـ وهُـمْ أدَانٍ ـ وَصُـولُ
لا يَـزورونَ جَـارَهُـمْ مِـنْ قَـرِيـبٍ ... وهُـمْ فـي الـتُّـرَابِ صَـرْعَـى حُـلـولُ
حُـفْـرةٌ حَـشْـوُهـا وَفَـاءٌ وحِـلْـمٌ ... ونَـدًى فَـاضِـلٌ ولُـبٌّ أصِـيـلُ
وعَـفَـافٌ عَـمَّـا يَـشِـيـنُ وحِـلْـمٌ ... رَاجِـحُ الـوَزْنِ بِـالـرَّوَاسِـي يَـمِـيـلُ(٤)
ويَـمِـيـنٌ بَـنَـانُـهـا غَـيْـرُ جَـعْـدٍ ... وجَـبِـيـنٌ صَـلْـتٌ وخَـدٌّ أسِـيـلُ(٥)
وامْـرُؤٌ أشْـرَقَـتْ صُـفَـيْـحَـةُ خَـدَّيْـ ... ـهِ عـلـيـهِ بَـشَـاشَـةٌ وقَـبُـولُ

صوت

[الطويل]

لَئِنْ مِصْرُ فَاتَتْني بِمَا كُنْتُ أرْتَجِي ... وأخْـلَـفَـنـي فِـيـهـا الَّـذي كُـنْـتُ آمُـلُ
فمَا كُلُّ ما يَخْشَى الفَتَى بِمُصِيبِه ... ولا كُـلُّ مـا يَـرجُـو الـفَـتَـى هـو نَـائِـلُ

الشعر لأبي دُهمان، والغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ

انتهت أخبار مالك ونسبه.

---

(١) أدال: نصر.
(٢) ازدهى: استخفّ.
(٣) القالي: المبغض.
(٤) الرّواسي: جمع الراسية: الجبل.
(٥) الجَعد: القصير. والصّلْت: الواضح. والأسيل: الناعم.

أخبار أبي دُهمان

[أبو دهمان ونوادره]

أبو دُهْمان الغِلابيّ شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتي بني أمية وبني العباس، ومدح المهديّ، وكان طيِّباً ظريفاً مليحَ النادرة.

وهو القائل لما ضَرَبَ المهديُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عُتبة: [المنسرح]

لـولا الَّـذي أَحْـدَثَ الـخَـلِـيفـةُ فـي الْـ ... ـعُـشَّـاقِ مِـنْ ضَـرْبِـهِـمْ إذا عَـشِـقُـوا
لَـبُـحْـتُ بِـاسْـمِ الَّـذِي أُحِـبُّ ولَـ ... ـكِـنِّـي امْـرُؤٌ قـد ثَـنَـانِـيَ الـفَـرَقُ[1]

حَدَّثني بذلك الصّوليّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية، وأخبرني جَحْظَةُ عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال رجل لأبي دهمان: ألاَ أُحَدِّثُكَ بظريفة؟ قال: بَلى، قال: كنا عند فلان، فمدّ رجله هكذا، فضَرَط، ومدّ المحدث رجله يحكيه فضرَط، فقال له أبو دُهمان: يا هذا أنت أحذَقُ خلق الله بحكاية.

نسختُ من كتاب بخط ميمون بن هارون: بلغني أن أبا دُهمان مرّ وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديقٌ له يسايرهُ، فقام الناس إليه ودعَوْا له إلا ذلك الرجل، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره: أما ترى ذلك الرجلَ في النَّظارة وترى تِيهَهُ عَلَيّ؟ فقال له: وكيف يتيه عليك وأنتَ الأمير! قال: لأنه قد نَاكَني وأنا غلام.

وأخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، قال: مرض أبو دُهمان مرضاً أَشْفَى منه على الموت، فأوصى وأملى وصيته على كاتبه، وأوصى فيها بعتق غلام كان له واقفاً، فلما فرغ غدا الغلامُ بالرقعة،

(١) الفَرَق: الخوف.

فأترَبها[1]، ونظر إليه أبو دُهمان، فقال له: نعم أتربْها يابنَ الزَّانية، عسى أن يكون أنجَحَ للحاجة، لا شفاني الله إن أنجحتَ، وأمر به، فأُخرج لوقته، فبِيعَ.

صوت [الطويل]

يَكُـرُّ كَـمَـا كَـرَّ الـكُـلَـيْـبِـيُّ مُـهْـرَهُ ... ومَـا كَـرَّ إلاَّ خِـيـفَـةً أنْ يُـعَـيَّـرا
فلا صُلْحَ حَتَّى تَزْحَفَ الخَيْلُ والقَنَا ... بِـنَـا وبِـكُـمْ أوْ يَـصْـدُرَ الأمـرُ مَـصْـدَرا

الشعر لأبي حُزابة التميميّ، والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر.

وهذا الشعر يرثي به أبو حُزابَة رجلاً من بني كُلَيب بن يربوع يقال له ناشرةُ اليَرْبُوعيّ، قُتِل بسجستان في فتْنَة ابن الزبير، وكان سيّداً شُجاعاً.

أنشدنيه جعفرُ بن قُدامة قال: أنشدني أبو هِفَّان وأحمد بن أبي طاهر قالا: أنشدنا عبدُ الله بن أحمد العدويُّ لأبي حُزابة يرثي ناشرةَ اليربوعيّ وقُتِل بسجستان في فتنة ابن الزبير قال: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ هَدَّتْ قُرَيْشٌ عُروشَنَا ... بِـأَبْـيَـضَ نَـفَّـاحِ الـعَـشِـيَّـاتِ أزْهَـرا[2]
وكَـانَ حَـصَـاداً لِـلْـمَـنَـايَـا زَرَعْـنَـهُ ... فَـهَـلاَّ تَـرَكْـنَ الـنَّـبْـتَ ما كـانَ أَخْـضَـرا
لَـحَـا الـلَّـهُ قَـوْمـاً أَسْـلَـمُـوكَ وجَـرَّدُوا ... عَـنَـاجِـيـجَ أعْـطَـتْـهـا يَـمِـيـنُـكَ ضُـمَّـرا[3]
أَمَـا كـانَ فِـيـهِـمْ مَـاجِـدٌ ذُو حَـفِـيـظَـةٍ ... يَرَى المَوْتَ في بعضِ المَوَاطِنِ أفْخَرا
يَـكُـرُّ كـمـا كَـرَّ الـكُـلَـيْـبِـيُّ مُـهْـرَهُ ... ومـا كَـرَّ إلاَّ خَـشْـيَـةً أنْ يُـعَـيَّـرَا

يُريد: ما كان في هؤلاء القَوم مَنْ يكرُّ كمَا كَرَّ ناشرة الكُلَيْبي مُهره؟

(١) أتربها: طمرها بالتراب.
(٢) الأبيض النفّاح: السيف الضارب.
(٣) العناجيج: جمع العنجوج: جياد الخيل.

أخبار أبي حزابة ونسبه

[اسمه ونشأته]

أبو حُزابة اسمه الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم. شاعر من شعراء الدولة الأموية بَدَوِيٌّ حَضِرَ وسكن البصرة، ثم اكتُتِب في الديوان، وضُرِبَ عليه البعثُ إلى سجستان، فكان بها مدة، وعاد إلى البصرة، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك، وأظنُّه قُتل معه، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هَجَّاءً.

[طلحة الطلحات يبطىء عليه بالجائزة فينشده]

فأخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثنا محمد بن الهيثم الشّاميّ قال: حدّثني عَمِّي أبو فراس عن العذرِيِّ قال: دخل أبو حُزابة على طلحةِ الطَّلحات الخُزَاعِيّ، وقد استعمله يزيدُ بن معاوية على سِجِستان، وكان أبو حُزابة قد مدحه، فَأبطأت عليه الجائزةُ من جهته، ورأى ما يُعطى غَيرُه من الجوائز، فأنشده: [الطويل]

وأَدْلَيْتُ دَلْوِي في دِلاَءٍ كَثِيرَةٍ فَجِئْنَ مِلاَءً غيرَ دَلْوِي كَمَا هِيَا
وأَهْلَكَنِي أَلَّا تَزَالَ رَغِيبَةٌ تُقَصِّرُ دُونِي أو تَحُلُّ وَرَائِيَا
أَرَانِي إذا اسْتَمْطَرْتُ مِنْكَ سَحَابَةً لِتُمْطِرَني عَادَتْ عَجَاجاً وسَافِيا[1]

قال: فرماه طلحة بِحُقٍّ فيه دُرَّة فأصاب صدرَه، ووقعت في حجره، ويقال: بل أعطاه أربعةَ أحجار، وقال له: لا تُخْدَعْ عنها، فباعها بأربعين ألفاً. ومات طلحةُ بسجستان.

(١) العجاج: الغبار. والسافياء: التراب الذي تذروه الريح.

ثم وَلِيَ من بعده رجل من بني عبدِ شمس يقال له عبدُ الله بن عليّ بن عَدِيّ وكان شحيحاً فقال له أبو حزابة: [الرجز]

يـا بْـنَ عَـلِـيٍّ بَـرِحَ الـخَـفَـاءُ ... قـد عَـلِـمَ الـجِـيـرَانُ والأَكْـفَـاءُ
أَنَّـكَ أَنْـتَ الـنَّـذْلُ والـلَّـفَـاءُ ... أَنْـتَ لِـعَـيْـنِ طَـلْـحَـةَ الـفِـدَاءُ[1]
بَـنُـو عَـدِيٍّ كُـلُّـهُـمْ سَـوَاءُ ... كَـأَنَّـهُـمْ زِيـنِـيَّـةٌ جِـرَاءُ[2]

[رثاؤه لطلحة وذمّه لعبد الله بن علي في قصيدة واحدة ينشدها في المربد]

قال: ثم وليَها بعدَ عبد الله بن علي عبدُ العزيز بنُ عبد الله بن عامر بن كُريز أيام الفتنة، فاستأذنَه أبو حزابة أن يأتيَ البَصرة، فأذِنَ له فقدمها، وكان الناس يحضُرون المِرْبَدَ، ويتناشدون الأشعار، ويتحادثون ساعة من النهار، فشهدهم أبو حُزابةَ، وأنشدهم مَرْثِيَّة له في طَلحةِ الطَّلحات يضمّنها ذمّاً لعبدِ الله بن عليٍّ وهي قوله: [الرجز]

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الجنابُ الأَخْضَرُ ... والـنَّـائِلُ الـغَـمْـرُ الَّـذي لا يُـنْـزَرُ[3]
وَارَاهُ عَـنَّـا الـجَـدثُ الـمُـغَـوَّرُ ... قـد عَـلِـمَ غَـدَاةَ اسْـتَـعْـبَـرُوا[4]
والـقَـبْـرُ بـيـن الـطَّـلـحَـاتِ يُـحْـفَـرُ ... أَنْ لَـنْ يَـرَوْا مِـثْـلَـكَ حَـتَّـى يُـنْـشَـرُوا
إِنَّـا أَتَـانَـا جـرزٌ مُـحَـمَّـرُ ... أَنْـكَـرَهُ سَـرِيـرُنـا والـمِـنْـبَـرُ
والـمَـسْـجِـدُ الـمُـخْـتَـضِـرُ الـمُـطَـهَّـرُ ... وخَـلَـفُ يـا طَـلْـحُ مِـنْـكَ أَعْـوَرُ
بَـلِـيَّـةٌ يـا رَبَّـنَـا لا نَـسْـخَـرُ ... أَقَـلُّ مِـنْ شِـبْـرَيْـنِ حِـيـنَ يُـشْـبَـرُ
مـثـل أَبـي الـقَـعْـوَاءِ لا بَـلْ أَقْـصَـرُ

قال: وأبو القَعْواء حاجبٌ لطلحة كان قصيراً.

[هجاؤه لعون بن سلامة]

فقال عون بن عبد الرحمٰن بن سلامة ـ وسلامة أُمُّهُ ـ وهو رجل من بني تميم بن مرة قيس: بئسَما قلت! أتشاهر الناسَ بشَتم قريش؟ فقال له: إني لم أُعْمِّ، إنما

(١) اللَّفاء: اللئيم الخسيس.
(٢) زينية: كلاب. والجراء: جمع الجرو: الكلب الصغير.
(٣) النائل الغمر: العطاء القليل.
(٤) المغوّر: العميق.

سَمّيت رجلاً واحداً، فأغلظ له عونٌ حتى انصرفَ عن ذلك الموضع، ثم أمر عَوْن ابن أخ له، فدعا أبا حُزابة فأطعمه وسَقاه، وخلط في شرابه شُبرُماً[1] فسلَّحَه، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه، فسلَح على بابهم وَفي طريقه، حتى بلغ أهلَه، ومرض أشهراً، ثم عُوفيَ، فركب فرساً له، ثم أتى المِرْبَد فإذا عونُ بن سلامة وَاقف، فصاح به فوقف، ولو لم يقفْ كان أخفّ لِهجَائه، فقال له أبو حُزابة: [الرجز]

يـا عَـوْنُ قِـفْ واسْتَـمِـعِ الـمَـلامَـهْ ... لا سَـلَّـمَ الـلَّـهُ عَـلَـى سَـلاَمَـهْ
زِنْـجِـيَّـةٍ تَـحْـسَـبُـهَـا نَـعَـامَـهْ ... شَـكَّـاءَ شَـانَ جِـسْـمَـهـا دَمَـامَـهْ[2]
ذَاتِ جِـرٍ كَـرِيـشَـتَـيْ حَـمَـامَـهْ ... بَـيـنـهـمـا بَـظْـرٌ كَـرَأْسِ الـهَـامَـهْ
أَعْـلَـمْـتُـهـا وعَـالِـمِ الـعَـلاَمَـهْ ... لَـو أَنَّ تَـحْـتَ بَـظْـرِهَـا صِـمَـامَـهْ
لَـدَفَـعَـتْ قُـدْمـاً بِـهَـا أَمَـامَـهْ

فكان النَّاسُ يصيحون به:

أَعْـلَـمْـتُـهـا وعَـالِـمِ الـعَـلاَمَـهْ

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدّثني عَمّي أبو فراس، عن الهيثم بن عديّ قال: كان عبد الله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقُتِل معها يومئذٍ، وعلى بني خلف نزلتْ عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصرِ بني خلف، وكان هوى طلحة الطلحات أمَوِيّاً، وكانت بنو أميّة مكرمين له. فأنشد أبو حُزابة يوماً طلحة: [الرجز]

يـا طَـلْـحَ يَـأْبَـى مَـجْـدُكَ الإِخْـلاَفَـا ... والـبُـخْـلَ لا يُـعْـتَـرَفُ اعْـتِـرَافَـا
إِنَّ لَـنَـا أَحْـمِـرَةً عِـجَـافَـا ... يَـأْكُـلْـنَ كُـلَّ لَـيْـلَـةٍ إِكَـافَـا[3]

فأمر له طلحة بإبل ودراهمَ، وقال له: هذه مكانُ أحمرتك.

[وقوفه بباب يزيد بن معاوية وإنشاده في ذلك]

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا الكُرانيّ قال: حَدَّثني العمريّ، عن لَقيط قال: قيل

(١) الشُبْرُم: الشراب المسهل.
(٢) شان: عاب. والدمامة: القبح.
(٣) العِجاف: جمع الأعجف والعجفاء: الضامرة المهزولة. والإكاف: البرذعة.

لأبي حُزابة: لو أتيتَ يزيدَ بن معاوية لَفرضَ لك، وشَرَّفكَ وألحقكَ بعِلْية أصحابه، فلست دونَهم. وكان أبو حُزابة يومئذٍ غلاماً حَدَثاً، وكان معاوية حَيّاً، ويزيدُ أميراً يومئذٍ، فلما أكثر قومُه عليه في ذلك وفي قولهم: إنك سَتشرُفُ بمصيرك إليه قال:

[الطويل]

يُشَرِّفُنِي سَيْفِي وقَلْبٌ مُجَانِبٌ ... لِكُلِّ لَئِيمٍ بَاخِلٍ ومُعَلْهَجِ[1]
وكَرِّي على الأبطالِ طِرْفاً كَأَنَّهُ ... ظَلِيمٌ وضَرْبِيَ فَوقَ رَأْسِ المُدَجَّجِ[2]
وقَوْلِي إذا ما النَّفْسُ جَاشَتْ وأَجْهَشَتْ ... مَخَافَةَ يَوْمٍ شَرُّهُ مُتَأَجِّجِ
عليكِ غِمَارَ المَوْتِ يا نَفْسُ إنَّنِي ... جَرِيءٌ على دَرْءِ الشّجاعِ المُهَجْهَجِ[3]

فلمّا أكثر عليه قومُه، وعَنَّفوه في تأخّره أتى يزيدَ بن معاوية، فأقام ببابه شهراً لا يصلُ إليه فرجع، وقال: واللّه لا يراني ما حملت عيناي الماءَ إلا أسيراً أو قتيلاً، وأنشأ يقول:

[الطويل]

فواللّهِ لا آتِي يَزِيدَ ولو حَوَتْ ... أَنَامِلُهُ ما بينَ شَرْقٍ إلى غَرْبِ
لأنَّ يَزِيداً غَيَّرَ اللّهُ ما بِهِ ... جَنُوحٌ إلى السُّوءَى مُصِرٌّ على الذَّنْبِ
فَقُلْ لِبَنِي حَرْبٍ تَقوا اللّه وَحْدَهُ ... ولا تُسْعِدُوه في البَطَالَةِ واللَّعبِ
ولا تَأْمَنُوا التَّغْيِيرَ إنْ دَامَ فِعْلُهُ ... ولم يَنْهَهُ عن ذَاكَ شَيْخُ بَنِي حَرْبِ
أَيَشْرَبُها صِرْفاً إذا اللَّيْلُ جَنَّهُ ... مُعَتَّقَةً كَالمِسْكِ تَخْتَالُ في العُلْبِ
ويَلْحَى عَلَيها شَارِبِيها وقَلْبُهُ ... يَهِيمُ بها إنْ غَابَ يوماً عَنِ الشَّرْبِ[4]

[يرهن سرجه ليبيت]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصر المهلبيّ قال: حدّثنا عمر بن شبَّة عن المدائني قال: لما خرج عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث على الحجَّاج، وكان معه أبو حُزابة فمرّوا بدَسْتَبى وبها مستراد[5] الصَّنَّاجَة، وكانت لا يبيت بها أحدٌ إلا بمائة درهم،

---

(١) المعلهج: الأحمق الغبي.
(٢) الطِّرف من الخيل: الكريم. والظليم: ذكر النعام.
(٣) المهجهج: الداهية.
(٤) يلحى: يلوم. والشَّرْب: جماعة الشاربين.
(٥) دَسْتَبَى: كورة كبيرة بين الريّ وهمدان (معجم البلدان ٢/ ٤٥٤). والمستراد: المكان الذي يرتاده اللاّهون.

قبات بها أبو حُزابة ورهن عندها سرجَه، فلما أصبحَ وقف لعبد الرحمٰن، فلمّا أقبل صاح به وقال: [الرجز]

أَمْرٌ عضالٌ نَابَنِي في العَجِّ كَأَنَّنِي مُطَالَبٌ بِخَرْجِ[1]
ومُسْتَرَادٌ ذَهَبَتْ بِالسَّرْجِ في فِتْنَةِ النَّاسِ وهذا الهَرْجِ

فعرف ابنُ الأشعث القصّة وضحك، وأمر بأن يُفْتَكَّ له سرجُه، ويُعطى معه ألفَ درهم، وبلغت القصّةُ الحجّاجُ فقال: أيجاهرُ في عسكره بالفجور فيضحك ولا ينكِرُ! ظفرتُ به إن شاء الله.

[هجوه عبد الله بن علي]

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكُرانيّ عن العُمريّ، عن العُتبيّ قال: مدح أبو حُزابة عبد الله بن علي العَبْشَميّ وهو على سِجستان فلم يُثِبْه فقال يهجوه:

[مجزوء الكامل]

هَبَّتْ تُعَاتِبُنِي أُمَا مَةُ في السَّمَاحَةِ والفِضَالِ
وأَبَيْتُ عِنْدَ عِتَابِهَا إلاَّ خَلاَئِقَ ذِي النَّوَالِ
أُعْطِي أَخِي وأَحُوطُهُ جُهْدي وأَبْذُلُ جُلَّ مَالِي
وأَقِيهِ عِنْدَ تَشَاجُرِ الأَبطا لِ بِالأَسَلِ النِّهَالِ[2]
حِفْظاً لَهُ ورِعَايَةً لِلخَالِياتِ مِنَ اللَّيَالِي
إذ نَحْنُ نَشْرَبُ قَهْوَةً دِرْيَاقَةً كَدَمِ الغَزَالِ[3]
حَمْراءَ يُذْهِبُ رِيحُهَا ما في الرُّؤوسِ مِنَ الخَبَالِ
وإذا تَشَعْشَعَ في الإنا ءِ رَمَتْ أَخَاهَا بِاغْتِيَالِ
وعَلا الحَبَابُ فَخِلْتُهُ عِقْداً يُنَظَّمُ مِنْ لآلِي
تَشْفِي السَّقِيمَ بِرِيحِها وَتُمِيتُهُ قَبْلَ الإجَالِ[4]
تِلْكَ الَّتي تَرَكَتْ فُؤا دَ أَبِي حُزَابَةَ في ضَلاَلِ
لا يَسْتَفِيقُ ولا يُفِيـ ـقُ نَزِيفُهَا في كُلِّ حَالِ

---

(١) العجّ: الضوضاء والصياح.
(٢) الأسَل: الرّماح. والنّهال: العِطاش.
(٣) القهوة: الخمر. والدرياقة: الخمر الشافية.
(٤) الإجال: جمع الأجل.

وإذا الـكُـمَـاةُ تَـنَـازَلُـوا ... ومَـشَـى الـرِّجَـالُ إلـى الـرِّجَـالِ
وبَـدَتْ كَـتَـائِـبُ تَـمْـتَـرِي ... مُـهَـجَ الـكَـتَـائِـبِ بِـالـعَـوالـي[١]
فَـأَبُـو حُـزَابَـةَ عِـنْـدَ ذا ... كَ أَخُـو الـكَـرِيـهَـةِ والـنِّـزَالِ
يَـمْـشِي الـهُـوَيْـنَـى مُـعْـلِـمـاً ... بِـالـسَّـيْـفِ مَـشْـيـاً غَـيْـرَ آلِ[٢]
كَـالـلَّـيْـثِ يَـتْـرُكُ قِـرْنَـهُ ... مُـتَـجَـدِّلاً بَـيْـنَ الـرِّمَـالِ
إِنِّـي نَـذِيـرُ بَـنِـي تَـمِـيـ ... ـمِ مِـنْ أَخِـي قِـيـلٍ وقَـالِ
مَـنْ لا يَـجُـودُ ولا يَـسُـو ... دُ ولا يُـجِـيـرُ مِـنَ الـهُـزَالِ
وَتَـراهُ حِـيـنَ يَـجِـيـئُـهُ الـسُّـؤَا ... لُ يُـولَـعُ بِـالـسُّـعَـالِ
مُـتَـشَـاغِـلاً مُـتَـنَـحْـنِـحـاً ... كَـالـكَـلْـبِ جَـمْـجَـمَ لِـلـعِـظَـالِ[٣]
فـارْفُـضْ قُـرَيْـشـاً كُـلَّـهـا ... مِـنْ أجـلِ ذِي الـدَّاءِ الـعُـضَـالِ

يعني عبد الله بن علي العَبشمِيَّ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدَّثني محمد بن الهيثم الشاميّ قال: حَدَّثني عَمّي أبو فِراس، عن العذريّ قال: دخل أبو حُزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج، وقد قَدِما سجستان لحرب عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث، وكان عبد الرحمٰن لما قدماها هرَب، ولم يبقَ بسجستان من أصحابه إلا سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها، فقال لهما أبو حزابة: إنّ الرجل قد هرب منكما، ولم يبق من أصحابه أحد، وإنما بسجستان من كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا له: ما لهم عندنا أمان، لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث، وخلعوا الطاعة، فقال: ما خلعوها، ولكنه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقة. فلم يُجِيباه إلى ما أراد، وعاد إلى قومه، وحاصرهم أهل الشام، فاستقتلت بنو تميم، فكانوا يخرجون في كل يوم إليهم، فيواقعونهم وَيكْبِسونهم باللّيل، وينهبون أطرافهم، حتى ضجروا بذلك، فلما رأى عمارة فِعلَهم صالحهم، وخرجوا إليه، فلما رأى قلّتهم قال: أما كنتم إلا ما أرى! قالوا: نعم، فإن شئتَ أن نُقِيلكَ[٤] الصُّلْحَ أقلناك وعُدنا للحرب، فقال: أنا غنيّ عن ذلك

(١) تمتري: تستخرج.
(٢) المُعْلِم: الذي جعل لنفسه علامة ليتحدّى مقاتليه.
(٣) العِظال: السِّفاد.
(٤) نقيلك: نعفيك منه.

وآمنهم فقال أبو حُزابة في ذلك: [الطويل]

لِلَّـهِ عَـيْـنَـا مَـنْ رَأى مِـنْ فَـوَارِسٍ أَكَرَّ عـلـى الـمَـكْـرُوهِ مـنـهـم وأَصْبَـرا
وَأَكْـرمَ لـو لاقَـوْا سَـوَاداً مُـقَـارِبـاً ولكن لَقُوا طَمّاً مِنَ البَحْرِ أَخْضَرا[1]
فـمـا بَـرِحـوا حَـتَّـى أَعَـضُّـوا سُـيُـوفَـهُـمْ ذُرَى الـهَـام منهـم والـحَـدِيـدَ الـمُـسَـمَّـرا
وحَـتَّـى حَـسِـبْـنَـاهُـمْ فَـوَارِسَ كَـهْـمَـسٍ حَيوا بعدمَا مَاتُوا مِنَ الدَّهْرِ أَعْصُرا[2]

صوت

[المتقارب]

إذا الـلَّـهُ لَـمْ يَـسْـقِ إلاَّ الـكِـرَامَ فَـسَـقَّـى وُجُـوهَ بَـنِـي حَـنْـبَـلِ
وسَـقَّـى دِيَـارَهُـمُ بَـاكِـراً مِـنَ الـغَـيْـثِ فـي الـزَّمَـنِ الـمُـمْـحِـلِ
تُـكَـفْـكِـفُـهُ بِـالـعَـشِـيِّ الـجَـنُـوبُ وتُـفْـرِغُـهُ هَـزَّةُ الـشَّـمْـأَلِ
كَـأَنَّ الـرَّبَـابَ دُوَيْـنَ الـسَّـحَـابِ نَـعَـامٌ تَـعَـلَّـقُ بِـالأَرْجُـلِ[3]

الشعر لزهير السكب التميميّ المازنيّ، والغناء لإبراهيم خفيف رَمل بالبِنصر عن الهشامي وحبش.

---

(١) الطمّ: الغمر.
(٢) كهمس: اسم رجل يعدّ من الأبطال.
(٣) الرّباب: السحاب الأبيض.

نسب زهير السَّكب وأخباره

[اسمه ونسبه وشعره في شوقه إلى عشيرته]

هو زُهير بن عُروة بن جُلْهُمة بن حَجر بن خُزاعيّ، شاعر جاهليٌّ، وإنما لُقِّبَ السَّكب ببيت قاله وقال فيه:

بَـرْقٌ يُـضِـيءُ خِـلالَ الـبَـيْـتِ أُسْـكـوبُ(١)

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال: حدّثنا أبو هِفَّان عن سَعِيد بن هُريم عن أبيه قال: كان زُهير بن عروة المازنيّ الملقَّب بالسَّكْب جاهليّاً، وكان من أشراف بني مازن وأشدّائهم وفُرسانهم وشُعرائهم، فغاضب قومه في شيء ذَمَّهُ منهم، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم، فلَحِقَه فيهم ضيم، وأرادَ الرُّجوعَ إلى عشيرته، فأبتْ نفسُه ذلك عليه، فقال يتشوق نَاساً منهم كانوا بني عمه دِنْية يقال لهم بَنُو حَنْبل: [المتقارب]

إذا الـلَّـه لَـمْ يَـسْـقِ إلاَّ الـكِـرَامَ ... فـسَـقَّـى وُجُـوهَ بـنـي حَـنْـبَـلِ
مُـلِـثّـاً أَحَـمَّ دَوَانِـي الـسَّـحَـابِ ... هَـزِيـمَ الـصَّـلاصِـلِ والأَزْمَـلِ(٢)
تُـكَـرْكِـرُهُ خَـضْـخَـضَـاتُ الـجَـنُـوبِ ... وتُـفْـرِغُـهُ هِـزَّةُ الـشَّـمْـألِ(٣)
كَـأَنَّ الـرَّبَـابَ دُوَيْـنَ الـسَّـحَـابِ ... نَـعَـامٌ تَـعَـلَّـقَ بِـالأَرْجُـلِ
فـنِـعْـمَ بَـنُـو الـعَـمِّ والأَقْـرَبُـونَ ... لَـدَى حُـطْـمَـةِ الـزَّمَـنِ الـمُـمْـحِـلِ
ونِـعْـمَ الـمُـواسُـونَ فـي الـنَّـائِـبَـا ... تِ لِـلـجَـارِ والـمُـعْـتَـفِـي الـمُـرْمِـلِ(٤)

(١) الأُسكوب: البرق الذي يمتدّ إلى جهة الأرض.
(٢) المُلِث: المطر الدائم. والأحم: الأسود. وهزيم الصلاصل: صوتها. والأزمل: الصوت المختلط.
(٣) تكركره: تجمعه. والخضخضات: التحرّكات.
(٤) المعتفي: الطالب والسائل. والمرمِل: الذي نفد زاده.

وَنِعْمَ الحُمَاةُ الكُفَاةُ العَظِيمَ ... إذا غَائِظُ الأمْرِ لم يُحْلَلِ
مَيَامِينُ صُبْرٌ لَدَى المُعْضِلاَتِ ... على مُوجِعِ الحَدَثِ المُعْضِلِ
مَبَاذِيلُ عَفْواً جَزِيلَ العَطَاءِ ... إذا فَضْلَةُ الزَّادِ لم تُبْذَلِ
هُمُ سَبَقُوا يَوْمَ جَرْيِ الكِرَام ... ذَوِي السَّبْقِ في الزَّمَنِ الأوَّلِ
وسَامَوْا إلى المَجْدِ أهْلَ الفَعَالِ ... فطَالُوا بِفِعْلِهِمُ الأطْوَلِ

أخبرنا هاشم بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمَعيّ، عن عَمّه قال: سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرَّباب فقال: أما تراه معلّقاً بالسحاب كالذيل له، أما سمعت قول صاحبِنا السَّكب: [المتقارب]

كَأنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ ... نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالأرْجُلِ

صوت [المتقارب]

سَلا عَنْ تَذَكُّرِهِ تُكْتَمَا ... وكَانَ رَهِيناً بِهَا مُغْرَمَا
وأقْصَرَ عَنْهَا وآثَارُهَا ... تُذَكِّرُهُ دَاءَهَا الأقْدَمَا

الشعر للنَّمِر بن تولب، والغناء لخزرج خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ.

أخبار النَّمِر بن تَوْلَب ونسبه

[توفي نحو ١٤ هـ/ نحو ٦٣٥ م]

[اسمه ونسبه وجوده]

هو النَّمِر بن تَوْلَب بن أُقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكل ـ واسم عكل عوف بن عبد مناف ـ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر مُقِلٌّ مخضرَم أدركَ الجاهلية، وأسلم فحَسُنَ إسلامه، ووفد إلى النبيّ ﷺ، وكتبَ له كتاباً، فكان في أيدي أهلِه، وَرَوى عنه ﷺ حديثاً سأذكره في موضعه، وكان النَّمِرُ أحدَ أجواد العرب المذكورين وفُرسانهم.

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرنا محمد بن حبيب قال: قال الأصمعيّ: كان أبو عمرو بن العلاء يُسَمِّي النمرَ بن تولب الكَيِّسَ لجَوْدة شعره وحُسْنه. أخبرنا محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدّثنا عبد الله بن محمد قال: أخبرنا محمد بن سلام الجُمَحيّ، وأخبرنا به أبو خليفة في كتابه إليّ، عن محمد بن سلاَّم قال: كان النمر بن تولب جواداً لا يُلِيقُ[1] شيئاً، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، وكان أبو عمرو بن العلاء يسمّيه الكَيِّس لِحُسْنِ شعره.

[وفوده على النبيّ ﷺ وكتاب النبي له]

أخبرني هاشمُ بن محمد أبو دُلَف الخزاعيّ قال: أخبرنا الرِّيَاشيّ قال: حدّثنا الأصمعي قال: حدّثنا قُرَّة بن خالد، عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير أخي مُطرِّف، وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ قال: حدّثنا محمد بن سلاّم قال: وفد النَّمِرُ بن

(١) لا يُليق شيئاً: لا يبقي شيئاً لجوده وسخائه.

تولَب على النبيّ ﷺ وكتب له كتاباً، أخبرناه قُرّة بن خالد السَّدوسيّ وسعيد بن إياس الجريريّ، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشّخّير أخي مُطرّف.

وأخبرني عَمّي عن القاسم عن محمد الأنباريّ عن أحمد بن عبيد، عن الأصمعيّ، عن قُرّة بن خالد، عن يزيد بن عبد الله أخي مُطرف ـ واللفظ قريبٌ بعضُه من بعض ـ قال: بينما نحنُ بهذا المِرْبَدِ جلوسٌ ـ يعني مِرْبدَ البصرة ـ إذ أتى علينا أعرابيّ أشعثُ الرأس، فوقفَ علينا، فقلنا: واللّه لَكأنَّ هذا الرجل ليس من أهلِ هذا البلد، قال: أجَلْ، وإذا معه قِطعة من جراب أو أدِيم، فقال: هذا كتاب كتبهُ لي رسول الله ﷺ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتابٌ من محمدٍ رسولِ الله لِبني زُهير**» ـ هكذا قال أحمدُ بنُ عبيد، وقال الباقون: لبني زُهَير بن أُقيش ـ حَيٍّ من عُكْل ـ «**إنّكُم إنْ شهدتم أن لا إلٰه إلاّ الله وأنّي رسول الله، وأقمتم الصَّلاةَ، وآتيتم الزكاةَ، وفارقتم المشركين وأعطيتم الخُمْس من الغنائم وسهم النبي والصَّفيّ**[1] **فأنتم آمنون بأمان الله وأمانِ رسوله**».

وقال أحمد بن عبيد الله في خبره خاصة: «**لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم**». وقالوا جميعاً في الخبر: فقال له القومُ: حدّثنا رَحِمَك اللّهُ، ما سَمِعتَ من رسول الله ﷺ، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**صَومُ شهر الصَّبْرِ، وصومُ ثلاثة أيّام من كل شَهر يُذهِبْنَ كثيراً من وَحَر**[2] **الصدر**». فقال له القوم: أأنتَ سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: أراكُم تخافون أن أكذبَ على رسول الله ﷺ، لا حَدَّثْتُكم حديثاً، ثم أهوَى إلى الصّحيفة، وانصاع[3] مُدبِراً. قال يزيد بن عبد الله: فقيل لي بعد ما مضى: هذا النَّمر بن تولب العُكليّ الشاعر.

[بعض أخباره]

أخبرني محمد بن خلَف قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن خلف قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال: خرج النَّمِرُ بنُ تولب بعدما كبر في إبله، فسأله سائل، فأعطاه فحلَ إبله، فلما رجعت الإبل إذا فَحْلُها ليس فيها، فهتفت به امرأتُه، وعذَلَتْه، وقالت: فهلاً غيرَ فحل إبلك؟ فقال لها:

---

(١) الصّفيّ: ما يختاره الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل القسمة.

(٢) الوَحَر: الحقد والغيظ.

(٣) انصاع: رجع.

[المتقارب]

دَعِـيـنِـي وأمْـرِي سَـأَكْـفِـيـكِـهِ   وكُـونِـي قَـعِـيـدَةَ بَـيْـتٍ ضُـبَـاعَـا
فـإِنَّـكِ لَـنْ تَـرْشُـدِي غَـاوِيـاً   ولـن تُـذْرِكِـي لـكِ حَـظّـاً مُـضَـاعَـا

وقال أيضاً في عذلها إياه: [المديد]

بَـكَـرَتْ بِـالـلَّـوْمِ تَـلْـحَـانَـا   فـي بَـعِـيـرٍ ضَـلَّ أو حَـانَـا[١]
عَـلِـقَـتْ لَـوّاً تُـكَـرِّرُهَـا   إنَّ لَـوّاً ذَاكَ أَعْـيَـانَـا

قال: وأدرك الإسلام فأسلم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمدُ بن زهير، قال: حدّثنا محمد بن سلام قال: كان للنَّمِر بن تولَب أخ يقال له الحارث بن تولَب، وكان سيّداً معظماً، فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأةً منهم، يقال لها جَمرة بنت نوفل، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففَرِكَتْهُ[٢]، فحبسها حتى استقرّتْ، وولدت له أولاداً، ثم قالت له في بعض أيَّامها: أَزِرني أهلِي فإني قد اشتقتُ إليهم، فقال لها: إني أَخَافُ إن صِرتِ إلى أهلك أن تَغْلِبيني على نفسك، فواثقته لَتَرْجعنَّ إليه. فخرج بها في الشهر الحرام، حتى أقدمَها بلادَ بني أسد، فلما أطلَّ على الحيّ تركَتْه واقفاً، وانصرفتْ إلى منزل بَعلِها الأول؛ فمكثت طويلاً، فلم ترجِعْ إليه، فعَرف ما صنعت وأنها اختدَعتْه فانصرف وقال: [الطويل]

جَـزَى الـلَّـهُ عَـنَّـا جَـمْـرَةَ ابْـنَـةَ نـوفَـلٍ   جَـزَاءَ مُـغِـلٍّ بِـالأَمَـانَـةِ كَـاذِبِ[٣]
لَـهَـانَ عَـلـيـهـا أَمْـسِ مَـوْقِـفُ رَاكِـبٍ   إلى جَانِبِ السَّرْحَاتِ أَخْيَبَ خَائِبِ[٤]
وقـد سَـأَلَـتْ عَـنِّـي الـوُشَـاةَ لِـيَـكْـذِبـوا   عَـلَـيَّ وَقـدْ أَبْـلَـيْـتُـهَـا فـي الـنَّـوَائِـبِ[٥]
وصَـدَّتْ كَـأَنَّ الـشَّـمْـسَ تَـحْـتَ قِـنَـاعِـهـا   بَـدا حَـاجِـبٌ مِـنْـهـا وضَـنَّـتْ بِـحَـاجِـبِ

وقال فيها أيضاً:

---

(١) حَانَ: هلك.
(٢) الفارك: هي المرأة المبغضة لزوجها.
(٣) المُغِلّ: الخائن.
(٤) السَّرحات: جمع السَّرْحة: شجرة طويلة الأغصان.
(٥) أبليتها: أحسنت إليها.

[المتقارب]

كُـلُّ خَـلِـيـلٍ عَـلَـيْـهِ الـرِّعَـا ... ثُ والـحُـبَـلاَتُ كَـذُوبٌ مَـلِـقْ[١]

ـ الحبَلات: واحدتها حبَلة، وهي جنس من الحلي قَدرُ ثَمر الطَّلْح ـ.

وقَـامَـتْ إِلَـيَّ فَـأَحْـلَـفْـتُـهَـا ... بِـهَـدْيٍ قَـلاَئِـدُهُ تَـخْـتَـفِـقْ

بِـأَنْ لا أَخُـونَـكَ فِـيـمَـا عَـلِـمْـتَ ... فَـإِنَّ الـخِـيَـانَـةَ شَـرُّ الـخُـلُـقْ

وقال فيها أشعاراً كثيرة يطولُ ذكرُها.

أخبرني اليزيديُّ، عن محمد بن حبيب قال: كان أبو عمرو يُشَبِّهُ شِعْر النمر بشعرِ حاتم الطائيّ.

أخبرني الحُسين بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا مُصعَب بن عبد الله الزبيريّ قال: بلغني أن صالحَ بن حسان قال يوماً لجلسائه: أيُّ الشعراء أفتَى؟ قالوا: عمر بن أبي ربيعة، وقالوا: جميل، وأكثروا القول، فقال: أفتاهم النمر بن تولَب حين يقول: [الطويل]

أَهِـيـمُ بِـدَعْـدٍ مـا حَـيِـيـتُ وإنْ أَمُـتْ ... فَوَا حَزنَـا مَنْ ذَا يَـهِـيـمُ بـهـا بَـعْـدِي

أخبرني الحسن قال: حدّثنا أحمد بن زُهير، عن محمد بن سلام قال: حَجَّ النمر بن تولب بعد هرب جمرةَ منه فنزل بِمنًى، ونزلت جمرةُ مع زوجها قريباً منه، فعرفته فبعثت إليه بالسلام، وسألته عن خبره، ووصَّته خيراً بولده منها فقال: [الطويل]

فَحُيِّيتِ عَنْ شَحْطٍ بِخَيْرِ حَدِيثِنا ... ولا يَـأْمَـنُ الأَيَّـامَ إلاَّ الـمُـضَـلَّـلُ

يَـوَدُّ الـفَـتَـى طُولَ الـسَّـلامَـةِ والـغِـنَـى ... فكـيـفَ يَرَى طُولَ الـسَّـلاَمَـةِ يَفْـعَـلُ!

أخبرني ابنُ المرزُبان قال: حدّثنا أبو محمد اليزيديّ، عن الأصمعيّ. وأخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال: لمّا وفد النمر بن تولب على النبيﷺ أنشده: [الرجز]

يـا قَـومِ إِنِّـي رَجُـلٌ عِـنْـدِيَ خَـبَـرْ ... لِـلَّـهِ مِـنْ آيَـاتِـهِ هـذا الـقَـمَـرْ

والـشَّـمْـسُ والـشِّـعْـرى وآيَـاتٌ أُخَـرْ ... مَنْ يَتَسامَ بِـالـهُـدَى فالـخُـبْـثُ شَرّ[٢]

(١) الرِّعاث: جمع الرَّعَث: القرط. والمَلِق: الكاذب.

(٢) الشِّعْرى: كوكب نَيِّر يظهر في شدة الحرّ.

إنَّـا أَتَـيْـنَـاكَ وقـد طَـالَ الـسَّـفَـرْ نَـقُـودُ خَـيْـلاً رُجُـعـاً فـيـهـا ضَـرَرْ[١]
نُـطـعِـمُـهـا الـلَّـحْـمَ إذا عَـزَّ الـشَّـجَـرْ

قال اليزيديّ، عن ابن حبيب خاصة، قال الأصمعيّ: أُطعمها اللّحم: أسقيها اللّبن، والعرب تقول: اللّبن أحد اللّحْمَيْن. وقال ابن حبيب: قال ابن الأعرابي: كانت العرب إذا لم تجد العَلَف دَقَّتِ اللَّحمَ اليابسَ، فأطعَمَتْه الخيل.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش. وأخبرنا ابنُ المرزُبان قال: أخبرني عيسى بنُ يونس قال: حدّثني محمد بن الفضل قال: حدّثنا الهيثمُ بن عديّ، عن ابن عبَّاس قال: لَمَّا فارق النمر بن تولب امرأتَه الأسديّة جزع عليها، حتى خِيفَ على عَقلِه ومكثَ أيَّاماً لا يَطعمُ ولا ينام، فلمَّا رأت عشيرَتُه منه ذلك، أقبلوا عليه يلومونَه ويُعَيِّرونه، وقالوا: إن في نساء العرب مندوحةً ومُتَّسعاً، وذكروا له امرأة من فَخذه الأدنين يقال لها دَعْد، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح، فتزوَّجها ووقعت من قلبه، وشغلته عن ذكر جَمْرةَ وفيها يقول:

أَهِـيـمُ بِـدَعْـدٍ مـا حَـيِـيـتُ فـإنْ أَمُـتْ أُوَكِّـلْ بِـدَعْـدٍ مَـنْ يَـهِـيـمُ بـهـا بَـعـدِي

والناسُ يروون هذا البيتَ لِنُصيب وهو خطأ.

أخبرني اليزيديّ عن عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي، عن عمّه. وأخبرني إبراهيم بن محمد الصائغ، عن ابن قتيبة، عن عبد الرحمٰن، عن عمه، عن حماد بن ربيعة أنه قال: أظرفُ النّاسِ النَّمر بن تولَب حيث يقولُ: [الطويل]

أَهِـيـمُ بِـدَعْـدٍ مـا حَـيِـيـتُ فَـإنْ أَمُـتْ أُوَكِّـلْ بِـدَعْـدٍ مَـنْ يَـهِـيـمُ بـهـا بَـعْـدِي

أخبرني ابن المرزُبان قال: أخبرني عبد الله بن محمد قال: أخبرني محمدُ بنُ سلاّم قال: لمّا بلغ النَّمرَ بنَ تولَب أن امرأته جَمرة تُوفِّيَتْ، نعاها له رجلٌ من قومه يقال له جِزام أو حَرام، فقال: [الوافر]

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ جَـمْـرَةَ جَـاءَ مِـنْـهَـا بَـيَـانُ الـحَـقِّ إنْ صَـدَقَ الـكَـلاَمُ
نَـعَـاهَـا بِـالـنَّـدِيِّ لَـنَـا جِـزَامٌ حَـدِيـثٌ مـا تُـحَـدِّثُ يـا حَـرَامُ[٢]

---

(١) الرُّجُع: جمع الرَّجيع: الجواد المهزول.

(٢) النَّدِيّ: مجلس القوم ومجتمعهم.

فَلا تَبْعَدْ وقد بَعِدَتْ وأَجْرَى عَلى جَدَثٍ تَضَمَّنَها الغَمَامُ

قال الأصمعي: يقال بَعِد وأَبْعدَ

أخبرني أبو الحَسَن الأسديّ قال: حدّثنا الرياشيّ، عن الأصمعيّ، عن أبي عمرو وأخبرني به هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال: حدّثنا أبو غسَّان دَماذ، عن أبي عبيدة، عن أبي عمرو قال: أدركَ النَّمرُ بن تولب النبيَّ ﷺ، فأسلم وحَسن إسلامه، وعُمِّرَ فطال عمره، وكان جواداً واسعَ القِرى كثيرَ الأضياف وَهَّاباً لمالِه، فلمّا كَبِرَ خرِف وَأُهتِرَ[1]، فكان هِجِّيرَاهُ[2]: اصبَحوا الرَّاكبَ، اغبقوا[3] الرَّاكب، اقرُوا، انحروا للضيف، أعطوا السَّائلَ، تحمّلوا لهذا في حِمَالته كذا وكذا ـ لعادته بذلك ـ فلم يَزَلْ يَهذِي بهذا وشبهه مدّة خَرَفه حتى ماتَ.

قال: وخَرِفَت امرأةٌ مَنْ حَيٍّ كرام عظيم خطرُهم وخطرُها فيهم، فكان هِجِّيراها: زَوِّجوني، قولوا لِزَوْجي يدخل، مَهِّدوا لي إلى جانِب زوجي، فقال عمرُ بن الخطاب، وَقد بلغه خبرُها: ما لَهِجَ به أخو عُكل النمِر بن تولب في خَرَفه أفخرُ وأَسْرَى وَأجملُ مما لَهِجَتْ به صاحبتُكم. ثم تَرَحَّمَ عليه.

[رثاؤه لأخيه الحارث]

أخبرني ابن المرزُبان قال: حدّثني أبو بكر العامريُّ، قال: حَدَّثني علي بنُ المغيرة الأثرم، عن أبي عبيدة قال: مات الحارث بن تولَب، فرثاه النمر فقال:

[الطويل]

لا زَالَ صَوْبٌ مِنْ رَبِيعٍ وصَيِّفٍ يَجُودُ على حُسْنِ الغَمِيمِ فَيثرِبِ[4]

فوالـلَّهِ ما أَسْقِي البِلاَدَ لِحُبِّها ولَكِنَّمَا أَسْقِيكَ حَارِ بن تَوْلَبِ

تَضَمَّنْتَ أَدْوَاءَ العَشِيرَةِ بَيْنَها وأَنْتَ على أَعْوَادِ نَعْشٍ مُقَلَّبِ

---

(١) أُهتِر: فقد عقله من الكبر.

(٢) هجيراه: ما يولَع بذكره والهِجّير: الدّأب والعادة.

(٣) اصبحوا الراكب: قدِّموا له الصبوح، وهو شراب الصباح. واغبقوه: قدِّموا له الغبوق، وهو شراب المساء.

(٤) الصَّوْب: المطر. والصَّيِّف: المطر الصيفيّ. والغميم: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٤/ ٢١٤).

كـأنَّ امْـرأً فـي الـنَّـاسِ كُـنْـتَ ابْـنَ أُمِّـهِ على فَلَجٍ من بَطْنِ دِجْلَةَ مُطنبِ[1]

قال حمّاد الراوية: كان النمرُ بنُ تولب كثيرَ البيت السائر والبيتِ المتمثّل به، فمن ذلك قوله: [الكامل]

لا تَـغْـضَـبَـنَّ عـلـى امْـرِئٍ فـي مَـالِـهِ وعلى كَرَائِمِ صُلْبِ مَالِكَ فَاغْضَبِ
وإذا تُـصِـبْـكَ خَـصـاصـةٌ فَـارْجُ الـغِـنَـى وإلى الَّذي يُعْطِي الرَّغَائِبَ فارْغَبِ[2]

وقوله: [المتقارب]

تَـلَـبَّـسْ لِـدَهْـرِكَ أثْـوَابَـهُ فَـلَـنْ يَـبْـتَـنِـي الـنَّـاسُ مَـا هُـدِّمَـا
وأحْـبِـبْ حَـبِـيـبَـكَ حُـبّـاً رُوَيـداً فـلـيـسَ يَـعُـولُـكَ أنْ تَـصْـرِمـا
وَأبْـغِـضْ بَـغِـيـضَـكَ بُـغْـضـاً رُوَيـداً إذا أنْـتَ حَـاوَلْـتَ أنْ تَـحْـكُـمَـا

وقوله: [الطويل]

أعَـاذِلُ إنْ يُـصْـبِـحْ صَـدَايَ بِـقَـفْـرَةٍ بَـعِـيـدٍ فَـأنَّـى نَـاصِـرِي وقَـرِيـبِـي
تَـرَيْ أنَّ مَـا أبْـقَـيْـتُ لـم أكُ رَبَّـهُ وأنَّ الَّـذي أفـنـيـتُ كَـانَ نَـصِـيـبِـي

[تحمُّله الدِّية عن صديقه]

نسخت من كتاب بخط السكري أبي سَعيد: قال محمدُ بن حبيب: كان للنَّمِرِ بن تولَب صديقٌ فأتاه النمرُ في ناسٍ من قومه يسألونه في ديةٍ احتملوها، فلمَّا رآهم وسألوه تبسَّم، فقال النمر: [الوافر]

تَـبَـسَّـمَ ضَـاحِـكـاً لَـمَّـا رَآنـي وأصْـحَـابِـي لَـدَيَّ عَـنِ الـتَّـمَـامِ

فقال له الرجل: إنَّ لي نفساً تأمرني أن أُعطيكم، ونفساً تأمرني ألا أفعل، فقال النمر: [البسيط]

أمَّـا خَـلِـيـلِـي فَـإنّـي غَـيْـرُ مُـعْـجِـلِـهِ حَتَّى يُؤَامِرَ نَفْسَيْهِ كَمَا زَعَما
نَـفْـسٌ لـه مـن نُـفُـوسِ الـنَّـاسِ صَـالِـحَـةٌ تُعْطِي الجَزِيلَ ونَفْسٌ ترضعُ الغَنَما

ثم قال النَّمرُ لأصحابه: لا تسألوا أحداً، فالدِّيَةُ كلُّها عَلَيَّ.

(١) الفلج: النهر الصغير.

(٢) الخَصاصة: الفقر والحاجة.

[سيفٌ علاه الصَّدَأ]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا الحسنُ بنُ محمد بن عبد الله بن حسن بن عليّ قال: جاء أعرابي إلى أبي، وهو مستتر بسُوَيقة[١] قبل مخرجه، ومعه سيف قد علاه الصَّدأ، فقال: يابن رسول الله، إني كنت ببطن قُدَيد[٢]، أرعَى إبلي وفيها فحلٌ قَطِمٌ[٣]، قد كنتُ ضربتُه، فحقِدَ عليَّ وأنا لا أدري، فخلا بي فشدَّ عليّ يريدُني، وأنا أُحْضِرُ، ودنا مني حتى إن لعابَهُ ليسقطُ على رأسي لقربه مني. فأنا أشتدُّ، وأنا أنظر إلى الأرض لَعَلّي أرى شيئاً أذُبُّه[٤] عنّي به، إذ وقعتْ عيني على هذا السيف قد فَحَص[٥] عنه السّيل فظننته عوداً بالياً، فضربتُ بيدي إليه، فأخذته فإذا سيفٌ، فذَبَبْتُ به البعيرَ عني ذبّاً، والله ما أردتُ بهِ الذي بلغتُ منه، فأصبتُ خيشومَه فرميت بفَقْمِه[٦]، فعلمتُ أنه سيف جيد، وظَننتُه من سيوف القوم الذين كانوا قُتِلوا في وقعة قُديد، وها هو ذا قد أهديتُه لك يابن رسولِ الله. قال: فأخذه منه أبي، وسُرَّ به. وجلس الأعرابيّ يُحادثه، فبينا هو كذلك إذ أقبلت غنمٌ لأبي ثلاثمائة شاةٍ فيها رِعاؤها، فقال له أبي: يا أعرابيُّ هذه الغنم والرُّعاة لك مكافأةً لك عن هذا السيف، قال: ثم أرسل به إلى المدينة، أو أرسل إلى قَيْنٍ[٧] فأُتِيَ به من المدينة، فأمر به فحُلِّيَ، فخرجَ أكرَم سيوفِ الناس، فأمر فاتُّخِذَ له جفنٌ، ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد. فلمّا كان اليوم الذي قُتِلَ فيه، قاتل بغير ذلك السيف، قال: وبقِيَ ذلك السيف عند أختي فاطمة بنت محمد. فزرتها يوماً وهي بينبُع[٨] في جماعة من أهل بيتي، وكانت عند ابن عمّها الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسَن عليهم أجمعين السلامُ، فخرجتْ إلينا، وكانت بَرْزة تجلسُ لأهلها كما يجلس الرجال وتُحَدِّثهم، فجلست تحدثُنا، وأمرت مولىً لها، فنحرَ لنا جزوراً

(١) سويقة: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٣/٢٨٦).
(٢) قُدَيد: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٣/٣١٣).
(٣) القَطِم: الذي يأخذ النبت بمقدّم فمه قبل أن يأكله.
(٤) أذُبُّه به: أدفعه.
(٥) فحصَ: كشف.
(٦) الفقم: طرف الخطم.
(٧) القين: الحدّاد.
(٨) ينبع: قرية بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٥/٤٥٠).

لِيُهيء لنا طعاماً. فنظرت إليها، والجزورُ في النخل باركة، وقد بردت وهي تُسلَخ، فقالت: إنّي لا أرى في هذه الجزور مَضْرِباً حسَناً. ثم دعتْ بالسيْف وقالت: يا حسن ـ فَدَتْكَ أُختُكَ ـ هذا سيف أبيك، فخذه واجْمَع يديك في قائمه، ثم اضرب به أثناءَها من خلفها ـ تريدُ عراقيبها ـ وقد أثبتُّها لِلبُروك، وهي أربعة أعظم، قال: فأخذتُ السيفَ ثم مضيتُ نحوها، فضربت عراقيبها فقطعتها ـ والله ـ أربَعتَها، وسبقني السيف، فدخل في الأرض، فأشفقتُ عليه أن ينكسِر إن اجتذبته فحفرتُ عنهُ، حتى استخرجتُه، قال: فذكرتُ حينئذٍ قولَ النمر بن تولب: [البسيط]

أَبْقَى الحَوَادِثُ والأَيَّامُ مِنْ نَمِرٍ ... أَسْبَادَ سَيْفٍ كَرِيمٍ أَثْرهُ بَادِي[1]

تَظَلُّ تَحْفُرُ عَنْهُ الأَرْضَ مُنْدَفِعاً ... بعدَ الذِّرَاعَيْنِ والقَيْدَيْنِ والهَادِي[2]

ويروى:

تَظَلُّ تحفرُ عنه إنْ ظَفِرْتَ به

[بعض أشعاره]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: أخبرني أحمد بن معاوية الباهليّ، عن أبي عُبيدة قال: قيل للنِمر بن تولَب: كيف أصبحْت يا أبا ربيعة؟ فأنشأ يقولُ: [الرجز]

أصبحتُ لا يَحْمِلُ بَعْضي بَعْضا ... أَشْكُو العُروقَ الآبِضَاتِ أَبضَا[3]

كما تَشَكَّى الأَرْحَبِيُّ الغَرْضَا ... كَأَنَّمَا كَانَ شَبَابِي قَرْضَا[4]

أخبرني هاشِم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ، قال: حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: أنشدني حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدِّه: [الوافر]

أَعِذْني رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وعِيٍّ ... ومِنْ نَفْسٍ أُعَالِجُها عِلاجَا[5]

ومِنْ حَاجَاتِ نَفْسٍ فَاعْصِمَنِّي ... فَإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا

---

(١) أسباد السيف: ما تبقّى منه.

(٢) الهادي: العنق.

(٣) الآبضات: الشاذّات.

(٤) الأرحبيّ: الفحل الكريم المنسوب إلى أرحب. والغَرْض: حزام الرَّحْل.

(٥) الحَصَر: عدم القدرة على الكلام.

فـأنـتَ وَلِـيُّـهـا وبَـرِئْـتُ مِـنـهـا إليكَ فَمَا قَضَيْتُ فلا خِلاَجَا[١]

ثم قال: كان النمر أفتى خَلْقِ الله، فقلت: وما كانت فتوّته؟ قال: أوليس فتىً من يقول:

أهيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فَإنْ أمُتْ فَوَا حَزَنا مَنْ ذَا يَهِيمُ بها بَعْدِي؟

صوت

[الطويل]

أيا صَاحِبَيْ رَحْلِي دَنَا المَوْتُ فَانْزِلا بِرَابِيَةٍ إنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا
وخُطَّا بِأطْرَافِ الأسِنَّةِ مَضْجَعي ورُدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدَائِيَا
ولا تَحْسِدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُما مِنَ الأرضِ ذاتِ العَرْضِ أَنْ تُوسِعَا ليا
لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانَ هَامَتِي لقد كُنْتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ نَائِيا
فيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِجَنْبِ الغَضَا أُزْجِي القِلاَصَ النَّوَاجِيا[٢]

الشعر لمالك بن الريب، والغناءُ لمعبد مما لا يشكُّ فيه من غنائه، خفيف ثقيل أول بالوُسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية عليّ بن يحيى، وفيه لابن سُرَيج هَزَج بالخِنصر في مجرى البنصر عن ابن المكيّ، وفيه لإبراهيم رَمل بالوسطى عن عبد الله بن موسى في الأول والثالث من الأبيات، ولإبراهيم ثقيل أول في الخامس ثم الرابع عن الهشاميّ، وقيل: إن الرَّمَل المنسوب إليه لنبيه.

(١) الخلاج: الشكّ.

(٢) أُزجي القلاص: أدفعها. والنواجي: جمع الناجية: السريعة.

أخبار مالك بن الرّيب ونسبه

[توفي نحو ٦٠ هـ/ نحو ١٨٠ م]

[اسمه ونسبه ولصوصيته]

هو مالك بن الرّيب بن حَوط بن قُرط بن حِسْل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. وكان شاعراً فاتكاً لصّاً، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة، من شُعراء الإسلام في أوّل أيّام بني أُميّة.

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: أخبرنا أبو سعيد السكَّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وعن هشام بن الكلبي وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصّاص وَحمّاد الراوية وكلُّهم قد حكى من خبره نحواً مما حكاه الآخرون قالوا: استعمل معاوية بن أبي سُفيان سعيدَ بنَ عثمان بن عفان عَلَى خراسان، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس، فلقيَه بها مالك بن الرّيب المازنيّ، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم ثياباً فلمّا رآه سعيد أعجبه، وقال له: ما لكَ، ويحَك تُفسد نفسَك بقطع الطريق! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العَبث والفساد، وفيك هذا الفضل! قال: يدعوني إليه العَجْز عن المعالي، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيتُكَ واستصحبتك، أتكفُّ عما كنتَ تفعل؟ قال: إي والله أيُّها الأمير، أكُفُ كفّاً لم يكفَّ أحدٌ أحسنَ منهُ، قال: فاستصحبه، وأجرى له خَمسمائة دِرهم في كل شهر.

قالوا: وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحابٌ له، منهم شِظاظ ـ وهو مولى لبني تميم، وكان أخبثهم ـ وأبو حرْدَبَة، أحد بني أُثالة بن مازن، وَغويث، أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة، وفيهم يقول الراجز:

[الرجز]

اللَّـهُ نَجَّاكَ مِنَ القَصِيمِ وَبَطْنِ فَلْجٍ وبَنِي تَمِيمِ[١]
ومِنْ بَنِي حَرْدَبَةَ الأَثِيمِ ومَالِكٍ وسَيْفِهِ المَسْمُومِ
ومِنْ شِظَاظِ الأَحْمَرِ الزَّنِيمِ وَمِنْ غُوَيْثٍ فَاتِحِ العُكُومِ[٢]

فساموا الناسَ شرّاً، وطلبهم مروانُ بن الحكم، وهو عامل على المدينة، فهرَبوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحيّ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم، فهربوا منه.

[توعّد الحارث بن حاطب]

[الوافر]

وبلغ مالكَ بنَ الريب أن الحارث بن حاطب يتوعده فقال:

تَأَلَّى حِلْفَةً في غَيْرِ جُرْمٍ أَمِيرِي حَارِثٌ شِبْهُ الصِّرارِ[٣]
عَلَيَّ لأَجْلِدَنْ في غَيْرِ جُرْمٍ ولا أُدْنَى فيَنْفَعُنِي اعْتِذَارِي
وقُلْتُ وقَدْ ضَمَمْتُ إِلَيَّ جَأْشِي تَحَلَّلْ لا تَأَلَّ عَلَيَّ حَارِ
فَإِنِّي سَوفَ يَكْفِينِيكَ عَزْمِي ونَصُّ العِيسِ بِالبَلَدِ القِفَارِ[٤]
وعَنْسٌ ذاتُ مَعْجَمَةٍ أَمُونٌ عَلَنْدَاةٌ، مُوثَّقَةُ الفَقَارِ[٥]
تَزِيفُ إذا تَوَاهَقَتِ المَطَايا كما زافَ المُشَرَّفُ لِلخِطَارِ[٦]
وإِنْ ضَرَبَتْ بِلَحْيَيْها وعَامَتْ تفَصَّمَ عنهما حَلَقُ السِّفَارِ[٧]
مِرَاحاً غَيْرَ ما ضِغْنٍ ولَكِنْ لَجَاجاً حِينَ تُشْتَبَهُ الصَّحَارِي
إذا ما اسْتَقْبَلَتْ جَوْناً بَهِيماً تَفَرَّجُ عن مُخَيَّسَةٍ حِضَارِ[٨]

---

(١) القصيم: موضع يشقه طريق بطن فلج (معجم البلدان ٤/٣٦٧).
(٢) الزّنيم: الملحق بقوم وليس منهم. والعكوم، جمع العكم: الحمل والمتاع.
(٣) تألّى: حلف. والصِّرار: ما يُشدّ فوق ضرع الناقة من خيط.
(٤) النّص: ضرب من العدو السريع.
(٥) المَعْجَمة: الشدة عند المختبر. والأمون: المتينة الخلق التي لا تعرف الكلل. والعلنداة: الناقة الضخمة الطويلة.
(٦) تزيف: تسير مسرعة وتتمايل. وتواهقت: تبارت. الخِطار: الرهان والسّباق.
(٧) السّفار: حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير.
(٨) المخيسة: المنقادة. وحِضار: أي محضِرة وهي التي تعدو شديداً.

إذا مَـا حَـالَ روضُ رُبَـابِ دونـي ... وَتَـثْلِيثٌ فشَأْنُكَ بِالبَكَارِي[(١)]
وأَنْيَابٌ سَيُخْلِفُهُنَّ سَيْفِي ... وشَدَّاتُ الكَمِيِّ عَلَى التِّجَارِ[(٢)]
فإنْ أَسْطَعْ أَرِحْ منه أُنَاسِي ... بِضَرْبَةِ فَاتِكٍ غَيْرِ اعْتِذَارِ
وإن يُفْلِتْ فَإِنِّي سَوْفَ أَبْغِي ... بَنِيهِ بِالمَدِينَةِ أو صِرَارِ[(٣)]
أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ مَرْوَانَ عَنِّي ... فَإِنِّي لَيْسَ دَهْرِي بِالفِرَارِ
ولا جَزِعٌ مِنَ الحَدَثَانِ يَوْماً ... ولَكِنِّي أُرودُ لَكُمْ وبَارِ

ـ وبار: أرض لم يطأ أحد ثراها ـ

بِهِزْمَارٍ تُرَادُ العِيسُ فِيهَا ... إذا أَشْفَقْنَ مِنْ قَلَقِ الصِّفَارِ[(٤)]
وهُنَّ يَحُشْنَ بِالأَعْنَاقِ حَوْشاً ... كَأَنَّ عِظَامَهُنَّ قِدَاحُ بَارِ[(٥)]
كَأَنَّ الرَّحْلَ أَسْأَرَ مِنْ قَرَاهَا ... هِلالَ عَشِيَّةٍ بَعْدَ السِّرَارِ[(٦)]
رَأَيْتُ وقَدْ أَتَى بُحْرَانُ دُونِي ... لِلَيْلَى بِالغُمَيِّمِ ضَوءَ نَارِ
إذا ما قُلْتُ: قد خَمَدَتْ زَهَاهَا ... عُصِيُّ الرَّنْدِ والعُصْفُ السَّوَارِي[(٧)]
يُشَبُّ وقودُها ويَلُوحُ وَهْناً ... كَمَا لاحَ الشُّبُوبُ مِنَ الصِّوارِ[(٨)]
كَأَنَّ النَّارَ إذْ شُبَّتْ لِلَيْلَى ... أَضَاءَتْ جِيدَ مُغْزِلَةٍ نَوَارِ[(٩)]
وتَصْطَادُ القُلوبَ على مَطَاهَا ... بِلا جَعْدِ القُرونِ ولا قِصَارِ
وتَبْسُمُ عَنْ نَقِيِّ اللَّوْنِ عَذْبٍ ... كَمَا شِيفَ الأَقَاحِي بالقِطَارِ[(١٠)]
أَتَجْزَعُ أَنْ عَرَفْتَ بِبَطْنِ قَوٍّ ... وصَحْرَاءِ الأُدَيْهِمِ رَسْمَ دَارِ
وإنْ حَلَّ الخَلِيطُ ولَسْتَ فيهم ... مَرَابِعَ بينَ دَحْلَ إلى سَرَارِ[(١١)]

---

(١) رباب: أرض بين ديار بني عامر وبالحارث بن كعب (معجم البلدان ٣/ ٢٣). وتثليث: موضع بالحجاز قرب مكة (معجم البلدان ٢/ ١٥).
(٢) الأنياب: جمع ناب: الناقة المسنّة.
(٣) صِرَار: ماء قرب المدينة، أو هو أطم لبني عبد الأشهل (معجم البلدان ٣: ٣٩٨).
(٤) هزمار: اسم موضع. والصِّفار: ما يبقى في أسنان الدابّة من التبن وغيره.
(٥) يحشنَ: يرمينَ.
(٦) أسأر: أبقى. والقرا: الظهر.
(٧) الرَّند: شجر طيّب الرائحة يستخدم في البخور. والعصف: جمع عصوف: الريح الشديدة.
(٨) الشبوب: الفتيّ من البقر. والصوار: القطيع من البقر.
(٩) المغزلة: ذات غزال. والنوار: النَّفور.
(١٠) شيف: جُليَ.
(١١) مرابع: موضع قريب من حزن بني يربوع ودحل: موضع قريب من مرابع (معجم البلدان ٢/ ٤٤٤). وسرار: اسم وادٍ (معجم البلدان ٣/ ٢٠٣).

إذا حَلُّوا بِعَائِجَةٍ خَلاءٍ يُقَطِّفُ نَوْرَ حَنْوَتِها العَذَارِي[١]

فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه، وأخذ أبا حردبة، فبعث بأبي حردبة، وتخلّف الأنصاري مع القوم الذين كان مالكٌ فيهم، وَأمر غلاماً له، فجعلَ يسوق مالكاً. فتغفّلَ مالكٌ غلام الأنصاري، وعليه السيف فانتزعه منه وقتله به، وشدَّ على الأنصاريّ، فضربه بالسيفِ حتَّى قتله، وجعل يقتل من كان معه يميناً وشمالاً. ثم لحق بأبي حردبة فتخلّصه، وركِبا إبلَ الأنصاري، وخرجا فراراً من ذلك هاربين، حتى أتيا البحرين، واجتمعَ إليهما أصحابُهما، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالكٌ، فلم يزل بفارس، حتى قَدِم عليه سعيد بن عثمان، فاستصحبه.

فقال مالك في مهربه ذلك: [الطويل]

أَحَقّاً على السُّلْطانِ أَمَّا الَّذي لَهُ فَيُعْطِي وأَمَّا ما يُرَادُ فَيُمْنَعُ
إذا ما جَعَلْتُ الرَّمْلَ بيني وبينَهُ وأعْرَضَ سَهْبٌ بينَ يَبْرِين بَلْقَعُ[٢]
مِنَ الأَدَمَى لايستجمُّ بها القَطَا تَكِلُّ الرِّيَاحُ دُونَهُ فَتَقَطَّعُ
فَشَأْنُكُمُ يَا آلَ مَرْوَانَ فاطْلُبُوا سِقَاطِي فما فيه لِبَاغِيهِ مَطْمَعُ
وَما أَنَا كَالعَيْرِ المُقِيمِ لأَهْلِهِ على القَيْدِ في بُحْبُوحَةِ الضَّيْمِ يَرْتَعُ
ولولا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ كَانَ مِنْكُمُ تَبَيَّنَ مَنْ بِالنِّصْفِ يَرْضَى وَيَقْنَعُ[٣]

وقال أيضاً: [البسيط]

لو كُنْتُمُ تُنْكِرُونَ العُذْرَ قُلْتُ لَكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ جَارِي مِنْكُمُ الحَكَمُ
وَأَتَّقِكُم يَمِينُ اللَّهِ ضَاحِيَةً عِنْدَ الشُّهودِ وَقدْ تُوفِي به الذِّمَمُ[٤]
لا كُنْتُ أُحدثُ سُوءاً في إِمَارَتِكُمْ ولا الَّذي فاتَ مِنّي قبلُ يَنْتَقِمُ
نحنُ الَّذِينَ إذا خِفْتُمْ مُجَلِّلَةً قلتمْ لَنَا: إنَّنا مِنْكُمْ لِتَعتصِمُوا[٥]
حتّى إذا انْفَرَجَتْ عنكم دُجُنَّتُها صِرْتُمْ كَجَرْمٍ فلا إِلٌّ وَلا رَحِمُ[٦]

---

(١) الحَنْوَة: نبت طيّب الرائحة.
(٢) يبرين: قرية كثيرة النخل والعيون (معجم البلدان ٥/ ٤٢٧). وبلقع: جرداء.
(٣) النّصف: الإنصاف والعدل.
(٤) ضاحية: بادية.
(٥) مُجَلّلة: نازلة عامّة شاملة.
(٦) الإلّ: العهد والميثاق.

وَقال مالكٌ حين قَتل غلام الأنصاريّ الذي كان يقودُه: [الطويل]

غُلامٌ يقولُ السَّيفُ يُثْقِلُ عاتِقي ... إذا قادَني وَسْطَ الرِّجالِ المُجَحْدِلُ(١)

فلولا ذُبابُ السَّيْفِ ظَلَّ يَقُودُني ... بِنسعَتِهِ شَثْنُ البَنَانِ حَزَنْبَلُ(٢)

قالوا: وَبينا مالك بن الريب ذاتَ ليلة في بعض هناته وَهو نائم ـ وَكان لا ينام إلاّ مُتوشِّحاً بالسيف ـ إذ هو بشيء قد جَثَم عليه لا يدري ما هو، فانتفَضَ به مالك، فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسودُ كان يقطع الطريق في تلك الناحية، فقال مالك في ذلك: [البسيط]

أدْلَجْتُ في مَهْمَهٍ ما إن أرَى أحَداً ... حَتّى إذا حَانَ تَعْرِيسٌ لِمَنْ نَزَلا

وَضَعْتُ جَنْبِي وقُلْتُ: اللَّهُ يَكْلؤني ... مهما تَنَمْ عَنْكَ من عَيْنٍ فما غَفَلا

والسَّيْفُ بيني وبين الثَّوْبِ مُشْعِرَهُ ... أخْشَى الحَوادثَ إنّي لم أكنْ وَكِلا(٣)

ما نِمْتُ إلّا قَلِيلاً نِمْتُهُ شَئِزاً ... حتى وَجَدْتُ على جُثْمَانِيَ الثِّقَلا(٤)

دَاهِيةً من دوَاهِي اللَّيْلِ بَيَّتَنِي ... مُجَاهِداً يبتغي نَفْسِي وما خَتَلا(٥)

أهْوَيْتُ نَفْحاً له واللَّيْلُ سَاتِرُهُ ... إلاّ تَوَخَّيْتُهُ والجَرْس فانْخَزَلا

لَمّا ثَنَى اللَّه عَنّي شَرَّ عَدْوَتِهِ ... رقدتُ لا مُثْبَتاً ذُعْراً ولا بَعِلا(٦)

أمَا تَرَى الدَّارَ قَفْراً لا أنِيسَ بها ... إلاّ الوُحوشَ وأمْسَى أهْلُها احْتَمَلا

بين المُنِيفَةِ حيثُ اسْتَنَّ مَدْفَعُها ... وبين فَرْدَةَ من وَحْشِيِّها قَبَلا(٧)

وقد تَقُولُ وما تُخْفِي لِجَارَتِها ... إنّي أرَى مَالِكَ بنَ الرَّيْبِ قد نَحلا

مَنْ يشهدِ الحَرْبَ يَصْلاها ويُسْعِرُها ... تَرَاهُ مِمّا كَسَتْهُ شَاحِباً وَجِلاً

خُذْها فإنّي لَضَرّابٌ إذا اخْتَلَفَتْ ... أيْدي الرِّجَالِ بِضَرْبٍ يَخْتِلُ البَطَلا

وقال مالك في ذلك أيضاً:

---

(١) المجحدل: الذي يصرع.

(٢) ذباب السيف: حَدّه. والنّسعة: حبل تُشَدّ به الرّحال. والشّثْن: الغليظ. والحزنبل: القصير القامة.

(٣) مشعرَه: مُتّخذه شعاري.

(٤) الشّئِز: القَلِق.

(٥) ختل: خداع.

(٦) البَعِل: الخائف.

(٧) المنيفة: ماء لتميم بين نجد واليمامة. واستنّ: وضح. وفردة: جبل في ديار طَيّيء أو ماء لجرم في ديار طيّيء (معجم البلدان ٤/٢٤٨).

[الكامل]

يـا عَـامِـلاً تَـحْـتَ الـظَّـلام مَـطِـيَّـةً مُـتَـخَـايِـلاً لا بَـلْ وغـيـرِ مُـخَـاتِـلِ
إنّـي أُنِـخْـتُ لِـشَـابِـكٍ أَنْـيَـابَـهُ مُـسْـتَأْنِسٍ بِـدُجَـى الظَّـلام مُـنَـازِلِ[١]
لا يَـسْـتَـرِيـعُ عَـظِـيـمَـةً يُـرْمَـى بِـهـا حَـصباً يُـحَـفِّزُ عن عِـظَام الكَـاهِلِ[٢]
حَـرِبـاً تُـنَـصِّـبُـهُ بِـنَـبْـتِ هَـوَاجِـرٍ عَارِي الأشاجعِ كَالحُسَامِ النَّاصِلِ[٣]
لم يَـدْرِ ما غُـرَفُ الـقُـصُـورِ وفَـيْـؤُهـا طَـاوٍ بِـنَـخْـلِ سَـوَادِهـا الـمُـتَـمَـايِـلِ
يَـقِـظُ الـفُـؤادِ إذا الـقُـلُـوبُ تَـآنَـسَـتْ جَـزِعـاً ونُـبِّـهَ كُـلُّ أَرْوَعَ بَـاسِـلِ[٤]
حيـثُ الـدُّجَـى مُـتَـطَـلِّـعاً لِـغُـفُـولِـهِ كَـالـذِّئْـبِ في غَـلَـسِ الظَّـلام الـخَـاتِـلِ
فـوَجَـدْتُـهُ ثَـبْـتَ الـجَـنَـان مُـشَـيَّـعـاً رَكَّـابَ مَـنْـسِـجِ كُـلِّ أمـرٍ هَـائِـلِ
فـقَـرَاكَ أبـيـضَ كـالـعـقـيـقـةِ صَـارِمـاً ذا رَوْنَـقٍ يَـغْـنِـي الـضَّـرِيـبـةَ فَـاصِـلِ[٥]
فـرَكِـبْـتَ رَدْعَـكَ بـيـن ثِـنْـيِ فَـائِـزٍ يَـعْـلُـو بـه أَثَـرُ الـدِّمـاءِ وشَـائِـلِ[٦]

[رفضه أن يسوس الإبل]

قال: وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خُراسان، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن، فطلبوا صاحب إبلهم، فلم يجدوه، فقال مالكٌ لغلام مِنْ غلمان سعيد: أَدْنِ مني فلانة ـ لناقة كانت لِسَعيد عزيزة ـ فأدناها منه، فمسحها وَأَبَسَّ[٧] بها حتى دَرَّتْ، ثم حَلَبها، فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزره دِرَّة، فانطلقَ الغلام إلى سعيد فأخبره، فقال سعيد لمالك: هل لك أن تقوم بأمر إبلي، فتكونَ فيها، وأُجزلَ لك الرزقَ إلى ما أرزقُك، وأضع عنك الغَزْو؟ فقال مالك في ذلك:

[الطويل]

إنّـي لأَسْـتَـحْـيِـي الـفَـوَارِسَ أَنْ أُرَى بِأَرْضِ العِدَا بَوَّ المَخَاضِ الرَّوَائِمِ[٨]

---

(١) شابك الأنياب: الأسد.
(٢) لا يستريع: لا يخاف. والحصب: الرمي. ويحفِّز: يدفع.
(٣) الحَرِبُ: الشديد الغضب. والأشاجع: رؤوس الأصابع. والحسام الناصل: الخارج من قرابه.
(٤) الأروع: الشجاع.
(٥) العقيقة: السيف يلمع كالبرق. يعني الضريبة: يصيبها.
(٦) الرَّدع: الزعفران. ويقال للقتيل: ركب ردعه: إذا خَرَّ لوجهه على دمه.
(٧) أَبَسَّها: مسح ضرعها.
(٨) البَوّ: جلد ولد الناقة يحشى تبناً ويُقرّب منها لتدرّ. والرَّوائم: جمع الرائمة. العاطفة على ولدها.

وإنّي لأسْتَحيي إذا الحَرْبُ شَمَّرَتْ | أن ارْخِيَ دون الحربِ ثَوْبَ المُسَالِمِ
وما أنا بالنَّائي الحفيظةِ في الوَغَى | ولا المُتَّقِي في السِّلْم جَرَّ الجَرَائمِ
ولا المُتَأنِّي في العَوَاقِبِ لِلَّذي | أهُمُّ به من فاتِكاتِ العَزَائمِ
ولَكِنَّني مُسْتَوْحِدُ العَزْمِ مِقْدَمٌ | على غَمَرَاتِ الحَادِثِ المُتَفَاقِمِ
قليلُ اختلافِ الرَّأيِ في الحرِّ بَاسِلٌ | جَمِيعُ الفؤادِ عند حَلِّ العَظَائمِ

فلما سمع ذلك منه سعيدُ بن عثمان، علم أنه ليس بصاحب إبل، وأنه صاحب حرب، فانطلق به معه.

قالوا: وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم في بعض مفازاته إذ بيَّته ذئب، فزجره فلم يزدجر، فأعاد فلم يبرحْ، فوثبَ إليه بالسَّيف، فضربه فقتله، وقال مالك في ذلك: [الطويل]

أذِئبَ الغَضَا قد صِرْتَ لِلنَّاسِ ضُحْكَةً | تُغَادِي بكَ الرُّكْبَانُ شرقاً إلى غَرْبِ
فأنتَ وإنْ كُنْتَ الجريءَ جَنَانُهُ | مُنِيتَ بِضِرْغَامٍ مِنَ الأُسْدِ الغُلْبِ
بِمَنْ لا يَنَامُ اللَّيْلَ إلاَّ وَسَيْفُهُ | رَهِينَةُ أقوامٍ سِرَاعٍ إلى الشَّغْبِ[1]
ألم تَرَني يا ذِئْبُ إذ جِئْتَ طَارِقاً | تُخَاتِلُني أنّي امْرؤٌ وَافِرُ اللُّبِّ
زَجَرْتُكَ مَرَّاتٍ فلمَّا غَلَبْتَني | ولم تَنْزَجِرْ نَهْنَهْتُ غَرْبَكَ بالضَّربِ[2]
فَصِرْتَ لقىً لمَّا عَلاكَ ابنُ حُرَّةٍ | بأبيضَ قطَّاعٍ يُنَجِّي مِنَ الكَرْبِ
ألاَ رُبَّ يَوْمٍ ريبَ لو كنتَ شَاهِداً | لَهَالَكَ ذِكْري عند مَعْمَعَةِ الحَرْبِ
ولستَ تَرَى إلاَّ كَمِيّاً مُجَدَّلاً | يَدَاهُ جَمِيعاً تثبتانِ مِنَ التُّرْبِ
وآخرَ يَهْوِي طَائِرَ القَلْبِ هَارِباً | وكنتُ امْرَأً في الهَيْجِ مُجْتَمِعَ القَلْبِ
أصُولُ بِذِي الزِّرَّيْنِ أمشي عِرَضْنَةً | إلى الموتِ والأقْرَانُ كالإبِلِ الجُرْبِ[3]
أرى الموتَ لا أنْحَاشُ عنه تَكَرُّماً | ولو شِئْتُ لم أرْكَبْ على المَرْكَبِ الصَّعْبِ
ولَكِنْ أبَتْ نَفْسِي وكَانَتْ أبِيَّةً | تَقَاعَسُ أو يَنْصَاعَ قَوْمٌ مِنَ الرُّعْبِ

[شعره عند فراقه ابنته]

قال أبو عبيدة: لمّا خرج مالكُ بنُ الريب مع سعيد بن عثمان تعلّقت ابنته

(١) الشّغْب: هياج الشرّ.
(٢) نهنهت: كففت
(٣) الزّرّين: الحدّين. وعرضنة: أي بقوّة ونشاط.

بثوبه وبكت، وقالت له: أخشى أن يطولَ سفرُكَ أو يحول الموتُ بيننا فلا نلتقي، فبكى وأنشأ يقول: [الخفيف]

وَلَقَدْ قُلْتُ لابْنَتِي وَهْيَ تَبْكِي بِدَخيلِ الهُمُوم قَلْباً كَئِيبا
وهي تُذرِي مِنَ الدُّموعِ على الخَدَّيْـ ـنِ مِنْ لَوْعَةِ الفِرَاقِ غُرُوبَا[1]
عَبَرَاتٍ يَكدنَ يَجْرَحْنَ مَا جُزْ نَ بِه أو يَدَعْنَ فيه نُدُوبَا
حَذَرَ الحَتْفِ أنْ يُصِيبَ أبَاها ويُلاقي في غَيْرِ أَهْلٍ شَعُوبا[2]
اسْكُتِي قد حَزَزْتِ بِالدَّمْعِ قَلبي طَالَما حَزَّ دَمْعُكُنَّ القُلوبَا
فعَسَى اللَّهُ أنْ يَدْفَعَ عَنِّي رَيْبَ ما تَحْذَرِينَ حَتَّى أؤُوبا
ليس شَيءٌ يَشَاؤُهُ ذُو المَعَالي بِعَزِيزٍ عليه فَادْعِي المُجِيبَا
ودَعِي أنْ تُقَطِّعي الآنَ قَلْبِي أو تُرِينِي في رِحْلَتِي تَعْذِيبا
أنَا في قَبْضَةِ الإِلهِ إذا كُنْـ ـتُ بَعِيداً أو كُنْتُ مِنْكِ قَرِيبا
كم رَأيْنَا امْرَأً أتَى مِنْ بَعِيدٍ ومُقِيماً على الفِرَاشِ أُصِيبَا
فَدَعِيني مِنِ انْتِحَابِكِ إنّي لا أُبَالِي إذا اعْتَزَمْتُ النَّحِيبَا
حَسْبِيَ اللَّهُ ثم قَرَّبْتُ لِلسَّيْـ ـرِ عَلاةً أنْجِبْ بها مَرْكُوبا[3]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال: كان سببُ خروج مالك بن الرّيب إلى خُراسان واكتتابه مع سعيد بن عثمان، هَرباً من ضرطَةٍ، فسألته كيف كان ذلك؟ قال: مرّ مالك بلَيلى الأخيَلية، فجلس إليها يحادُثها طويلاً، وأنشدَها. فأقبلت عليه، وأُعْجِبَتْ به حتى طَمِعَ في وَصْلِها، ثم إذا هو بِفتًى قد جاء إليها، كأنه نصلُ سَيف، فجلس إليها، فأعرضتْ عن مالك وتهاوَنَتْ به، حتى كأنه عندها عُصفور، وأقبلت على صاحبها مليّاً من نَهارها، فغاظهُ ذلكَ من فعلها، وأقبل على الرجل، فقال: من أنتَ؟ فقال: توبةُ بن الحُمَير، فقال: هل لك في المصارعة؟ قال: وما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفُنا وجارُنا؟ قال: لا بدَّ منه، فظنَّ أن ذلك لخوفِه منه، فازداد لَجَاجاً[4]، فقام توبةُ فصارعه، فلما سقط مالك إلى الأرض ضَرَطَ ضَرْطة هائلة، فضحكتْ ليلَى منه. واستحيا مالك، فاكتتب بخُراسان

(١) الغروب: جمع الغرب: الدمع.
(٢) الشّعوب: الموت.
(٣) العلاة: الناقة المشرفة.
(٤) اللّجاج: الإلحاح.

وقال: لا أُقيم في بلد العرب أبداً، وقد تحدّثتْ عنّي بهذا الحديثِ، فلم يَزَلْ بخُراسان حتى مات، فقبره هناك معروف.

[تذاكره مع أصحابه ماضيهم في السرقة]

وقال المدائنيّ: وحدّثني أبو الهيثم، قال: اجتمع مالكُ بن الريب وأبو حَردبة وشِظاظ يوماً، فقالوا: تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سَرِقتنا، فقال أبو حَردبة: أعجب ما صنعت، وأعجبُ ما سرقت أني صحبت رُفقةً فيها رجل على رَحْل، فأعجبني، فقلت لصاحبي، والله لأسرِقَنَّ رَحْلَه، ثم لا رَضِيتُ أو آخُذَ عليه جُعَالة[١]، فرَمقْته حتى رأيتُه قد خَفَق برأسه، فأخذتُ بِخطام جَمله، فقدته، وعَدَلْتُ به عن الطّريق، حتى إذا صَيَّرْتُه في مكان لا يُغَاثُ فيه إن استغاث، أنختُ البعيرَ وصرعته، فأوثقت يدَه ورجلَه، وقدتُ الجمل فغيّبتُه ثم رجعت إلى الرّفقة، وقد فقدوا صاحبهم، فهم يسترجعون، فقلتُ: ما لكمْ؟ فقالوا: صاحبٌ لنا فقدناه، فقلتُ: أنا أعلم الناسِ بأثره، فجعلوا لي جُعَالَة، فخرجتُ بهم أتبع الأثر، حتى وقفوا عليه، فقالوا: ما لكَ؟ قال: لا أدري، نَعستُ فانتبهتُ لِخَمسين فارساً قد أخذوني، فقاتلتهم، فغلبُوني. قال أبو حَردبة: فجعلت أضحَكُ من كذبه، وأعطوني جُعَالتي، وذهبوا بصاحبهم.

وأعجب ما سرقت أنه مرّ بي رجل معه ناقةٌ وجمل، وهو على الناقة، فقلت: لآخذنَّهما جميعاً، فجعلت أعارضه وقد رأيتُه قد خفَق برأسه، فدرت فأخذتُ الجملَ، فحللته وسقته فغيبتُه في القَصيم ـ وهو الموضع الذي كانوا يسرِقون فيه ـ ثم انتبه،! فالتفت، فلم ير جملَه، فنزل وعقَلَ راحلته، ومضى في طلب الجمل، ودُرْت فحللت عِقال ناقته وسقتُها.

فقالوا لأبي حردَبة: ويحك! فحتَّام تكون هكذا! قال: اسكتوا، فكأنكم بي وقد تبت، واشتريتُ فرساً، وخرجتُ مجاهداً، فبينا أنا واقف إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة رِشاء[٢]، فوقع في نحري، فمتُّ شهيداً. قال: فكان كذلك: تابَ وقدِمَ البصرةَ، فاشترى فرساً وغزا الروم، فأصابه سهم في نحره فاستُشهد.

---

(١) الجُعالة: الأجر.

(٢) الرِّشاء: حبل الدّلو.

ثم قالوا لشِظاظ: أخبرنا أنت بأعجب ما أخذتَ في لصوصيتك، ورأيت فيها، فقال: نعم كان فلانٌ (رجل من أهل البصرة) له بنتُ عَمٍّ ذاتُ مال كثير، وهو وَلِيُّها، وكانت له نِسوةٌ، فأبت أن تتزوَّجَه، فحلف ألا يزوِّجَها من أحد ضراراً لها، وكان يخطُبها رجل غني من أهل البصرة، فحَرِصَتْ عليه، وأبى الآخر أن يُزَوِّجَها منه، ثم إنّ وليّ الأمر حَجَّ، حتى إذا كان بالدوّ[١] ـ على مرحلة من البصرة حذاءها، قريب منه جبل يقال له سَنام، وهو منزل الرفاق إذا صدرتْ أو وردتْ ـ مات الوليّ، فدُفن برابية، وشُيّد على قبره، فتزوّجت الرجلَ الذي كانَ يخطبها. قال شِظاظ: وخرجت رُفقة من البصرة معهم بَزّ[٢] ومتاع، فتبصّرتهم وما معهم وأتبعتُهم حتى نزلوا، فلمَّا نَاموا بَيَّتُّهم، وأخذتُ من متاعهم. ثم إن القوم أخذُوني، وضربوني ضرباً شديداً، وجَرَّدوني ـ قال: وذلك في ليلة قَرَّة[٣] ـ وسلبوني كلَّ قليل وكثير، فتركوني عُرياناً، وتماوتُّ لهم، وارتحل القومُ، فقلت: كيفَ أصنعُ؟ ثم ذكرت قبر الرجل، فأتيتُه فنزعتُ لوحَه، ثم احتفرتُ فيه سَرَباً[٤]، فدخلت فيه، ثم سدَدْتُ عَلَيَّ باللَّوح، وقلت: لعلي الآن أدفأ فأتبعَهم. قال: ومرّ الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرُّفقة، فمرّ بالقبر الذي أنا فيه، فوقف عليه، وقال لرفيقه: والله لأنزلنَّ إلى قبر فلان، حتى أنظرَ هل يحمي الآن بُضْعَ فلانة؟ قال شِظاظ: فعرفت صوتَه فقلعتُ اللوحَ، ثم خرجتُ عليه بالسَّيف من القَبر، وقلت: بلى وربِّ الكعبة لأحمينَّها، فوقع والله على وَجْهه مَغشيّاً عليه، لا يتحرّك ولا يعقل. فسقط من يده خِطام الراحلة، فأخذْت وعهد الله بخطامها فجلستُ عليها، وعليهَا كلُّ أداة وثياب ونقد كان معه، ثم وجّهتها قصدَ مطلع الشمس هارباً من الناس، فنجوتُ بها، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدِّث الناس بالبصرة، ويحلف لهم أن الميّت الذي كان منعَه من تزويجِ المرأة خرج عليه من قبره بسلَبِه وكَفنه. فبقي يومه، ثم هرب منه، والنَّاس يعجَبون منه فعاقلهم يكذّبه، والأحمقُ منهم يصدقه، وأنا أعرف القصةَ، فأضحَكُ منهم كالمتعجّب.

قالوا: فزدنا، قال: فأنا أزيدكم أعجَبَ من هذا وأحمقَ من هذا؛ إني لأمشي

---

(١) الدّوّ: موضع بين مكة والبصرة (معجم البلدان ٢/ ٤٩٠).

(٢) البَزّ: الثياب.

(٣) قَرّة: شديدة البرد.

(٤) السَّرب: المسلك.

في الطريق أبتغي شيئاً أسْرِقه، قال: فلا والله ما وجدتُ شيئاً، قال: وكان هناك شجرةٌ ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظِلٌّ غيرَها، وإذا أنا برجل يسيرُ على حمار له، فقلت له: أتسمعُ؟ قال: نعم، قلتُ: إن المقيل الذي تريد أن تقيله يُخسَفُ بالدوابّ فيه، فاحذره، فلم يلتفت إلى قولي. قال: ورمقتُه، حتى إذا نام أقبلتُ على حماره، فاستقتُه حين إذا برزْت به، قطعتُ طَرف ذَنَبه وأذنيه، وأخذتُ الحمارَ فخبأتُه وأبصرتُه حين استيقظ من نومه، فقام يطلب الحمارَ ويقفو أثَرَه، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طَرَف ذَنَبه وأُذنيه، فقال: لعمري لقد حُذِّرتُ لو نفعني الحذر، وأستمرّ هارباً خوف أن يُخسَف به، فأخذتُ جميع ما بقيَ من رحله فحملتُه على الحمار، وأستمرّ فألحقُ بأهلي.

قال أبو الهيثم: ثم صلب الحجاجُ رجلاً من الشُّراة[1] بالبصرة، وراح عَشِيّاً لينظر إليه، فإذا برجل بإزائه مُقبل بوجهه عليه، فدنا منه، فسمعه يقول للمصلوب: طال ما ركبتَ فأعْقِبْ[2]، فقال الحجّاج: من هذا؟ قالوا: هذا شِظاظُ اللِّص، قال: لا جَرم! والله لَيُعقِبَنَّك، ثم وقف، وأمر بالمصلوب فأُنزِلَ، وصَلَبَ شِظاظاً مكانَه.

[موته وشعره قبل الموت]

قال ابنُ الأعرابي: مَرِض مالكُ بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خُراسان في طريقه، فلما أشرف على الموت تخلَّف معه مُرَّةُ الكاتب ورجل آخرُ من قومه من بني تميم وهما اللّذان يقول فيهما: [الطويل]

أَيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي دَنَا المَوْتُ فَانْزِلا بِـرَابِـيَـةٍ إنِّـي مُـقِـيـمٌ لَـيَـالِـيَـا

ومات في منزله ذلك فدفناه، وقبرُه هناك معروف إلى الآن، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسَه. قال أبو عبيدة: الّذي قاله ثلاثة عشر بيتاً، والباقي منحول ولّدهُ الناس عليه.

صوت

[الطويل]

فـمـا بَـيْـضَـةٌ بَـاتَ الـظَّـلِـيـمُ يَـحُـفُّـهـا ويَـرْفَـعُ عـنـهـا جُـؤجُـؤاً مُـتَـجَـافِـيـا[3]

---

(١) الشُّرَاة: الخوارج.
(٢) أعْقِبْ: اترك عقبك مَنْ يخلفكَ.
(٣) الظليم: ذَكَر النعام. والجؤجؤ: مجتمع رؤوس عظام الصدر.

بِأَحْسَنَ مِنهَا يَوْمَ قَالَتْ: أَظَاعِنٌ مَعَ الرَّكْبِ أَمْ ثَاوٍ لَدَيْنَا لَيَالِيا؟[1]
وَهَبَّتْ شمالٌ آخِرَ اللَّيْلِ قَرَّةٌ ولا ثَوْبَ إلاَّ بُرْدُها ورِدَائِيَا
وما زالَ بُرْدِي طَيِّباً مِنْ ثِيَابِهَا إلى الحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الثَّوْبُ بَالِيا[2]

الشعر لعبد بني الحسحاس، والغناء لابن سُريج في الأول والثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق، وفي الثالث والرابع لمُخارق خفيف ثقيل عمِله على صنعة إسحاق في:

أَمَاوِيَّ إنَّ المَال غَادٍ ورَائِحُ

وكادَه بذلك ليقال إن لحنه أخذه منه، وألقاه على عجوز عُمير، فألقته على الناس، حتى بلغ الرشيدَ خبره، ثم كشفه فعلم حقيقته، ومن لا يعلم بنسبه إلى غيره، وقد ذكر حَبش أنه لإبراهيم، وذكر غيره أنه لابن المكي. وقد شرحت هذا الخبر في أخبار إسحاق.

(١) الظاعن: الراحل. والثاوي: المقيم.
(٢) أنهج: بَلِيَ.

أخبار عبد بني الحَسْحَاس

[توفي نحو ٤٠ هـ/نحو ٦٦٠ م]

[اسمه ونشأته]

اسمه سُحَيم، وكان عبداً أسودَ نوبيّاً أعجميّاً مطبوعاً في الشعر، فاشتراه بنو الحَسحاس، وهم بطن من بني أسد، قال أبو عبيدة: الحَسحاسُ بن نُفاثة بن سَعيد بن عمرو بن مالك بن ثَعلبة بن دُودَان بن أسد بن خُزَيمة.

قال أبو عبيدة ـ فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ عن أبي حاتم عنه: كان عبدُ بني الحَسحاس عبداً أسودَ أعجميّاً، فكان إذا أنشد الشعر ـ استحسنَه أم استحسنَه غيرُه منه ـ يقول: أهشَنْتُ والله ـ يريد أحسنتُ والله ـ وأدرك النبيّ ﷺ، ويقال: إنه تمثّل بكلمات من شعره غير موزونة.

[الرسول ﷺ يتمثّل ببيت شعر له]

أخبرني محمد بن خَلف: بن المرزُبان قال: حدّثنا أحمد بن منصور قال: حدّثنا الحسنُ بن موسى قال: حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن الحسن أن النبيّ ﷺ تمثّل:

كَـفَـى بِـالإِسـلامِ والـشَّـيْـبِ نَـاهِـيـا

فقال أبو بكر: يا رسولَ الله:

كَفَى الشَّيْبُ والإِسلامُ لِلْمَرْءِ ناهيا

فجعلَ لا يطيقُه، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسولُ الله **﴿وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له﴾**[1].

---

(١) سورة يّس: الآية ٦٩.

قال محمد بن خلف: وحدّثني أحمدُ بن شداد عن أبي سلمة التَّبوذكي عن حماد بن سلمة، عن رجل، عن الحسن مثله، ورويَ عن أبي بكر الهذليّ أن اسم عبد بني الحسحاس حَيَّة.

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم قال: كان عبدُ بني الحسحاس حُلوَ الشعر رقيقَ الحواشي، وفي سواده يقول: [الطويل]

وما ضَرَّ أثْوَابي سَوَادِي وإنَّنِي لَكَالْمِسْكِ لا يَسْلُو عَنِ المِسْكِ ذَائِقُهْ
كُسِيتُ قَمِيصاً ذا سَوَادٍ وتَحْتَهُ قَمِيصٌ مِنَ القُوهِيِّ بِيض بَنَائِقُهْ[1]

ـ ويروى: وتحته قميص من الإحسان ـ

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثمة قال: أنشدني مُصعَب بن عبد الله الزبيريّ لعبد بني الحسحاس ـ وكان يستحسنُ هذا الشعرَ ويعجب به ـ قال: [البسيط]

أشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الحَسْحَاسِ قُمْنَ له عِنْدَ الفَخَارِ مَقَامَ الأصْلِ والوَرِقِ[2]
إنْ كُنْتُ عَبْداً فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَماً أو أسْوَدَ اللَّونِ إنِّي أبْيَضُ الخُلُقِ

وقال الأثرم: حدّثني السَّرِيُّ بنُ صالح بن أبي مسهر قال: أخبرني بعضُ الأعراب، أنَّ أول ما تكلَّم به عبدُ بني الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائداً فجاء وهُوَ يقول: [الرجز]

أنعتُ غَيْثاً حَسَناً نَبَاتُهُ كالحَبَشِيِّ حَوْلَهُ بَنَاتُهُ

فقالوا: شاعرٌ والله، ثم انطلق بالشعر بعد ذلك.

[عمر بن الخطاب يستحسن بيتاً له، وعثمان لا حاجة له به]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد سُحيمٌ عمرَ بن الخطاب قوله: [الطويل]

عُمَيْرَةُ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيا كَفَى الشَّيْبُ والإسْلاَمُ لِلمَرْءِ نَاهِيا

---

(١) القوهي: نسبة إلى قُوهِستان وهو اسم لمواضع عدّة في بلاد العجم، وأهمها الجبال التي بين هراة ونيسابور (معجم البلدان ٤/٤١٦). والبنائق: جمع البنيقة: رقعة تزاد في نحر القميص لتوسيعه.

(٢) الوَرِق: الدراهم المضروبة.

فقال عمر: لو قلتَ شعرَك كلّه مثلَ هذا لأعطيتُك عليه.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدّثني خالي يوسف بن الماجشُون قال: كان عبد الله بن أبي رَبيعة عاملاً لعثمان بن عفان على الجند، فكتب إلى عثمانَ: إني قد اشتريتُ غلاماً حَبشياً يقول الشعرَ، فكتب إليه عثمانُ: «لا حاجةَ لي إليه فاردده، فإنّما حظُّ أهل العبد الشاعرِ منه، إن شَبعَ أن يتشبّبَ بِنسائهم، وإن جاع أن يهجوَهم»، فردَّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس.

وروى إبراهيم بن المنذِر الحزاميّ هذا الخبر عن ابن الماجَشون قال: كان عبدُ الله بن أبي ربيعة ـ مثل ما رواه الزبير ـ إلا أنه قال فيه: إن جاع هَرَّ[1]، وإن شَبعَ فَرَّ.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال: حدّثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن أبي عبيدة. وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمرَ قوله: [الطويل]

تُـوَسِّـدُنِـي كَـفّـاً وتَـثْـنِـي بِـمِـعْـصَـمٍ ... عـلَـيَّ وتَـحْـوِي رِجْـلَـهَـا مِـنْ وَرَائِـيـا

فقال عمرُ: ويلكَ إنَّك مقتول.

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ قال: حدّثني أحمد بن القاسم قال: حدّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ، عن ابن أبي عائشة قال:

أنشد عبد بني الحسحاس عمرَ قوله:

كَـفَـى الـشَّـيْـبُ والإِسْـلاَمُ لِـلْـمَـرْءِ نَـاهِـيـا

فقال له عمر: لو قَدَّمْتَ الإسلام على الشّيب لأجزتك.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وحبيبُ بنُ نصر قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا مَعاذُ بن مَعاذ وأبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيف، أن عبد بني الحسحاس أنشد عمرَ هذا وذكر الحديث مثل الذي قبله.

أخبرني محمد بن خلف قال: حدّثنا إسحاق بن محمد قال: حدّثنا عبد

---

(١) هَرَّ: صوَّت كما يهرّ الكلب.

الرحمٰن، ابن أخي الأصمعي عن عمّه قال: كان عبد بني الحسحاس قَبِيحَ الوجه، وفي قبحه يقول: [الطويل]

أَتَيْتُ نِسَاءَ الحَارِثِيِّينَ غُدْوَةً ... بِوَجْهٍ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرِ جَمِيلِ
فشَبَّهْنِنِي كَلْباً ولَسْتُ بِفَوقِهِ ... ولا دُونِهِ إنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلِ

[تشبيه بنساء مواليه]

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلاَّم، قال: أُتِيَ عثمانُ بن عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريه فأُعجب به فقالوا: إنه شاعر، وأرادوا أن يرغّبوه فيه، فقال: لا حاجةَ لي به؛ إذ الشاعرُ لا حريم له، إن شبعَ تشبَّب بنساء أهله، وإن جاع هجاهم، فاشتراه غيرُه، فلما رحل قال في طريقه: [الطويل]

أَشَوْقاً ولَمَّا تَمْضِ لي غَيْرُ لَيْلَةٍ ... فكيفَ إذا سَارَ المَطِيُّ بِنَا شَهْرا؟
وما كنتُ أَخْشَى مَالِكاً أَنْ يَبِيعَني ... بِشَيءٍ ولو أَمْسَتْ أَنَامِلُهُ صِفْرَا
أَخُوكُم ومَوْلَى مَالِكُمْ وحلِيفُكُمْ ... ومَنْ قد ثَوَى فيكم وعَاشَرَكُم دَهْرا

فلما بلغهم شعرهُ هذا رَثوا له، فاستردّوه. فكان يشبّبُ بنسائهم، حتى قالَ: [الكامل]

ولقد تَحَدَّرَ مِنْ كَرِيمَةِ بَعْضِكُمْ ... عَرَقٌ على مَتْنِ الفِرَاشِ وطِيبُ

قال: فقتلوه.

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكار قال: حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها: فلما استردّوه نَشِبَ[1] يقولُ الشعر في نسائهم، فأخبرني من رآه واضعاً إحدى رجليه على الأُخرى يقرض الشعر ويُشَبِّبُ بأختِ مولاه وكانت عَليلَة، يقول: [المنسرح]

ماذا يُرِيدُ السَّقَامُ مِنْ قَمَرٍ ... كُلُّ جَمَالٍ لِوَجْهِهِ تَبَعُ!
ما يَرْتَجِي خَابَ مِنْ مَحَاسِنِهَا ... أَمَا لَهُ في القِبَاحِ مُتَّسَعُ!
غَيَّرَ مِنْ لَوْنِهَا وصَفَّرَهَا ... فَزِيدَ فيه الجَمَالُ والبِدَعُ
لو كانَ يَبْغِي الفِدَاءَ قُلْتُ لَهُ: ... هَا أنا دُونَ الحَبِيبِ يا وَجَعُ

(١) نَشِبَ: لبث.

أخبرني محمد بن خَلف قال: حدّثنا أبو بكر العامريّ، عن عليّ بن المغيرة الأثْرَم قال: قال أبو عبيدة: الذي تناهى إلينا من حديث سُحيم عبد بني الحسحاس أنه جالسَ نِسوةً من بني صُبَيْر بن يربوع، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب وشِدّة المغالبة على إبداء المحاسن، فقال سُحَيم: [الطويل]

كَأَنَّ الصُّبَيْرِيَّاتِ يَوْمَ لَقِينَنَا ... ظِبَاءٌ حَنَتْ أَعْنَاقَها في المَكَانِسِ[1]
فكَمْ قد شَقَقْنَا مِنْ رِداءٍ مُنَيَّرٍ ... ومِنْ بُرْقُعٍ عن طَفْلَةٍ غَيْرِ نَاعِسِ[2]
إذا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بِالبُرْدِ بُرْقُعٌ ... على ذَاكَ حَتَّى كُلّنا غَيْرُ لَابِسِ

فيقال: إنه لما قال هذا الشعرَ اتّهمه مولاه، فجلس له في مكان كان إذا رَعى نام فيه، فلما اضطجع تنفّس الصُّعداء، ثم قال: [السريع]

يَا ذِكْرَةً مَا لَكَ في الحَاضِرِ ... تَذْكُرُها وأَنتَ في الصَّادِرِ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ لَها كَفَلٌ ... مِثْلُ سَنَامِ البكرةِ المَائِرِ[3]

قال: فظهر سيّدُه من الموضع الذي كان فيه كامناً، وقال له: ما لَكَ؟ فلجلَجَ في منطقه، فاسترابَ به، فأجمعَ على قتله، فلما وردَ الماء خرجت إليه صاحبتُه، فحادثتْه، وأخبرتْه بما يرادُ به، فقام ينفض ثوبَه ويُعفي أثره، ويلقُط رَضّاً من مَسَكِها[4] كان كَسرَهَا في لَعِبِه معها، وأنشأ يقول:

صوت

[الطويل]

أَتُكْتَمُ حُيِّيتُمْ على النَّأْيِ تُكْتَما ... تَحِيَّةَ مِنْ أَمْسَى بِحُبِّكِ مُغْرَما
ومَا تَكْتُمِينَ إنْ أَتَيْتِ دَنِيَّةً ... ولا إنْ رَكِبْنَا يابْنَةَ القَومِ مَحْرَما
ومِثْلِكِ قد أَبْرَزْتُ مِنْ خِدْرِ أُمِّهَا ... إلى مَجْلِسٍ تَجُرُّ بُرْداً مُسَهَّما[5]

الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل، قال:

ومَاشِيَةٍ مَشْيَ القَطَاةِ اتَّبَعْتُها ... مِنَ السِّتْرِ تَخْشَى أهلَها أنْ تَكَلَّما

---

(١) المكانس: جمع مَكْنَس: مولج الوحش من الظباء والبقر تستكِنُّ فيه من الحرّ.
(٢) البرقع: القناع. والطَّفْلَة: الرَّخصة الناعمة الفتيّة.
(٣) الكَفَل: العجز. والبكرة: الناقة الفتيّة. والمائر: المتحرّك.
(٤) الرَّضّ: القطع المُكَسَّرة. والمَسَك: الأساور والخلاخيل.
(٥) البُرد المسَهَّم: الثوب الذي عليه صور أسهم.

فقالَتْ: صَهٍ يا وَيْحَ غَيْرِكَ إنّني ... سَمِعْتُ حَدِيثاً بينهم يَقْطُر الدَّمَا
فَنَقَّضْتُ ثَوْبَيْها ونَظَّرْت حَوْلَها ... ولم أَخْشَ هذا اللَّيْل أن يَتَصَرَّما
أُعَفِّي بِآثَارِ الثِّيَابِ مَبِيتَها ... وأَلْقُطُ رَضّاً مِنْ وُقوفٍ تَحَطَّما[١]

[إحراقه في أخدود]

قال: وغدوا به ليقتلوه، فلما رأته امرأة كانت بينها وبينه مَوَدَّةٌ ثم فسدتْ، ضحكت به شماتةً فنظر إليها وقال: [الطويل]

فإنْ تَضْحَكِي مِنّي فَيَا رُبَّ لَيْلَةٍ ... تَرَكْتُكِ فيها كَالقَبَاءِ المُفَرَّجِ[٢]

فلمّا قُدِّمَ لِيُقْتَلَ قال: [الكامل]

شُدُّوا وِثَاقَ العَبْدِ لا يُفْلِتْكُم ... إنَّ الحَيَاةَ مِنَ المَمَاتِ قَرِيبُ
فلقد تَحَدَّرَ من جَبِينِ فَتَاتِكُمْ ... عَرَقٌ على مَتْنِ الفِرَاشِ وَطِيبُ

قال: وقُدِّمَ فقُتِلَ. وذكر ابن دأب أنه حُفر له أُخدود وأُلقِيَ فيه، وأُلقِيَ عليه الحطب فأُحْرِقَ.

أخبرني محمدُ بنُ مزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، عن المدائني عن أبي بكر الهُذليّ قال: كان عبدُ بني الحسحاس يُسَمَّى حَيَّة، وكان لِسَيِّده بنتٌ بكر، فأعجبها فأمرته أن يتمارضَ، ففعل وعصَب رأسه، فقالت للشيخ: أسرحْ أَيّها الرَّجُل إبلك، ولا تَكِلْها إلى العبد، فكان فيها أياماً، ثم قال له كيف تجدُكَ؟ قال: صالحاً، قال: فَرُحْ في إبلكَ العشيَّةَ فراح فيها، فقالت الجاريةُ لأبيها: ما أحسبُكَ إلاَّ قد ضَيَّعْت إبلكَ العَشِيَّةَ أن وَكلْتها إلى حيّة، فخرج في آثار إبله فوجده مستلقياً في ظل شجرةٍ، وهو يقول: [السريع]

يَا رُبَّ شَجْوٍ لكَ في الحَاضِرِ ... تَذْكُرُها وأَنْتَ في الصَّادِرِ
مِنْ كُلِّ حَمْرَاءَ جُمَالِيَّةٍ ... طَيِّبَةِ القَادِمِ والآخِرِ[٣]

فقال الشيخ: إن لهذا لشأناً، وانصرف ولم يُرِهِ وجهَه. وأتى أهل الماء وقال لهم: تعَلَّموا والله أن هذا العبدَ قد فضحنا، وأخبرهم الخبر، وأنشدهم ما قال،

(١) الوقوف: جمع الوَقْف: السّوار.
(٢) القِباء: الثوب يلبس فوق الثياب.
(٣) الجُمالية: الجميلة.

فقالوا: اقتله فنحنُ طَوْعُكَ، فلمّا جاءهم وثبوا عليه، فقالوا له: قلتَ وفعلتَ، فقال: دعوني إلى غدٍ حتى أعْذِرَهَا[1] عند أهل الماء، فقالوا: إنَّ هذا صواب فتركوه، فلمّا كان الغد اجتمعوا فنادى: يَا أهل الماء، ما فيكم امرأةٌ إلاّ قد أصبتُها إلاّ فلانةَ فإنّي على موعدٍ منها؛ فأخذوه فقتلوه.

ومِمّا يُغَنَّى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس، وقال: إن من الناس من يرويها لغيره: [الطويل]

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ثَلاَثاً وأَرْبَعاً ... ووَاحِدَةً حَتَّى كَمَلْنَ ثَمَانِيا
وأَقْبَلْنَ مِنْ أَقْصَى الخِيامِ يَعُدْنَنِي ... بِقيَّةَ ما أَبْقَيْنَ نَصْلاً يَمَانِيا
يَعُدْنَ مَرِيضاً هُنَّ قد هَجْنَ داءَهُ ... ألاَ إنّما بَعْضُ العَوائِدِ دَائِيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأول، والذي ابتداؤه «تجمعنَ من شتى ثلاث» لبنَان. والّذي أوله: «وأقبلن من أقصى الخيام»، ذكر الهشامي أنهُ لإسحاق وليس يشبه صَنعته ولا أدري لمن هو.

[مخارق يكيد لإسحاق]

أخبرني جحظة عن ابن حمدون أن مخارقاً عملَ لحناً في هذا الشعر: [الطويل]

وَهَبَّتْ شمالاً آخرَ اللَّيْلِ قَرَّةً ... ولا ثَوْبَ إلاَّ بَردُها ورِدَائِيا

على عمل صنعة إسحاق في:

أَمَاوِيَّ إن المال غاد ورائح

ليكيد به إسحاق، وألقاه على عجوز عُمَير الباذغيسي، وقال لها: إذا سئلتِ عنه فقولي: أخذتُه من عجوزٍ مدنيّة، ودار الصّوت حتى غُنِّيَ به الخليفة، فقال لإسحاق: ويلكَ أخذتَ لحنَ هذا الصّوتِ تُغنّيه كلَّه، فحلف له بكلِّ يمين يرضاه أنه لم يفعَلْ وتَضَمَّنَ له كشفَ القصة، ثم أقبل على مَنْ غنَّاهم الصوتَ فقال: عمّن أخذتَه؟ فقال: عن فلان، فلقيه، فسأله عمن أخذه فعَرفه، ولم يزلْ يكشف عن القصة، حتى انتهت من كل وجه إلى عَجوز عميرٍ، فسئلتْ عن ذلك، فقالت: أخذتُه عن عجوز مدنية، فدخل إسحاق على عُمَير، فحلف له بالطّلاق والعِتّاق وكلِّ

(١) أعذرها: أثبت لها عذراً.

مُحرِج من الأيمان ألاّ يُكلِّمَهُ أبداً ولا يدخل داره ولا يترك كيدَه وعداوتَه أو يُصْدِقَه عن حال هذا الصوت وقصتِه، فصدَقه عُمير عن القصة، فحدَّث بها الواثق بحضرة عمير ومُخارق، فلم يمكن مُخارقاً دفعُ ذلك، وخجل خجلاً بان فيه، وبطل ما أراده بإسحاق.

صوت

[الطويل]

ثَـلاَثَـةُ أبْـيَـاتٍ فَـبَـيْـتٌ أُحِـبُّـهُ وبَيْتَانِ ليسَا مِنْ هَوَايَ ولا شَكْلِي
ألاَ أَيُّـهَـا الـبَـيْـتُ الَّـذي حِـيـلَ دُونَـهُ بِنَا أَنْتَ مِنْ بَيْتٍ وأَهْلُكَ مِنْ أَهْلِ

الشعر لجميل، والغناء لإسحاق ماخوري بالبِنصر من جامع أغانيه، وفيه رَمَل مجهول ذكره حَبَش لِعلّويه ولم أجد طريقته.

متمّم العبديّ والجويرية

[قصته مع جويرية فصيحة تقول الشعر]

أخبرني الحسين بن يحيى المراديّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني متمّم العبديّ قال: خرجت من مكّة زائراً لقبر النبيّ ﷺ فإنّي لَبِسُوق الجُحْفَةِ[1] إذا جُوَيرية تسوقُ بعيراً، وتترنَّمُ بصوت مليح طيّب حُلو في هذا الشعر: [الطويل]

أَلاَ أَيُّـهَـا الـبَـيْـتُ الَّـذي حِـيـلَ دُونَـهُ ... بِـنَـا أنـتَ مِـنْ بَـيْـتٍ وأَهْـلُـكَ مِـنْ أَهْـلِ
بِـنَـا أنـتَ مِـنْ بَـيْـتٍ وحَـوْلَـكَ لَـذَّةٌ ... وظِـلُّـكَ لـو يُـسْـطَـاعُ بِـالـبَـارِدِ الـسَّـهْـلِ
ثَـلاثَـةُ أَبْـيَـاتٍ فَـبَـيْـتٌ أُحِـبُّـهُ ... وبَـيـتـانِ لَـيْـسَـا مِـنْ هَـوَايَ ولا شَـكْـلـي

فقلت: لمن هذا الشعر يا جُويرية؟ قالت: أما ترى تلك الكُوَّة الموقَّاةَ بالكِلَّة[2] الحمراء؟ قلت: أراها، قالت: من هناكَ نهض هذا الشعرُ، قلت: أو قائلُه في الأحياء؟ قالت: هيهات، لو أنَّ لِميّتٍ أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك. فأعجبني فصاحةُ لسانها ورِقّةُ ألفاظِها، فقلت لها: أَلَكِ أبوان؟ فقالت: فقدت خَيْرَهما وأجلَّهما، ولي أمّ، قلت: وأين أمُّكِ؟ قالت: منكَ بمرأى ومسمع، قال: فإذا امرأة تبيعُ الخَرَزَ على ظهر الطّريق بالجُحْفَة، فأتيتُها، فقلتُ: يا أُمَّتَاه، استمعي مني، فقالتْ لها: يا أُمَّهْ، فاستَمعي من عمّي ما يلقيه إليكِ، فقالتْ: حَيَّاكِ الله، هيه، هل من جائِئةِ خَبر[3]؟ قلتُ: أهذه ابنتُكِ؟ قالت: كذا كان يقول أبوها، قلتُ: أفتزوّجينها؟ قالت: أَلِعِلَّةٍ رغبتَ فيها؟ فما هي والله من عندها جمالٌ، ولا لَها مال، قلتُ: لِحَلاوة لسانِها وحُسْنِ عقلِها، فقالت: أَيُّنا أملكُ بها؟ أنا أمْ هي بنفسها؟ قلت: بل هي بنفسها، قالت: فإيّاها فخاطبْ، فقلتُ: لَعَلَّها أن تَستحِيَ من

---

(١) الجُحْفة: قرية كبيرة على طريق المدينة (معجم البلدان ٢/ ١١١).

(٢) الكُوَّة: النافذة. والكِلَّة: الستارة.

(٣) هل من خبر يجوب البلاد.

الجواب في مثل هذا، فقالت: ما ذاكَ عندها، أنا أخبر بها، فقلتُ: يا جارية، أما تستمعينَ ما تقول أُمُّكِ؟ قالت: قد سمعت، قلت: فما عندكِ؟ قالت: أوليسَ حسبك أنْ قلت: إنّي أستحي من الجواب في مثل هذا، فإن كنتُ أستحي في شيء فلِمَ أفعلُه؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بِسَاطَكَ، لا والله لا يشُدُّ عَلَيَّ رجل حِواءه[1] وأنا أجدُ مَذْقَة لبن[2] أو بقلةً ألين بها مِعَاي، قال: فورد والله عليَّ أعجبُ كلام على وجه الأرض، فقلتُ: أو أتزوّجكِ والإذنُ فيه إليك وأُعطي الله عهداً أني لا أقربكِ أبداً إلا عن إرادتِك؟ قالت: إذاً والله لا تكون لي في هذا إرادةٌ أبداً، ولا بعد الأبد إن كان بَعْده بَعْد، فقلت: فقد رَضِيتُ بذلك، فتزوّجتها، وحملتها وأُمَّها معي إلى العراق، وأقامت معي نحواً من ثلاثينَ سنة ما ضَمَمْتُ عليها حِوايَ قَطُّ، وكانت قد علِقتْ من أغاني المدينة أصواتاً كثيرة، فكانت ربما تَرَنَّمَتْ بها، فأشتهيها، فقلت: دَعيني من أغانِيكِ هذه فإنها تبعثُني على الدُّنُوِّ منك. قال: فما سمعتها رَافِعةً صوتها بغناء بعد ذلك، حتى فارقَتِ الدنيا، وإن أمّها عندي حتى السّاعة، فقلت: ما أدري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه.

صوت

[الخفيف]

أَيُّـهَـا الـنَّـاسُ إنَّ رَأْيِـي يُـرِيـنِـي	ـ وَهـو الـرَّأْيُ ـ طَـوْفَـةً فـي الـبِـلادِ
بِـالـعَـوَالِـي وبِـالـقَـنَـابِـلِ تَـرْدِي	بِـالـبَـطَـارِيـقِ مِـشْـيَـةَ الـعُـوَّادِ[3]
وبِـجَـيْـشٍ عَـرَمْـرَمٍ عَـرَبِـيٍّ	جَحْفَلٍ يَسْتَجِيبُ صَوْتَ المُنَادِي[4]
مِـنْ تَـمِـيـم وخِـنْـدِفٍ وإِيَـادِ	والـبَـهَـالِـيـلِ حِـمْـيَـرٍ ومُـرَادِ
فـإذا سِـرْتُ سَـارَتِ الـنَّـاسُ خَـلْـفِـي	ومَـعِـي كَـالـجِـبَـالِ فـي كُـلِّ وَادِ
سَـقِّـنِـي ثُـمَّ سَـقِّ حِـمْـيَـرَ قَـوْمِـي	كَأْسَ خَمْرٍ أُولـي الـنُّـهَـى والـعِـمَـادِ

الشعر لِحسَّان بن تُبَّع، والغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه.

(١) الحِواء: جماعة البيوت المتدانية.

(٢) اللبن الممذوق: المخلوط بالماء.

(٣) تردي: تسرع. والبطاريق: جمع البطريق: القائد من قوّاد الروم.

(٤) الجيش العرمرم: الكثير العدد، الشديد.

أخبار حَسّان بن تُبّع

[رئاسته لقومه وإقدامه وشجاعته]

أخبرني بخبر حسَّان الذي من أجله قال هذا الشعر، عليّ بن سليمان الأخفش عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، وعن أبي عبيدة وأبي عمرو، وابن الكلبي وغيرهم، قال: كان حسَّانُ بن تُبَّع أحوَل أَعْسَر، بعيدَ الهِمَّةِ شديدَ البَطْشِ، فدخل إليه يوماً وجوهُ قومه ـ وهم الأَقيالُ[1] مِنْ حِمير ـ فلمّا أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم: [الخفيف]

أَيُّها النَّاسُ إنَّ رَأْيي يُريني ... وهُوَ الرَّأْيُ طوفةً في البِلادِ
بالعَوالي وبالقَنابِل تَرْدي ... بالبَطارِيقِ مِشْيَةَ العُوَّادِ

وذكر الأبيات التي مضت آنفاً، ثم قال لهم: استعدّوا لذلك، فلم يراجعه أحد لِهيبته. فلمَّا كان بعد ثلاثة خرج، وَتبعَهُ النَّاسُ، حتى وَطِىءَ أرض العَجم، وقال: لأبلغنَّ من البلاد حيث لم يبلُغْ أحدٌ من التبابعة، فجال بهم في أرض خراسان، ثم مضى إلى المغرب حتى بلغ رُومية[2]، وخلف عليها ابنَ عَمٍّ له، وأقبل إلى أرض العراق، حتى إذا صار على شاطىء الفُرات، قالت وجوهُ حِمير: ما لنا نفني أعمارَنا مع هذا! نطوفُ في الأرض كلِّها، ونفرّق بيننا وبين بلدنا وأولادنا وعيالنا وأموالنا! فلا ندري من نُخْلِفُ عليهم بعدَنا! فكلِّموا أخاه عَمْراً، وقالوا له: كَلِّم أخاكَ في الرّجوع إلى بلده، ومُلْكِهِ. قال: هو أعسرُ من ذلك وأنكرُ، فقالوا: فاقْتلْه، ونُمَلِّكُكَ علينا، فأنت أحقُّ بالملكِ من أخيك، وأنتَ أعقل وأحسنُ نظراً لقومك، فقال: أخافُ ألاّ تفعلوا، وأكونُ قد قتلتُ أخي، وخَرج

(١) الأقيال: جمع القيل: الملك من ملوك اليمن في الجاهلية.

(٢) رومية: مدينة بالمدائن (معجم البلدان ٣/ ١٠٠).

الملك عن يدي، فواثَقوه حتى ثَلِجَ[١] إلى قولهم، وأجمع الرُّؤساء على قتل أخيه كلُّهم إلا ذا رُعَيْن، فإنه خالفهم، وقال: ليس هذا برأي، يذهب المُلْكُ من حِمير. فشجَّعه الباقون على قتل أخيه، فقال ذو رُعين: إن قتلتَه بادَ مُلْكُكَ. فلما رأى ذو رُعَين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومة، فقال: يا عمرو: إنّي مُسْتَوْدِعُكَ هذا الكتاب، فضعه عندك في مكان حريز، وكتب فيه: [الوافر]

أَلاَ مَـنْ يَـشْـتَـرِي سَـهَـراً بِـنَـوْمٍ ... سَـعِـيـدٌ مَـنْ يَـبِـيـتُ قَـرِيـرَ عَـيْـنِ
فـإِنْ تَـكُ حِـمْـيَـرٌ غَـدَرَتْ وخَـانَـتْ ... فـمَـعْـذِرَةُ الإِلَـهِ لِـذِي رُعَـيْـنِ

[عمرو يقتل حسّان]

ثم إنَّ عَمْراً أتى حسَّانَ أخاه وهو نائم على فراشِه، فقتله واستولى على مُلكه. فلم يبارَكْ فيه، وسلَّط اللّهُ عليه السَّهَرَ، وامتنع منه النوم، فسأل الأطباء والكهَّان والعُيَّاف[٢]، فقال له كاهن منهم: إنه ما قتل أخاه رجل قَطُّ إلاّ مُنِعَ نومَه، فقال عمرو: هؤلاء رؤساء حِمْيَر حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم، ولم ينظروا إليّ ولا لأخي. فجعل يقتل من أشار عليه منهم بقتله، فقتلهم رجلاً رجلاً، حتى خَلَص إلى ذي رُعين وأيقنَ بالشَّرّ، فقال له ذو رعين: ألم تعلمْ أنّي أعلمتكَ ما في قتله، ونهيتك وبيَّنْتُ هذا؟ قال: وفيم هو؟ قال: في الكتاب الذي استودعتُك. فدعا بالكتاب، فلم يَجِدْهُ، فقال ذو رعين: ذهب دَمِي على أَخْذي بالحزم، فصرتُ كمن أشار بالخطأ. ثم سأل الملك أن يُنعمَ في طلبه ففعل، فأُتي به فقرأه، فإذا فيه البيتان، فلمَّا قرأهما قال: لقد أخذتَ بالحزم، قال: إنّي خشيت ما رأيتك صنعتَ بأصحابي.

قال: وتشتَّتَ أمرُ حِمْيَرَ حينَ قُتِلَ أشرافُها، واختلفت عليه، حتى وثب على عمرو لُخَيعةُ يَنوف[٣]، ولم يكن من أهل بيت المملكة، فقتله واستولى على ملكه، وكان يقال له ذُو شنَاتر[٤] الحميريّ، وكان فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، وكان يبعثُ إلى أولاد الملوك فيلوطُ بهم، وكانت حِمْيَر إذا لِيطَ بالغلام لم تملّكه، وَلم ترتفع

(١) ثلج: اطمأنّ.
(٢) العُيّاف: جمع العائف: هو الذي يتنبأ بزجر الطير.
(٣) ينوف: يرتفع ويعلو.
(٤) الشناتر: الأصابع.

به، وَكانت له مَشرَبة(١)، يكون فيها يشرف على حرسه، فإذا أُتِيَ بالغلام أخرج رأسه إليهم وفي فِيه السّواكُ، فيقطعون مشافر ناقة المنكوح وذنبها، فإذا خرجَ صِيحَ به: أرَطبٌ أم يباس؟ فمكث بذلك زماناً. حتى نشأ زُرعةُ ذو نواس، وكانت له ذُؤابة، وبها سُمِّيَ ذا نُواس - وهو الذي تَهَوَّدَ، وتسمّى يوسف، وهو صاحب الأخدود بنَجران، وَكانوا نصارى فخَوَّفَهُمْ، وحَرقَ الإنجيلَ وهَدَّمَ الكنائسَ، ومن أجله غزت الحبشةُ اليمن لأنهم نَصَارى، فلما غلبوا على اليمن اعترض البحرَ، وَاقتحمه على فرس فغَرِقَ. فلما نشأ ذو نواس قيل له: كأنك وَقد فُعِلَ بكَ كذا وَكذا، فأخذ سِكّيناً لطيفاً خفيفاً وسَمَّه، وجعلَ له غلافاً، فلمّا دعا به لخيعة جعله بين أخمصه ونعله، وَأتاه على ناقة له يقال لها سرابٌ، فأناخها وصَعِدَ إليه، فلما قام يجامعه كما كان يفعلُ انحنى زُرعةُ، فأخذَ السّكين فوَجأ بها بطنَه، فقتله وَاحتزّ رأسه، فجعل السّواك في فِيهِ، وأطلعه من الكُوَّةِ، فرفع الحرسُ رؤوسَهم فرأوه، ونزل زُرعةُ فصاحوا: زُرعةُ يا ذا نواس، أرطب أم يباس؟ فقال: ستعلمُ الأحراس، اسْتُ ذِي نُواس، رَطب أم يباس؟ وجاءَ إلى ناقته فركبَها، فلما رأى الحرس اطِّلاعَ الرَّأس صعدوا إليه، فإذا هو قد قتل. فأتوا زُرعة، فقالوا: ما ينبغي أن يَمْلكنا غيرُكَ بعد أن أرَحْتنا من هذا الفاسق، واجتمعتْ حِميرٌ إليه، ثم كان مِنْ قصَّته ما ذكرناه آنفاً.

صوت

[البسيط]

يا رَبَّةَ البَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ... ضُمِّي إلَيْكِ رِحَالَ القَوْمِ والقُرُبا

في ليلةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ ... لا يُبْصِرُ الكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا الطُّنُبا(٢)

لا يَنْبَحُ الكَلْبُ فيها غَيْرَ وَاحِدَةٍ ... حَتَّى يَلُفَّ على خَيْشُومِهِ الذَّنَبا

الشعر لِمُرَّة بن محكان السَّعديّ، والغناء لابن سُريج، رَمَل بالوسطى، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو، وذكر حَبَش أن فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوُسطى، والله أعلم.

---

(١) المشربة: الغرفة المرتفعة.

(٢) الطُّنُب: الحبل الذي يشدّ به السّرادق.

أخبار مُرَّة بن مَحكان

[توفي ـ ٧٠ هـ/ ٦٩ م]

[اسمه ونسبه وجوده]

هُو مُرَّة بن مَحكان ولم يقع إلينا باقي نسبه، أحدُ بني سعد بن زيد مناة بن تَمِيم. شاعر مُقِلّ إسلاميّ من شُعراء الدَّولة الأموية، وكان في عصر جرير والفرزدق، فأخملا ذكره، لنباهتهما في الشعر. وكان مُرَّة شريفاً جوَاداً وهو أحد من حُبِس في المناحَرة والإطعام.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز، عن المدائنيّ، قال: كان مُرَّة بن مَحكان سَخِيّاً، وكان أبو البكراء يُوَائِمُه[1] في الشَّرَف، وهما جميعاً من بني الرَّبيع، فأنهب مُرَّة بنُ محكان مالَهُ الناسَ، فحبسَه عبيد الله بن زياد، فقال في ذلك الأُبيرِد الريّاحيّ: [الطويل]

حَبَسْتَ كَرِيماً أَنْ يَجُودَ بِمَالِهِ ... سَعَى في ثَأىً مِنْ قَوْمِه مُتَفَاقِمِ[2]
كَأَنَّ دِمَاءَ الْقَوْمِ إذ عَلِقُوا بِه ... على مُكْفَهِرٍّ مِنْ ثَنَايَا الْمَخَارِمِ
فإنْ أَنْتَ عَاقَبْتَ ابْنَ مَحْكَانَ في النَّدَى ... فعَاقِبْ هَدَاكَ اللَّهُ أَعْظَمَ حَاتِمِ

قال: فأطلقه عُبيد الله بن زياد، فذَبحَ أبو البكراء مائة شاة، فنَحَرَ مُرَّة بن محكان مائة بعير، فقال بعضُ شعراء بني تميم يمدح مُرَّة: [الوافر]

شَرَى مَائَةً فَأَنْهَبَهَا جَوَادَا ... وأَنْتَ تُنَاهِبُ الحَذَفَ القِهَادَا

ـ الحَذَف: صغار الغنم. والقِهاد: البيض ـ

---

(١) يوائمه: يوافقه.

(٢) الثأى: الفساد.

أخبرني أحمدُ بنُ محمد الأسديّ أبو الحسن، قال: حدّثنا الرياشيّ قال: سئل أبو عبيدة عن معنى قول مُرَّة بن مَحكان:

ضمِّي إليكِ رِحَالَ القومِ والقُرُبا

ما الفائدة في هذا؟ فقال: كان الضَّيفُ إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضمّوا إليهم رَحْلَه، وبَقِيَ سِلاحُهُ معه لا يؤخذ خوفاً من البيات، فقال مُرَّة بن محكان يخاطب امرأته: ضُمِّي إليكِ رِحَالَ هؤلاء الضِّيفان وسلاحَهم، فإنهم عندي في عِزٍّ وأمْن من الغارات والبَيَات، فليسوا ممّن يحتاجُ أن يبيتَ لابساً سلاحه.

[مصعب بن الزبير يسجنه ويأمر بقتله]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس، قال: كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجلٌ من بني تميم ـ يقال له مُرّة بن مَحكان ـ رجلاً، فلمّا أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مُرّة بن مَحكان يقول: [الطويل]

أَحَارِ تَثَبَّتْ في القَضَاءِ فإنَّهُ ... إذا ما إمَامٌ جَارَ في الحُكْمِ أَقْصَدَا[1]
وإنَّكَ مَوقُوفٌ على الحُكْمِ فاحْتَفِظْ ... ومَهْمَا تُصِبْهُ اليَوْمَ تُدْرِكْ به غَدا
فَإنّيَ مِمَّا أُدرِكُ الأمْرَ بالأنَى ... وأَقْطَعُ في رَأسِ الأَمِيرِ المُهَنَّدا[2]

فلمّا وُلِّيَ مُصعبُ بنُ الزبير دعاه، فأنشده الأبياتَ، فقال: أما والله لأقطعنّ السيفَ في رأسك قبل أن تقطعَه في رأسي، وأمر به فحُبِسَ، ثم دَسَّ إليه من قتله.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد عن أبيه، عن ابن جامع، عن يونس قال: جاءَ رجل من قريش إلى الغَريض فقال له: بأبي أنتَ وأمي إنّي جئتُك قاصداً من الطَّائف أسألك عن صوت تُغَنِّيني إياه، قال: وما هو؟ قال: لحنك في هذا الشعر: [الطويل]

تَشَرَّبَ لَوْنَ الرَّازِقِيِّ بَيَاضُهُ ... أو الزَّعْفَرانَ خالطَ المِسْكَ رَادِعُهْ[3]

---

(١) أقصدَ: أصاب المقتل.
(٢) الأنَى: الحلم والتروّي.
(٣) الرازقيّ: الخمر. ويقال قميص رادع: فيه أثر الطِّيب.

فقال: لا سبيلَ إلى ذلك، هذا الصّوتُ قد نهتني الجنُّ عنه، ولكنّي أُغَنّيكَ في شِعر لِمُرَّة بن مَحكان، وقد طرقه ضيفٌ في ليلة شاتِية، فأنْزَلهم ونَحَر لهم ناقته، ثم غنّاه قوله: [البسيط]

يـا رَبَّـة الـبـيـتِ قُـومِـي غَـيْـرَ صَـاغِـرَةٍ ضُـمِّـي إليـكِ رِحَـالَ الـقَـوْمِ والـقُـرُبـا

فأطربه، ثم قال له الغريض: هذا لحن أخذتُه من عبيد بن سُريج، وسأُغنّيك لحناً عملته في شعر على وزن هذا الشعر وَرويّه للحطيئة، ثم غنّاه: [البسيط]

مـا نَـقَـمُـوا مِـنْ بَـغِـيـضٍ لا أبَـا لَـهُـمُ في بَـائِـسٍ جَـاءَ يَـحْـدُو أَيْـنُـقاً شُـزُبَـا[1]
جَـاءَتْ بـه مِـنْ بِـلادِ الـطُّـورِ تَـحْـمِـلُـهُ حَـصَّـاءُ لَـم تَـتْـرُكْ دونَ الـعَـصَـا شَـذَبـا[2]

فقام القرشيّ، فقبَّلَ رأسَه، فقال له: فدتك نفسي وأهلي، لو لم أَقْدُمْ مكة لعمرة ولا لِبِرٍّ وتقوى، ثم قدمتُ إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلكَ قليلاً. ثم انصرف.

وحدّثني بعض مشايخ الكتّاب أنه دخل على أبي العُبيس بن حَمدون يوماً، فسأله أن يُقِيم عنده فأقام، وأتاهم أبو العُبيس بالطعام فأكلوا، ثم قُدِّم الشراب فشَربوا، وغنَّاهم أبو العُبيس يومئذٍ هذا الصوتَ: [الطويل]

أَلاَ مُـتَّ لا أُعْـطِـيْـتَ صَـبْـراً وعَـزْمَـةً غَـدَاةَ رَأَيْـتَ الـحَـيَّ لِـلْـبَـيْـنِ غَـادِيَـا
ولـم تَـعْـتَـصِـرْ عَـيْـنَـيْـكَ فَـكْـهَـةُ مَـازِحٍ كَـأَنَّـكَ قـد أَبْـدَعْـتَ إذ ظَـلْـتَ بَـاكِـيـا

فأحسن ما شاء، ثم ضرب ستارتَه وقال:

يَـا رَبَّـة الـبَـيْـتِ غَـنِّـي غَـيْـرَ صَـاغِـرَةٍ

فاندفعت عِرفانُ، فغنّتْ: [البسيط]

يـا رَبَّـةَ الـبـيـت قُـومـي غـيـرَ صَـاغِـرةٍ ضُـمِّـي إليـكِ رِحـالَ الـقَـوْمِ والـقُـرُبـا

قال: فما سمعت غناءً قَطُّ أحسن مما سمعتُه من غنائهما يومئذٍ.

---

(١) الشُّزُب: جمع الشّازب: الضامر.
(٢) الحَصَّاء: السنة المجدبة.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الطويل]

أَلاَ متَ لا أُعْطِيتَ صَبْراً وعَزْمَةً ... غَدَاةَ رَأَيْتَ الحَيَّ لِلبَيْنِ غَادِيَا
ولم تَعْتَصِرْ عَيْنَيْكَ فَكْهَةُ مَازِحٍ ... كَأَنَّكَ قد أَبْدَعْتَ إذ ظَلْتَ بَاكِيا[1]
فَصَيَّرْتَ دَمْعاً أَنْ بَكَيْتَ تَلَدُّداً ... به لِفِرَاقِ الإِلْفِ كُفْئاً مُوَازِيا
لقد جَلَّ قَدْرُ الدَّمْعِ عِنْدَكَ أَنْ تَرَى ... بُكَاءَكَ لِلبَيْنِ المُشِتِّ مُسَاوِيَا

الشعر لأعرابيّ أنشدناه الحرميُّ بن أبي العلاء، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناريّ عن إسحاق الموصليّ لأعرابيّ.

قال الديناريّ: وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب، وهو قائله وأظن هذا الشعر له، والغناء لعمرو بن بانة ثقيل أول بالبنصر من كتابه.

صوت

فَإِنْ تَكُ مِنْ شَيْبَانَ أُمِّي فَإِنَّنِي ... لأَبْيَضُ مِنْ عجلٍ عَريضِ المَفَارِقِ
وكيفَ بِذِكْرِي أُمَّ هَارُونَ بَعْدَ مَا ... خَبَطْنَ بِأَيْدِيهِنَّ رَمْلَ الشَّقَائِقِ
كَأَنَّ نَقاً مِنْ عَالِجٍ أُزِّرَتْ بِهِ ... إذا الزُّلُّ أَلْهَاهُنَّ شَدُّ المَنَاطِقِ[2]
وإِنَّا لَتَغْلِي في الشِّتَاءِ قُدورُنا ... ونَصْبِرُ تحتَ اللاَّمِعَاتِ الخَوَافِقِ

عروضه من الطويل، الشعر لِلعُذَيْل بن الفَرخ العِجْليّ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه، عن يونس وإسحاق، وفيه لهشام بن المرِّيَّة لحن من كتاب إبراهيم، وفيه لسنان الكاتب ثقيل أول عن الهشاميّ وحَبَش، وقال حبش خاصة: فيه لِلهذليّ أيضاً ثاني ثقيل بالوسطى.

(١) الفكهة: المزاح.
(٢) النَّقا: الكثيب من الرمل. وعالج: موضع بين فيد والقريات على طريق مكة (معجم البلدان ٤/ ٧٠). والزُّلّ: جمع زلاّء: المرأة التي قلّ لحم عجزها وفخذيها.

أخبار العُدَيل ونسبه

[توفي نجو ١٠٠ هـ/ نحو ٧١٨ م]

[اسمه ونسبه وفروسيته]

العُدَيل بن الفَرخ بن مَعن بن الأسود بن عمرو بن عَوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سُمَى بن الحارث ـ وهو العُكابة ـ بن ربيعة بن عِجْل بن لُجيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعميّ بن جديلةَ بن أسد بن ربيعة بن نِزار.

وقال أبو عبيدة: كان العُكابة اسمَ كلب للحارث بن ربيعة بن عِجل، فلقب باسم كلبه، وغَلَب عليه. قال: وكان عجل من مُحمّقي العرب، قيل له: إن لكل فَرسٍ جوادٍ اسماً وإن فرسَك هذا سابق جواد، فسمِّه، ففقأ إحدى عينيه وقال: قد سمّيته الأعور، وفيه يقول الشاعر: [الطويل]

رَمَتْنِي بَنُو عِجْلٍ بِدَاءِ أَبِيهِمُ ... وهل أَحَدٌ في النَّاسِ أَحْمَقُ مِنْ عِجْلِ؟
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنَ جَوَادِهِ ... فصَارَتْ به الأَمْثَالُ تُضْرَبُ بِالجَهْلِ[1]

والعُدَيل شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية، وكان له ثمانيةُ إخوة، وأمهم جميعاً امرأة من بني شيبان، ومنهم من كان شاعراً فارساً: أسود وسوادة وشَملة ـ وقيل سلمة ـ والحارث، وكان يقال لأمهم درماء.

وكان للعُديل وإخوته ابنُ عَمٍّ يسمّى عَمْراً، فتزوّجَ بنت عمٍّ لهم بغير أمرهم، فغضِبوا ورصدوه ليضربوه، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغاً، فوثب العُديلُ

(١) عار: فقأ.

وإخوتُه، فأخذوا سُيوفَهم، فقالت أمّهم: إنّي أعوذُ بالله من شرّكم، فقال لها ابنها الأسود: وأيَّ شيء تخافينَ علينا؟ فوالله لو حملنا بأسيافنا على هذا الجِنْو جِنو قُراقر[1] لما قاموا لنا! فانطلقوا حتى لقوا عَمْراً، فلما رآهم ذُعِر منهم وناشدهم، فأبوا، فحمل عليه سَوادة فضرب عَمْراً ضربة بالسيف، وضربه عمرو فقطع رِجله فقال سوادة: [الوافر]

أَلاَ مَـنْ يَـشْـتَـرِي رِجْـلاً بِـرِجْـلٍ تَـأَبَّـى لِـلْـقِـيَـامِ فَـلا تَـقُـومُ

وقال عمرو لدابغ: اضربْ وأنت حرّ، فحمل دابغ، فقتل منهم رجلاً، وحمل عمرو فقتل آخر، وتداولاهم فقتلا منهم أربعةً، وضُرب العُدَيل على رأسِه، ثم تفرّقوا وهربَ دابغ، حتى أتى الشأم، فداوى ربضةُ بن النعمان الشيبانيّ للعُديل ضربته، ومكث مدة.

ثم خرج العُدَيل بعد ذلك حاجّاً، فقيل له إن دابغاً قد جاء حاجّاً، وهو يرتحل، فيأخذُ طريقَ الشأم، وقد اكترى. فجعل العُدَيْلُ عليه الرَّصدَ، حتى إذا خرج دابغ ركب العديلُ راحلتَه وهو متلثّم، وانطلق يتبعه حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العُديل ويقول: [الرجز]

يـا دَارَ سَـلْـمَـى أَقْـفَـرَتْ مِنْ ذِي قَـارْ وهَـلْ بِـإِقْـفَـارِ الـدِّيَـارِ مِـنْ عَـارْ
وقـد كَـسَـيْـنَ عَـرَقـاً مِـثْـلَ الـقَـارْ يَـخْـرُجْـنَ مِـنْ تَـحْـتِ خِـلالِ الأَوْبَـارْ

فلحقه العُدَيل، فحبس عليه بعيرَه وهو لايعرفه، ويسيرُ رُويداً ودابغ يمشي رُويداً، وتقدمت إبلُه فذهبت، وإنما يريدُ أن يباعده عنها بوادي حُنَين[2]، ثم قال له العُدَيل: والله لقد استرخى حَقَبُ[3] رَحلي، أنزل فأُغيّر الرَّحْلَ وتُعينُني. فنزل فغيَّرَ الرَّحْلَ، وجعل دابغٌ يُعِينُه، حتى إذا شدّ الرَّحْلَ أخرج العُديلُ السّيف، فضربه حتى بَرَدَ، ثم ركب راحلتَه فنجا، وأنشأ يقول: [الطويل]

أَلَـمْ تَـرَنِـي جَـلَّـلْـتُ بِـالسَّـيْـفِ دَابـغـاً وإنْ كَـانَ ثَـأراً لـم يُـصِـبْـهُ غَـلِـيـلِـي
بِـوَادِي حُـنَـيْـنٍ لَـيْـلَـةَ الـبَـدْرِ رُعْـتُـهُ بِـأبـيـضَ مِـنْ مَـاءِ الـحَـدِيـدِ صَـقِـيـلِ
وقـلـتُ لَـهُـمْ: هـذا الـطَّـرِيـقُ أَمَـامَـكُـمْ وَلَـم أَكُ إذ صَـارُوا لَـهُـمْ بِـدَلِـيـلِ

(١) قراقر: موضع قرب ذي قار. وذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة (معجم البلدان ٤/ ٢٩٣).
(٢) وادي حُنين: وادٍ بجنب ذي المجاز (معجم البلدان ٢/ ٣١٣).
(٣) الحَقَب: الحزام الذي يلي حقو البعير.

وقال أبو اليقظان: كان العُديلُ هجا جرثومة العَنزيّ الجلاّنيّ فقال فيه[الطويل]

أُهَاجِي بَنِي جِلاَّن إذ لم يَكُنْ لَهَا … حَدِيثٌ ولا فِي الأوَّلِينَ قَدِيمُ

فأجابه جرثومة فقال: [الطويل]

وإنَّ امْرَأً يَهْجُو الكِرَامَ ولم يَنَلْ … مِنَ الثَّأرِ إلاَّ دَابِغاً لَلَئِيمُ
أَتَطْلُبُ في جِلاَّنَ وِتْراً تَرُومُهُ … وفَاتَكَ بالأوتارِ شَرٌّ غَرِيمِ(١)

[الحجّاج يعفو عنه فيمدحه]

قالوا: واستعدى مولًى دابغ على العُديل الحجّاجَ بن يوسُف، وطالبه بالقَوَد فيه، فهرب العُديلُ من الحجّاج إلى بلد الروم، فلمّا صارَ إلى بلد الروم لجأ إلى قيصر، فأمَّنه، فقال في الحجّاج: [الطويل]

أُخَوَّفُ بالحَجَّاجِ حَتَّى كَأَنَّمَا … يُحَرَّكُ عَظْمٌ في الفؤادِ مَهِيضُ(٢)
ودونَ يَدِ الحَجَّاجِ مِنْ أنْ تَنَالَني … بِسَاطٌ لأيْدِي النَّاعِجَاتِ عَرِيضُ(٣)
مَهَامِهُ أشْبَاهٌ كَأنَّ سَرَابَهَا … مُلاَءٌ بِأيدِي الرَّاحِضَاتِ رَحِيضُ(٤)

فبلغ شعرهُ الحجاج، فكتب إلى قيصر: لتبعَثَنَّ به أو لأُغْزِينّك جَيشاً يكون أوله عندكَ وآخره عندي، فبعَث به قيصر إلى الحجاج، فقال له الحجَّاج لما أُدخل عليه: أأنت القائل: ودون يد الحجاج من أن تنالَني... فكيف رأيتَ اللّه أمكَن منك؟ قال: بل أنا القائل أيها الأميرُ: [الطويل]

فلو كُنْتُ في سَلْمَى أجاً وشِعَابِها … لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلَيَّ سَبِيلُ(٥)
خَلِيلُ أَمِيرِ المُؤمنينَ وسَيْفُهُ … لِكُلِّ إمَامٍ مُصْطَفى وخَلِيلُ
بَنَى قُبَّةَ الإسْلامِ حَتَّى كَأنَّمَا … هَدَى النَّاسَ من بعدِ الضَّلالِ رَسُولُ

فخلّى سبيله، وتحمّلَ دِيَةَ دابغ في ماله.

أخبرني عَمّي وحبيب بن نصر المهلّبي، قالا: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد

---

(١) الوتر: الثأر.
(٢) المَهيض: المكسور بعد انجباره.
(٣) الناعجات: السريعات.
(٤) الراحضات: الغاسلات.
(٥) سلمى وأجأ: جبلا طيء (معجم البلدان ٣/ ٢٣٨).

قال: حدّثني محمد بن منصور بن عَطية الغنويّ قال: أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن أبي عثمان البُقطُريّ قال: خرج العُديل بن الفَرخ يريد الحجاج، فلما صار ببابه حجبه الحاجبُ، فوثب عليه العُديل، وقال: إنه لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريش أكبرُ مني ولا أولى بهذا الباب، فنازعه الحاجبُ الكلامَ، فأحفظه، وانصرف العديل عن باب الحجّاج إلى يزيدَ بن المهلب، فلما دخل إليه أنشأ يقول:

[الطويل]

لَئِنْ أَرْتَجِ الحَجَّاجُ بالبُخْلِ بَابَهُ ... فبَابُ الفتَى الأزدِيّ بِالعُرفِ يُفْتَح[1]
فتًى لا يُبَالِي الدَّهْرَ ما قَلَّ مَالُهُ ... إذا جُعِلَتْ أَيْدِي المَكَارِمِ تَسْنَحُ
يَدَاهُ يَدٌ بِالعُرْفِ تُنْهِبُ ما حَوَتْ ... وأُخْرَى على الأعداءِ تَسْطُو وتَجْرَحُ
إذا ما أَتَاهُ المُرْمِلُونَ تَيَقَّنُوا ... بِأَنَّ الغِنَى فيهم وَشِيكاً سَيَسْرَحُ[2]
أَقَامَ على العَافِينَ حُرَّاسَ بَابِهِ ... يُنادُونَهُمْ وَالحُرُّ بالحُرِّ يَفْرَحُ[3]
هَلُمُّوا إلى سَيْبِ الأميرِ وَعُرْفِهِ ... فإنَّ عَطَايَاهُ على النَّاسِ تَنْفَحُ[4]
وليس كَعِلْجٍ مِنْ ثَمُودَ بِكَفِّهِ ... مِنَ الجُودِ وَالمَعْرُوفِ حَزْمٌ مُطَوَّحُ[5]

فقال له يَزيدُ: عَرَّضتَ بنا وَخاطرْتَ بدمكَ، وبالله لا يصلُ إليك وَأنت في حَيِّزي، فأمر له بخمسين ألف درهم، وحمله على أفراس، وَقال له: الحق بعلياء نَجد، واحذر أن تعلقكَ حبائلُ الحجّاج أو تحتجنَكَ مَحَاجِنُهُ[6]، وابعث إليَّ في كُلِّ عام، فلك عليّ مثلُ هذا، فارتحل. وبلغ الحجاجَ خَبرُه، فأحفظه ذلك على يزيد، وطلب العُديلَ ففاته، وقال لما نجا: [الطويل]

وَدُونَ يَدِ الحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَني ... بِسَاطٌ لأَيدِي النَّاعِجَاتِ عَرِيضُ

قال: ثم ظَفِرَ به الحجّاج بعد ذلك، فقال: إيه، أنشدني قولَكَ:

ودون يد الحجَّاجِ من أن تنالني

(١) أرتج بابه: أغلقه. والأزدي: هو يزيد بن المهلّب.
(٢) المرملون: جمع المرمل: الذي نفد زاده.
(٣) العافون: السائلون.
(٤) السَّيب: العطاء.
(٥) العلج: الرجل الغليظ الشديد.
(٦) المحاجن: جمع المحجن: العصا المعوجّة.

فقال: لم أقل هذا أيها الأمير، ولكني قلت: [الطويل]

إذا ذُكِرَ الحَجَّاجُ أضْمَرْتُ خِيفَةً ... لَهَا بَيْنَ أحْنَاءِ الضُلوعِ نَفِيضُ

فتبسّمَ الحَجّاجُ، وقال: أولى لك! وعفا عنه، وفرض له.

وقال أبو عمرو الشيباني: لما لَجَّ الحَجَّاجُ في طلب العُدَيل لفظته الأرض، ونبَا به كلُّ مكان هربَ إليه، فأتى بكرَ بنَ وائل، وهم يومئذٍ بَادُون جميعٌ، منهم بَنو شيبان وبَنو عجل وبَنو يشكُر، فشكا إليهم أمرَه، وقال لهم: أنا مقتول، أفتُسلمونني هكذا وأنتم أعزُّ العرب؟ قالوا: لا والله، ولكنّ الحجّاج لا يُرَاغَمُ، ونحن نستوهِبُك منه، فإن أجابنا فقد كُفِيتَ، وإنْ حَادَّنا[1] في أمرك منعنَاكَ، وسألنا أمير المؤمنين أن يَهبكَ لنا. فأقام فيهم، واجتمعتْ وجوه بكرِ بنِ وَائل إلى الحجّاج، فقالوا له: أيها الأميرُ، إنا قد جَنيْنَا جميعاً عليكَ جنايةً لا يُغفرُ مثلُها، وها نحن قد استسلمنا، وألقينا بأيدينا إليك، فإمّا وهبتَ فأهلُ ذلك أنت، وإمَّا عاقبتَ، فكنتَ المسلّطَ، الملك العادل. فتبسّم، وقال: قد عفوْت عن كل جرم إلا جُرْمَ الفاسق العُديل، فقاموا على أرجلهم، فقالوا: مثلُك أيها الأميرُ لا يَستثني على أهل طاعته وأوليائه في شيء فإن رأيتَ ألاّ تكدِّر مِننَكَ باستثناء، وأن تَهَبَ لنا العُديل في أولِ من تَهَب! قال: قد فعلت فهاتوه قبَّحه الله، فأتوه به، فلما مَثَلَ بين يديه أنشأ يقولُ:

فلو كُنْتُ في سَلْمَى أجاً وشِعَابِها ... لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلَيَّ دَلِيلُ

بَنَى قُبَّةَ الإسْلام حَتّى كَأنَّما ... هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلالِ رَسُولُ

إذا جَارَ حُكْمُ النَّاسِ ألْجَأ حُكْمَهُ ... إلى اللَّهِ قَاضٍ بالكتابِ عقولُ

خَلِيلُ أميرِ المُؤمنينَ وسَيْفُهُ ... لِكُلِّ إمام صَاحِبٌ وخَلِيلُ

بهِ نَصَرَ اللَّهُ الخَلِيفةَ مِنْهُمُ ... وثَبَّتَ مُلْكاً كَادَ عنه يَزُولُ

ويروى: به نَصرَ اللَّهُ الإمامَ عليهم.

فأنتَ كَسَيفِ اللَّهِ في الأرْضِ خَالِدٍ ... تَصُولُ بِعَوْنِ اللَّهِ حِينَ تَصُولُ

وجَازَيْتَ أصْحَابَ البَلاءِ بَلاءَهُمْ ... فَمَا مِنْهُمُ عَمَّا تُحِبُّ نُكُولُ[2]

وَصُلْتَ بِمرَّانِ العِرَاقِ فَأصْبَحَتْ ... مَنَاكِبُها لِلوطءِ وَهْيَ ذَلُولُ[3]

---

(١) حَادّنا: غاضبنا.

(٢) النكول: النكوص والجبن.

(٣) مرّان: قرية غنَّاء بين البصرة ومكة (معجم البلدان ٥/ ٩٥).

ـ أقام الواحد مقامَ الجمع في قوله: ذلول ـ

أَذَقْتَ الحِمَامَ ابْنَيْ عُبَادٍ فَأَصْبَحُوا ... بِمَنْزِلِ مَوهُونِ الجَنَاحِ ثَكُولِ[1]
ومِنْ قَطَرِيٍّ نِلْتَ ذَاكَ وحَوْلَهُ ... كَتَائِبُ مِنْ رَجَّالَةٍ وَخُيولُ
إذا ما أَتَتْ بَابَ ابْنِ يُوسُفَ نَاقَتِي ... أَتَتْ خَيْرَ مَنزولٍ به ونَزِيلِ[2]
وما خِفْتُ شيئاً غَيْرَ رَبِّيَ وَحْدَهُ ... إذا ما انْتَحَيْتُ النَّفْسَ كيفَ أَقُولُ؟
تَرَى الثَّقلَيْنِ الجِنَّ والإِنْسَ أَصْبَحَا ... على طَاعَةِ الحَجَّاجِ حِينَ يَقُولُ

فقال له الحجَّاجُ: أولى لك فقد نجوتَ! وفرض له، وأعطاه عطاءه، فقال يمدح سائر قبائل وائل، ويذكُر دفعَها عنه، ويفتخرُ بها: [الكامل]

صَرَمَ الغَوَانِي واسْتَرَاحَ عَوَاذِلِي ... وصَحَوْتُ بَعْدَ صَبَابَةٍ وتَمَايُلِ
وذَكَرْتُ يَوْمَ لِوَى عَتِيقٍ نِسْوَةً ... يَخْطِرْنَ بينَ أَكِلَّةٍ ومَرَاحِلِ[3]
لَعِبَ النَّعِيمُ بِهِنَّ في أَظْلالِهِ ... حَتَّى لَبِسْنَ زَمَانَ عَيْشٍ غَافِلِ

صوت

يَأْخُذْنَ زِينَتَهُنَّ أَحْسَنَ مَا تَرَى ... وإذا عَطِلْنَ فَهُنَّ غَيْرُ عَوَاطِلِ[4]
وإذا خَبَأْنَ خُدُودَهُنَّ أَرَيْنَنَا ... حَدَقَ المَهَا وأَجَدْنَ سَهْمَ القَاتِلِ
ورَمَيْنَنِي لاَ يَسْتَتِرْنَ بِجُنَّةٍ ... إلَّا الصِّبَا وعَلِمْنَ أَيْنَ مَقَاتِلِي[5]
يَلْبَسْنَ أَرْدِيَةَ الشَّبَابِ لأَهْلِهَا ... ويَجُرُّ بَاطِلُهُنَّ حَبْلَ البَاطِلِ

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سُريج ثاني ثقيل بالوُسطى من رواية يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي إلى ابن سُريج.

بَيْضَ الأَنُوقِ كَأَنَّهُنَّ، ومَنْ يُرِدْ ... بَيْضَ الأنوق فوكْرُها بِمَعَاقِلِ[6]
زَعَمَ الغَوَانِي أَنَّ جَهْلَكَ قد صَحَا ... وسَوَادَ رَأْسِكَ فَضْلُ شَيْبٍ شَامِلِ

---

(١) في هذا البيت إقواء.
(٢) في البيت إقواء.
(٣) يخطرن: يتمايلن. والأكِلّة: جمع الإكليل. والمراحل: ضرب من الثياب مرسوم عليها صور الرِّحال.
(٤) عطلت المرأة: لم تلبس الحلي.
(٥) الجُنّة: غطاء الرأس والوجه ما عدا العينين.
(٦) الأنوق: العُقّاب، ويضرب المثل ببيضه فيقال: أعزّ من بيض الأنوق، وهو يضرب للأمر الصعب لأن الأنوق تحرز بيضها في القمم العالية فلا يكاد يظفر به.

ورَآكَ أَهْلُكَ مِنْهُمُ ورأَيْتَهُمْ … ولقد تَكُونُ مع الشَّبَابِ الخَاذِلِ
وإذا تَطَاوَلَتِ الجِبَالُ رَأَيْتَنَا … بِفُرُوعِ أَرْعَنَ فوقَها مُتَطَاوِلِ
وإذا سَأَلْتَ ابْنَيْ نِزَارٍ بَيَّنَا … مَجْدِي ومَنْزِلَتي منِ ابْنَيْ وَائِلِ
حَدِبَتْ بَنُو بَكْرٍ عَلَيَّ وفِيهِمُ … كُلُّ المَكَارِمِ والعَدِيدِ الكَامِلِ
خَطَروا وَرَائِي بالقَنَا وتَجَمَّعَتْ … مِنْهُمْ قَبَائِلُ أُرْدِفُوا بِقَبَائِلِ
إنَّ الفَوَارِسَ مِنْ لُجَيْمٍ لم تَزَلْ … فيهم مَهَابَةُ كُلِّ أَبْيَضَ نَاعِلِ
مُتَعَمِّمٍ بالتَّاجِ يَسْجُدُ حَوْلَه … مِنْ آلِ هَوْذَةَ لِلْمَكَارِمِ حَامِلِ
أو رَهْطِ حَنْظَلَةَ الَّذِينَ رِمَاحُهُمْ … سُمُّ الفَوَارِسِ حَتْفُ مَوتٍ عَاجِلِ
قَوْمٌ إذا شَهَرُوا السُّيُوفَ رَأَوْا لها … حَقّاً ولم يَكُ سَلُّها لِلْبَاطِلِ
ولَئِنْ فَخَرْتُ بهم لِمِثْلِ قَدِيمِهِمْ … بَسَطَ المُفَاخِرُ لِلِّسَانِ القَائِلِ
أولادُ ثَعْلَبَةَ الَّذِينَ لِمِثْلِهِمْ … حِلْمُ الحَلِيمِ وَرَدُّ جَهْلِ الجَاهِلِ
ولَمَجْدُ يَشْكُرَ سَوْرَةٌ عَادِيَّةٌ … وأَبٌ إذا ذَكَرُوهُ لَيسَ بِخَامِلِ[1]
وَبَنُو القدارِ إذا عَدَدْتَ صَنِيعَهُمْ … وَضَحَ القَدِيمُ لَهم بِكُلِّ مَحَافِلِ
وإذا فَخَرْتَ بِتَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ … فاذْكُرْ مَكَارِمَ مِنْ نَدًى وشَمَائِلِ
ولِتَغْلِبَ الغَلْبَاءِ عِزٌّ بَيِّنٌ … عَادِيَّةٌ ويَزِيدُ فَوقَ الكَاهِلِ
تَسْطُو على النُّعْمَانِ وابْنِ مُحَرِّقٍ … وابْنَيْ قَطَامِ بِعِزَّةٍ وتَنَاوُلِ
بِالمُقْرَبَاتِ يَبِتْنَ حَوْلَ رِحَالِهِمْ … كَالقِدِّ بَعْدَ أَجِلَّةٍ وصَوَاهِلِ[2]
أولاد أَعْوَجَ والصَّرِيحِ كَأَنَّها … عِقْبَانُ يَوْمِ دُجُنَّةٍ ومَخَايِلِ[3]
يَلْقِطْنَ بعدَ أُزُومِهِنَّ على الشَّبَا … عَلَقَ الشَّكِيمِ بِأَلْسُنٍ وجَحَافِلِ[4]
قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْوَةً … وقَنَا الرِّمَاحِ تَذُودُ وِرْدَ النَّاهِلِ
مِنْهُمْ أَبُو حَنَشٍ وكَانَ بِكَفِّهِ … رِيُّ السِّنَانِ ورِيُّ صَدْرِ العَامِلِ
ومُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ إنْ فَخَرُوا به … ونَدَى كُلَيْبٍ عِنْدَ فَضْلِ النَّائِلِ
حَجَبَ المَنِيَّةَ دونَ واحِدِ أُمِّهِ … مِنْ أَنْ تَبِيتَ وصَدْرُها بِبَلابِلِ[5]

---

(١) يشكر: بن بكر بن وائل بن قاسط من بني أسد بن ربيعة بن عدنان، جدّ جاهلي. والسورة: السّطوة.
(٢) المُقرَبات: جمع المُقرَبة من الخيل: الذي يُقرَّب معلفه ومربطه لكرامته.
(٣) أعوج: اسم فحل من الخيل لبني هلال. والصريح: فرس لعبد يغوث بن حرب وآخر لبني نهشل وثالث للخم. والمخايل: جمع مخيلة: السحابة التي تُظَنُّ أنها ماطرة وهي ليست كذلك.
(٤) الأزوم: العضّ. والشبا: جمع الشباة: حدّ كلّ شيء. والشكيم: جمع الشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللّجام.
(٥) البلابل: الهموم.

كَفَى مُجَالَسَةَ السِّبَابِ فلم يَكُنْ ... يُسْتَبُّ مَجْلِسُهُ وحقّ النَّازِلِ
حَتَّى أَجَارَ على المُلوكِ فلم يَدَعْ ... حَرِباً ولا صَعِراً لِرَأْسٍ مَائِلِ[1]
في كُل حَيٍّ لِلهُذَيْلِ ورَهْطِهِ ... نَعَم وأخذُ كَرِيمَةٍ بِتَنَاوُلِ
بِيضٌ كَرَائِمُ رَدُّهُنَّ لِعَنْوَةٍ ... أَسَلُ القَنَا وأُخِذْنَ غَيْرَ أَرَامِلِ
أَبْنَاؤُهُنَّ مِنَ الهُذَيْلِ ورَهْطِهِ ... مِثْلُ المُلوكِ وعِشْنَ غَيْرَ عَوَامِلِ

وقال أبو عمرو أيضاً: قال العُذَيل لرجل من موالي الحجّاج كان وجّهه في جيش إلى بني عِجْل يطلب العُذيل حين هرَبَ منه، فلم يقدر عليه، فاستاق إبلَه، وأحرق بيته، وسلب امرأته وبناتِه وأخذ حُليَّهنَّ، فدخل العُذيلُ يوماً على الحجّاج ومولاه هذا بين يديْه واقف فتعلَّقَ بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول:

صوت

[الطويل]

سَلَبْتَ بَنَاتِي حَلْيَهُنَّ فَلَمْ تَدَعْ ... سِوَاراً ولاَ طَوْقاً على النَّحْرِ مُذْهَبا

ـ هكذا في الشعر: سلبتَ بناتي، والغناءُ فيه: سلبتَ الجواري حَلْيهن ـ

ومـا عَزَّ في الآذانِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... تُعَطَّلُ بالبِيضِ الأَوَانِسَ رَبْرَبَا
عَوَاطِلُ إِلَّا أَنْ تَرَى بِخُدودِهَا ... قَسَامَةَ عِتْقٍ أوْ بَنَاناً مُخَضَّبا[2]
فَكَكْتَ البُرَيْنَ عن خِدَالٍ كَأَنَّهَا ... بَرَادِيُّ غِيلٍ مَاؤُهُ قد تَنَضَّبَا[3]
مِنَ الدُّرِّ واليَاقُوتِ عن كُلِّ حُرَّةٍ ... تَرَى سِمْطَهَا بين الجُمَانِ مُثَقَّبا[4]
دَعَوْنَ أَمِيرَ المؤمنين فلم يُجِبْ ... دُعَاءً ولم يُسْمِعْنَ أُمّاً وَلا أَبَا

غَنَّى في الأول والرابع من هذه الأبيات أحمدُ النصيبي الهمذانيّ ثان ثقيل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق، وفيهما ثقيل أول بالسَّبابة والوُسطى، نسبه ابن المكي إلى عبد الرحيم الدَّفَّاف، ونسبه الهشاميّ إلى عبد الله بن العباس.

---

(١) الحَرِب: الشديد الغضب. والصَّعِر: المتكبّر.
(٢) القسامة: الحسن والجمال.
(٣) البرين: جمع البرة: الخلخال. والخدال: جمع الخدلة: الساق الملتفّة المستديرة المتناسقة. والبراديّ: جمع البردي: ضرب من النبات المائي المستقيم الذي تعمل منه أوراق البردي. والغِيل: الأجمة.
(٤) السِّمط: الخيط المشكوك بالخرز.

[شماتته بعدوٍّ له]

وقال أبو عمرو الشيباني: أصاب رجل من رهط العُديل من بني العكابة أنف رجل من بني عِجل يقال له جَبَّار، فقال العُديلُ في ذلك ـ وكان عَدُوّاً له: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ جَبَّاراً ومَارِنَ أَنْفِهِ   لـه تُلَمٌ يَهْوِينَ أَنْ يَتَنَخَّعَا[١]
ونحنُ جَدَعْنَا أَنْفَه فكأنَّما   يَرَى النَّاسَ أَعْدَاءً إذا هو أَطْلَعا
كُلُوا أَنْفَ جَبَّارٍ بِكَاراً فإنَّما   تَرَكْنَاهُ عن فَرْطٍ مِنَ الشَّرِّ أَجْدَعا
معاقدُ مِنْ أَيْدِيهِمُ وأُنُوفِهِمْ   بِكَاراً ونِيباً تَرْكَبُ الحَزْنَ ظُلَّعا[٢]

قال: وكان رجلٌ من رَهط العُدَيل أيضاً ضربَ يد وكيع أحدِ بني الطاغية، وهما يشربان، فقطعهما وافترقا، ثم هرب العُديلُ وأبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخَر بقطع أنف جبَّار ويد وكيع، لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفَه ويدَه دون من فَعلَ ذلك بهم، فلجأ إلى عُفَير بن جُبير بن هلال بن مُرة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشَم بن قيس بن عجل، فقال العُديلُ في ذلك: [الطويل]

تَرَكْتُ وَكِيعاً بعدَ مَا شَابَ رَأْسُهُ   أَشَلَّ اليَمِينِ مُستَقِيمَ الأَخَادِعِ[٣]
فَشَرِّبْ بها وُرْقَ الإِفَالِ وكُلْ بِهَا   طَعامَ الذَّلِيلِ وانْجَحِرْ في المَخَادِعِ[٤]

فقالتْ بنو قَيس بن سعد للفَرخ أبي العديل: يا فرخُ أنصفْ قَومك، وأعطِهم حقَّهم، فركبَ إليهم الفرخُ، ومعه حسَّانُ بن وقَّاف ودينار (رجلان من بني الحارث) فأسرته بنو الطَّاغية، وانتزعوه من الرجلين، وتوجَّهوا به نحو البصرة، فرجع حسان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم، فركب النفير في طلب بني الطاغية، فأدركوا منهم رجلاً فأسروه بدل الفرخ. ثم إن عُفَيْراً لَحِقَ بهم، فاشترى منهم الجراحةَ بسبعين بعيراً، وأخذ الفرخ منهم فأطلَقه، فقال العُديلُ في ذلك: [الطويل]

ما زَالَ في قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ لِجَارِهِمْ   على عَهْدِ ذِي القَرْنَيْنِ مُعْطٍ ومَانِعُ

---

(١) مَارنُ أنفه: مالان منه. ويتنخَّع: يرمي نخاعته.
(٢) البكار: جمع البكرة: الناقة الفتيّة. والنيب: جمع الناب: الناقة المسنّة. والحَزْن: الأرض الصلبة. والظَّلَع: الغمز في المشي من التعب.
(٣) الأخادع: جمع الأخدع: أحد العرقين في جانبي العنق.
(٤) الوُرْق: جمع الأورق: الذي في لونه بياض وسواد. والإفال: جمع الأفيل: الصغير من الابل.

هُمُ اسْتَنْقَذُوا حَسَّانَ قَسْراً وأَنْتُمُ لِئَامُ المَقَامِ والرِّمَاحُ شَوَارِعُ
غَدَرْتُمْ بِدِينَارٍ وحَسَّانَ غَدْرَةً وبِالفَرْخِ لَمّا جَاءَكُمْ وهو طَائِعُ
فلولا بَنُو قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ لأَصْبَحَتْ عَلَيَّ شِدَاداً قَبْضُهُنَّ الأَصَابِعُ
ألاَ تَسْأَلُونَ ابْنَ المُشَتَّمِ عَنْهُمُ جُعَامَةَ والجِيرَانُ وَافٍ وظَالِعُ

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثنا الرياشي عن الأصمعيّ قال: قال أبو النجم للعُدَيل بن الفرخ: أرأيت قولك: [الطويل]

فَإِنْ تَكُ مِنْ شَيْبَانَ أُمّي فَإِنَّني لأَبْيَضُ عِجْلِيٌّ عَرِيضُ المَفَارِقِ؟

أكنتَ شاكّاً في نسبك حين قلتَ هذا؟ فقال له العُديْل: أفشككت في نفسك أو شعرك حين قلت: [الرجز]

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وشِعْرِي شِعْرِي لِلَّهِ دَرِّي ما يُجِنُّ صَدْرِي

فأمسك أبو النَّجم واستحْيا.

[بينه وبين مالك بن مسمع]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا الرياشيّ عن العُتبيّ قال: حَمَل زياد إلى معاويةَ مالاً من البصرة، ففزعتْ تميم والأزد وربيعة إلى مالك ابن مِسمَع، وكانت ربيعةُ مجتمعةً عليه كاجتماعها على كُلَيب في حياته، واستغاثوا به، وقالوا: يَحملُ المال، ونبقى بلا عطاء. فركب مالك في ربيعة، واجتمع الناسُ إليه، فلحق بالمال فَردَّهُ، وضربَ فُسطاطاً[1] بِالمِرْبَد، وأنفق المالَ في النّاس حتى وَفَّاهُم عطاءَهم، ثم قال: إن شئتم الآن أن تحملوا فاحملوا، فما راجعه زياد في ذلك بحرف.فلمّا وَلِيَ حمزةُ بن عبد الله بن الزبير البَصرة، جمع مالاً ليحملَه إلى أبيه، فاجتمع الناس إلى مالك، واستغاثوا به، ففعل مثل فعلِه بزياد، فقال العُديلُ بنُ الفَرخ في ذلك: [الكامل]

إذا ما خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلاَمَةً دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْماً فَعَسْكَرَا
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجاً إِلى بَابِ دَارِهِ إذا شَاءَ جَاؤوا دَارِعِينَ وحُسَّرَا

(١) الفسطاط: بيت من الشَّعَر.

وأولُ هذه القصيدة: [الطويل]

أَمِنْ مَنْزِلٍ مِنْ أُمِّ سَكْن عَشِيَّةً ظَلِلْتُ به أَبْكِي حَزِيناً مُفَكِّرَا
معي كُلُّ مُسْتَرْخِي الإِزَارِ كَأَنَّهُ إذا ما مَشَى مِنْ جنِّ غِيلٍ وعَبْقَرا[1]
يُزَجِّي المَطَايا لا يُبَالي كِلَيْهِمَا مُقَلَّصَة خُوصاً مِنَ الأَيْنِ ضُمَّرَا[2]

[شهادة الفرزدق له]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حدّثني عليّ بن الحسن الشَّيبليّ قال: حدّثني عبدة بن عِصْمة بن معبد القَيسِيّ قال: حدّثني جدي أبو أمي فِراس بن خِندف، عن أبيه، عن جده عليّ بن شَفيع قال: لقيتُ الفرزدقَ منصرفَه عن بكر بن وائل؛ فقلت له: يا أبا فِراس، مَنْ شاعرُ بكر بن وائل مِمّن خلفْته خلفك؟ قال: أميم بني عِجل - يعني العديلَ بنَ الفرخ - على أنه ضائع الشعر، سروقٌ للبيوت.

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن إسحاق عن الهيثم بن عديّ، عن حماد الراوية قال: لَمّا قدمَ الحَجّاجُ العراقَ قال العُديل بنُ الفَرخ: [الطويل]

دَعُوا الجُبْنَ يا أَهْلَ العِرَاقِ فَإِنَّما يُهَانُ ويُسْبَى كُلُّ مَنْ لا يُقَاتِلُ
لَقَدْ جَرَّدَ الحَجَّاجُ لِلحَقِّ سَيْفَهُ أَلاَ فَاسْتَقِيمُوا لا يَمِيلَنَّ مَائِلُ
وخَافُوه حَتَّى القَوْمُ بينَ ضُلُوعِهِم كَنَزْوِ القَطَا ضُمَّتْ عليه الحَبَائِلُ
وأَصْبَحَ كَالبَازِي يُقَلِّبُ طَرْفَهُ على مَرْقَبٍ والطَّيْرُ منه دَوَاجِلُ[3]

قال: فقال الحجّاج - وقد بَلَغتْه - لأصحابه، ما تقولون؟ قالوا: نَقُول إنه مدحكَ، فقال: كَلاَّ ولكنه حَرَّضَ عَلَيَّ أهلَ العراق، وأمر بطلبه فهرَب وقال: [الطويل]

أُخَوَّفُ بِالحَجَّاجِ حَتَّى كَأَنَّمَا يُحَرَّكُ عَظْمٌ في الفُؤادِ مَهِيضُ
ودون يَدِ الحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَني بِسَاطٌ لأَيدِي النَّاعِجَاتِ عَرِيضُ
مَهَامِهُ أَشْبَاهٌ كَأَنَّ سَرَابَها مُلاَءٌ بِأَيدِي الغَاسِلاتِ رَحِيضُ

---

(١) غيل وعبقر: مكانان تزعم العرب أنهما من مساكن الجنّ. وغِيل: وادٍ لبني جعدة.
(٢) الأين: التعب.
(٣) الدواجل: الهاربة المختبئة.

فجَدَّ الحجاجُ في طلبه حتى ضَاقتْ عليه الأرضُ، فأتى واسطاً[1] وتَنَكَّر، وأخذ رُقعةً بيده، ودخل إلى الحجّاج في أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقولُ: [الطويل]

هَـأَنَـذَا ضَـاقَـتْ بِـيَ الأرضُ كُـلُّـهـا ... إلـيـكَ وقـد جَـوَّلْـتُ كُـلَّ مَـكَـانِ

فلو كُنْتُ في ثَهْلاَنَ أو شُعْبَتَيْ أجاً ... لَـخِـلْـتُـكَ إلّا أنْ تُـصَـدَّ تَـرَانِـي

فقال له الحجّاج: العديلُ أنتَ؟ قال: نعم، أيها الأمير، فَلَوى قضيبَ خيزُران كان في يده في عنقه، وجعلَ يقول: إيه [الطويل]

بِـسَـاطٌ لأيـدي الـنَّـاعـجـاتِ عـريـض

فقال: لا بِسَاط إلاّ عفوُك، قال: اذهب حيث شئتَ.

أخبرني محمدُ بنُ خَلف بن المرْزُبان قال: حَدَّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال: حَدّثنا العُمَريّ، عن الهيثم بن عدِي، عن ابن عياش قال: كان حوشب بن يَزيد بن الحُويْرث بن رُوَيْم الشيبانيّ وعِكرِمة بن رِبعيّ البكريّ، يتنازعان الشرف، ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجُزُر في عسكر مصعب، وكاد حوشَب يغلب عِكرِمةَ لسَعة يده. قال: وقَدِمَ عبدُ العزيز بنُ يسار مولى بُجَير ـ قال: وهو زوج أم شُعْبة الفقيه ـ بسفائنِ دَقيق، فأتاه عِكرِمة فقال له: الله الله فيَّ، قد كاد حوشَبٌ أن يستعليني، ويغلبَني بماله، فَبِعْني هذا الدقيقَ بتأخير، ولك فيه مثلُ ثمنه رِبْحاً، فقال: خذه، وأعطاه إياه، فدفعه إلى قومه، وفرَّقه بينَهم، وأمرهم بعَجنه كلِّه، فعجنوه كلَّه، ثم جاء بالعجين كلِّه، فجمعه في هُوَّة عظيمة، وأمر به فغُطّيَ بالحشيشِ، وجاء بِرَمْكَةٍ[2]، فقرّبوها إلى فرس حوْشب حتى طلبَها، وأفلت ثم ركضوها بين يديه وهو يتبَعُها، حتى ألقوها في ذلك العجينِ وتبعها الفرس، حتى تورّطا في العجين وبقيا فيه جميعاً، وَخرج قومُ عِكرِمة يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين، أدركوا فرسَ حوشَب، فقد غرق في خميرة عِكرِمة، فخرج النَّاس تَعَجُباً من ذلك أن تكون خميرةٌ يغرَقُ فيها فرس، فلم يبقَ في العسكر أحدٌ إلا ركبَ ينظر، وَجاءوا إلى الفرس ـ وَهو غريق في العجين ما يبين منه إلاّ رأسُه وَعنقُه ـ فما

(١) واسط: مدينة متوسّطة بين البصرة والكوفة (معجم البلدان ٥/ ٣٤٧).

(٢) الرّمكة: الفرس والبرذونة تُتّخذ للنّسل.

أُخرج إلاّ بِالعُمُد وَالحِبال، وَغلب عليه عِكرِمة، وَافتضح حوشَب، فقال العديل بن الفرخ يمدحهما، ويفخر بهما: [الطويل]

وعِكْرِمَةُ الفَيَّاضُ فِينا وَحَوْشَبٌ ... هُمَا فَتيا النَّاسِ اللَّذَا لم يُغَمَّرا
هما فَتَيا النَّاسِ اللَّذا لم يَنَلْهُمَا ... رَئِيسٌ ولا الأَقْيالُ مِنْ آلِ حِمْيَرا

قال: وفي حوشَب يقولُ الشاعر: [المتقارب]

وأَجْوَدُ بِالمَالِ مِنْ حَاتِمٍ ... وأَنْحَرُ لِلجُزْرِ مِنْ حَوْشَبِ

أخبرني محمدُ بنُ يونس الكاتب قال: حدّثنا أحمد بن عبيد، عن الأصمعيّ قال: دخلتُ على الرشيد يوماً وهو مَحموم فقال: أنشدني يا أصمعيّ شعراً مَليحاً، فقلت: أرصيناً فحلاً تُريده يا أمير المؤمنين أم شَجِيّاً سهلاً؟ فقال: بل غَزلاً بين الفَحْلِ والسَّهْلِ، فأنشدته للعُديل بن الفَرخ العِجْليّ: [الطويل]

صَحَا عن طِلابِ البيضِ قَبْلَ مَشِيبِهِ ... وَرَاجَعَ غَضَّ الطَّرْفِ فهو خَفِيضُ
كَأَنِّيَ لَمْ أَرْعَ الصِّبَا ويَرُوقُنِي ... مِنَ الحَيِّ أحْوى المُقْلَتَيْنِ غَضِيضُ
دَعاني له يَوْماً هَوًى فأَجَابَهُ ... فُؤَادٌ إذا يَلْقَى المِرَاضَ مَرِيضُ
لِمُسْتَأْنِسَاتٍ بِالحَدِيثِ كَأَنَّه ... تَهَلُّلُ غُرٍّ بَرْقُهُنَّ وَمِيضُ

فقال لي: أعِدها، فما زلتُ أكرّرها عليه، حتى حَفِظَها.

[رثاء الفرزدق له]

أخبرني أبو الحسن الأسَدي قال: حدّثني الرياشيّ، عن محمد بن سَلاّم، قال: قدم العُدَيل بن الفرخ البصرة، ومدح مالك بن مِسْمع الجَحْدريّ فوصله، فأقام بالبصرة واستطابها، وكان مقيماً عند مالك، فلم يزلْ بها إلى أن مات، وكان يُنادمُ الفرزدق ويصطحبان، فقال الفرزدق يرثيه: [الطويل]

وما وَلَدَتْ مِثْلَ العُدَيْلِ حَلِيلَةٌ ... قَدِيماً ولا مُسْتَحْدَثَاتُ الحَلائِلِ
وما زالَ مُذْ شَدَّتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ ... به تَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَكْرُ بن وائلِ

صوت

[المنسرح]

إنّي بِدَهْمَاء عَزَّ ما أَجِدُ ... عَاوَدَنِي مِنْ حِبَابِها زُؤُدُ
عَاوَدَني حُبُّها وقد شَحَطَتْ ... صَرْفُ نَوَاها فَإِنّني كَمِدُ

قوله: «عزَّ ما أَجِدُ» أي: شَدَّ ما أجدُ. وحِبابُها: حُبُّها، وهو واحد ليس بجمع؛ والزُّؤُد: الفزع والذّعر. وصرفُ نواها: الوجه الذي تصرِفُ إليه قصدَها إذا نأت. والكَمَد: شِدَّةُ الحُزن.

الشعر لصخر الغَيِّ الهُذَليّ، هكذا ذكر الأصمعيّ وأبو عمرو الشيبانيّ، وذكر إسحاق عن أبي عبيدة أنه رأى جماعة من شعراء هُذَيل يختلفون في هذه القصيدة فيرويها بعضُهم لصَخْر الغَيِّ، ويرويها بعضهم لعمرو ذي الكلب، وأن الهيثم بن عدي حدَّثه عن حمَّاد الراوية أنها لعمْرو ذِي الكلب.

أخبار صخر الغي ونسبه

[اسمه ونسبه وشعره]

هو صخرُ بن عبد الله الخَيثميّ، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل. هذا أكثر ما وجدته من نسبه، ولقب بصخر الغيّ لِخَلاعته وشدّة بأسه وكثرة شَرِّه.

فمن روى هذه القصيدة له، ذكر أن السبب فيها أن جاراً لبني خُناعة بن سعد بن هُذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مُزينة، وقيل: إنه كان جاراً لأبي المثلّم الشاعر، وهو أخوهم، فقتله صخر الغيّ فمشَى أبو المثلم إلى قومه، وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزني والإدراكِ بثأره، فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلَّم وما فعله، فأولها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول: [المنسرح]

وَلَسْتُ عَبْداً لِلْمُوعِدِينَ ولا … أَقْبَلُ ضَيْماً أَتَى به أَحَدُ

جَاءَتْ كَبِيرٌ كَيْمَا أُخَفِّرَها … والقَوْمُ صِيدٌ كَأَنَّهُمْ رَمِدُوا[1]

في المزنيِّ الَّذي حَشَشْتُ به … مَالَ ضَرِيكٍ تِلادُه نَكِدُ[2]

إن أَمْتَسِكْهُ فَبِالفِدَاءِ وإنْ … أُقْتَلْ بِسَيْفِي فَإنَّه قَوَدُ

ولصخْر وأبي المثلم في هذا مناقضات وَقصائدُ قالاها، وأجاب كلُّ وَاحد منهما صاحبه، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب.

[الأعلم أخوه أحد الصعاليك]

وحكى الأثرم عن أبي عبيدة أنه حدَّث عن عبد الله بن إبراهيم الجمَحيّ قال:

---

(١) رمدوا: صاروا كالرماد.

(٢) حششت: قويت. والضريك: الفقير البائس. والتلاد: المال القديم الموروث.

كان الأعلم أخو صَخْر الغيّ أحدَ صعاليك هُذَيل، وكان يعدو على رجليه عَدْواً لا يُلحق، واسمه حبيب بن عبد الله، فخرج هو وأخواه صخر وصُخَير، حتى أصبحوا تحت جبل يقالُ له السِّطاع[١]، في يوم من أيام الصيف شديد الحرِّ، وهو متأبّط قربة لهم فيها ماء، فأيبَسَتْها السَّموم، وعَطِشوا حتى لم يكَادوا أن يبصروا مِنْ العَطش، فقال الأعلم لصاحبيه: أشرب من القربة لعلي أن أرد الماء فأروى منه وانتظراني مكَانكما، وكانت بنُو عديّ بن الدّيل على ذلك الماء وهو ماء الأطواء[٢]، يتفيَّأُون بنخل متأخّر عن الماء قدرَ رَمية سهم. فأقبل يمشي مُتَلثِّماً، وقد وضع سيفَه وقوسَه ونَبله فيما بَينه وبينَ صاحبه، فلما برز للقوم مَشى رُويداً مشتملاً، فقال بعض القوم يتفيَّأُون، منْ ترون الرجلَ؟ فقالوا: نراه بعْضَ بني مُدلِج بن مرة.

ثم قالوا لبعضِهم: الْقَ الفتى فاعرفْه، فقال لهم: ما تريدون بذلك الرجلِ؟ هو آتيكم إذا شَرِب، فدعوه فليسَ بمفيتنَا، فأقبل يمشي حتى رَمى برأسِه في الحوض مُدْبراً عنهم بوجهه، فلما رَوِيَ أفرغ على رأسه من الماء، ثم أعاد نِقَابَه، ورجع في طريقه رُويداً، فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء: هل عرفت الرجل الذي صَدر؟ قال: لا، فقالوا: فهل رأيت وجهَه؟ قال: نعم، هو مشقوق الشَّفة، فقالوا: هذا الأعلَم، وقد صار بينه وبين الماء مقدارُ رَمية سهم آخر، فعَدوْا في أثره، وفيهم رجل يقال له: جُذَيمة لَيس في القوم مثلُه عدواً، فأغروْه به، وطردوه فأعجزهم، ومرّ على سَيفِه وقوسه ونَبله فأخذه، ثم مَرَّ بصاحبَيه فصاح بهما فَضَبَرا[٣] معه، فأعجزوهم، فقال الأعلم في ذلك: [مجزوء الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ بِالـ ... ـعَلْيَاءِ دُونَ قِدَى المَنَاصِبْ[٤]
وفَرِيتُ مِنْ فَزَعٍ فلا ... أرْمِي ولا وَدَّعْتُ صَاحِبْ[٥]
يُغرونَ صَاحِبَهُمْ بِنَا ... جَهْداً وأُغْرِي غَيْرَ كَاذِبْ
أُغْرِي أخِي صَخْراً لِيُعْـ ... ـجِزَهُمْ ومَدُّوا بِالحَلائِبْ[٦]

---

(١) السِّطاع: جبل بينه وبين مكة مرحلة ونصف من جهة اليمن (معجم البلدان ٣/ ٢١٩).
(٢) الأطواء: مياه لبني عامر.
(٣) ضَبَر: عدا.
(٤) القِدى: القَدْر. والمناصب: جمع المنصب: المقام.
(٥) فريت: دهشت.
(٦) الحلائب: جمع حلبة: الجماعة.

وخَـشِـيـتُ وَقْـعَ ضَـرِيـبَـةٍ قـد جُـرِّبَـتْ كُـلَّ الـتَّـجَـارِبْ
فَـأكُـونَ صَـيْـدَهُـمُ بِـهَـا وأَصِـيـرُ لِـلـضُّـبْـعِ الـسَّـوَاغِـبْ
جَـزَراً ولِـلـطَّـيْـرِ الـمُـرِبَّـةِ والـذِّئَـابِ ولِـلـثَّـعَـالِـبْ[1]

وهي قصيدة طويلة.

صوت

وقالوا جميعاً: خرج صخْرٌ الغيّ وأخوه أبو عمرو في غَزاة لهما، فباتا في أرض رملة، فنهشت أخاه أبا عمرو حَيَّة، فمات فقال يرثيه:

صوت

[الطويل]

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الـمَنَا إلى جَدَثٍ يُوزَى لهُ بِالأَهَاضِبِ[2]
لِحَيَّةِ جُحْرٍ في وِجَارٍ مُقِيمَةٍ تَنَمَّى بها سُوقُ المَنَا والجَوَالِبِ[3]
أخي لا أَخَا لي بَعْدَهُ سَبَقَتْ بِهِ مَنِيَّتُهُ جَمْعَ الرُّقَى والطَّبَائِبِ
وذلك مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ إِنَّه له كُلُّ مَطْلُوبٍ حَثِيثٍ وطَالِبِ

ـ يوزى له: يمنى له. والإزاء: مهراق الدلو. والأهاضب: الجبال ـ

وقال الأثرمُ عن أبي عبيدة: خرج صخر الغيّ في طائفة من قومه يقدمُها خوفاً من أبي المثلّم، فأغار على بني المصطلق من خُزاعة، فانتظر بقية أصحابه، ونَذَرَت به بَنو المصطلق، فأحاطوا به فقال: [الرجز]

لَوْ أَنَّ أَصْحَابِي بَنُو مُعَاوِيَهْ أَهْلُ جُنُوبِ النَّخْلَةِ الشَّامِيَهْ
ورَهْطُ دُهْمَانٍ ورَهْطُ عَادِيَهْ ما تَرَكُونِي لِلذِّئَابِ العَاوِيَهْ

وجعل يَرميهم ويَرتجز ويقول: [الرجز]

لَوْ أَنَّ أَصْحَابِي بَنُو خُنَاعَهْ أَهْلُ النَّدَى والمَجْدِ والبَرَاعَهْ
تَحْتَ جُلُودِ البَقَرِ القَرَّاعَهْ لَمَنَعُوا مِنْ هَذِهِ اليَرَاعَهْ[4]

---

(١) المُرِبّة: المقيمة.
(٢) المنا: الموت.
(٣) الوِجار: جحر الضبع والثعلب. والذئب. . . . وتنمّى: ارتفع.
(٤) القَرّاعة: الصلبة. واليراعة: الضعيف.

وقال أيضاً وهُو يقاتلهم: [الرجز]

لَـوْ أنَّ حَـوْلِـي مِـنْ قُـرَيْـم رَجْـلا بِيضَ الـوُجُـوهِ يَحْمِلـونَ النَّبْلا[١]

لَـمَـنَـعُـونِـي نَـجْـدَةً وَرِسْـلا سُفْعَ الـوُجُـوهِ لـم يكـونـوا عُـزْلا[٢]

ـ يقول: منعوني بِنَجدة وشِدَّة وَعلى رِسْلهم بأهونِ سَعي. قال: فلم يزلْ يُقاتلهم حتى قَتلوه ـ

وَبلغ ذلك أبا المثلّم، فقال يَرثيه: [البسيط]

لـو كَـانَ لِـلـدَّهْـرِ مَـالٌ عِـنْـدَ مُـتْـلِـدِهِ لَـكَـانَ لِـلـدَّهْـرِ صَـخْـرٌ مَـالَ قُـنْـيَـانِ

آبِي الـهَـضِـيـمَـة آتٍ بِـالـعَـظِـيـمـةِ مِتْـ ـلافُ الـكَـرِيـمَـةِ لا سِـقْـطٌ ولا وَانِـي[٣]

حَامِي الـحَـقِـيـقـةِ نَـسَّـالُ الـوَدِيـقـةِ مِعـ ـتَاقُ الـوَسِـيـقَـةِ جَـلْـدٌ غَـيْـر ثِـنْـيَـانِ[٤]

رَقَّـاءُ مَـرْقَـبَـةٍ، مَـنَّـاعُ مَـغْـلَـبَـةٍ رَكَّـابُ سَـلْـهَـبـةٍ، قَـطَّـاعُ أَقْـرَانِ[٥]

هَـبَّـاطُ أوديَـةٍ شَـهَّـادُ أَنْـدِيَـةٍ حَـمَّـالُ أَلْـوِيَـةٍ سِـرْحَـانُ فِـتْـيَـانِ

ـ السِّرحان: الأسد في لغة هذيل وفي كلام غيرهم الذئب.

يَحمِي الصِّحَابَ إذا جَدَّ الضِّرَابُ ويَكْـ ـفِي القَـائِلِـينَ إذا ما كُـبِّـلَ الـعَـانـي[٦]

فـيـتـركُ الـقِـرْنَ مُـصْـفَـرّاً أَنَـامِـلُـهُ كَـأَنَّ فـي رَيْـطَـتَـيْـهِ نَـضْـحَ إِرْقَـانِ[٧]

ـ الإرقان: اليَرقان، يعني صُفرتَه ـ

يُـعْـطِـيـكَ ما لا تَـكَـادُ الـنَّـفْـسُ تُـسْـلِـمُـهُ مِـنَ الـتِّـلادِ وَهُـوبٌ غَـيْـرُ مَـنَّـانِ[٨]

(١) قُرَيم: حيّ من هذيل. ورَجْلاً: رجالاً.

(٢) سفع الوجوه: وجوههم متغيّرة ومسودّة.

(٣) الهضيمة: الظلم. والسِّقط: الرديء. والواني: الضعيف الفاتر.

(٤) الوديقة: شدّة الحرّ. والوسيقة: الطريدة.

(٥) السّلهبة: الفرس الطويلة الظهر. والأقران: جمع قرن: الحبل الذي يقرن به البعيران.

(٦) العاني: الأسير.

(٧) القِرْن: النظير. ونضح إرقان: أثر اختضاب بالحنّاء أو الزعفران. كناية عن الدم.

(٨) التّلاد: المال الموروَث القديم.

نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

[اسمه ونسبه وخبره مع أم جليحة]

هو عَمرو بن العَجلان بنِ عامر بن بُرد بن مُنَبّه، أحد بني كاهل بن لَحيان بنِ هُذيل. قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي: إنّما سُمي ذا الكلب لأنه كان له كلبٌ لا يفارقه.

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنه قال: لم يكن له كلبٌ لا يفارقه، إنما خرج غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به، فقال له أصحابه: يا ذا الكلب، فثبتتْ عليه.

قال: ومن الناس من يقول له عَمرو الكلب، ولا يقول فيه: «ذو».

قال: وكان يغزو بني فَهْم غزواً متّصلاً، فنام ليلة في بعضِ غزواته، فوثب عليه نَمِران فأكلاه فادَّعت فهمٌ قتلَه، هكذا في هذه الرواية.

وقد أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش، قال: حدّثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عُبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضَّل وغيرِهم من الرّواة قالوا: كان من حديث عمرو ذي الكلب الهُذَليّ ـ وكان من رجالهم ـ أنه كان قد علِقَ امرأة من فَهْم يقال لها: أم جُلَيْحة، فأَحبَّها وأحبّتْه، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه، وطلبوا دمَه، إلى أن جاءها عاماً من ذلك، فنَذِروا به، فخرجوا في أثره، وخرج هارباً منهم فتبعوه يومَهم ذلك، وهم على أثره، حتى أمسَى وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظَلْماء، فبينا هو يسيرُ على ظهر الطريقِ إذ رأى ناراً عن يمينه، فقال: أخطأْتُ والله الطريقَ وإن النارَ لعلى الطريق، فحار وَشكّ، وقصد للنار، حتى أتاها، وقد كان يصيحُ، فإذا رجل قد أُوقد ناراً ليس معه أحدٌ، فقال له عمرو ذو الكلب: من أنتَ؟ قال: أنا رجل من عَدْوان، قال، فما اسم هذا المكان؟ قال السَّدُّ، فعلم أنه قد هلك وأخطأ ـ والسّدّ شيء لا يجاوَز ـ قال: ويلك! فلمَ أوقدتَ، فوالله ما تشتوي، ولا تَصْطَلي، وما أُوقدتَ إلاّ

لِمنية عمرو الشَّقي، هل عندك شيء تُطعمني؟ قال: نعم، فأَخرج له تَمرات قد نَقَّاها في يده، فلمَّا رآها قال: ثمرات، تتبعها عبرات من نساء خَفِرَات، ثم قال: اسقِني، قال: ماذا؟ ألبناً؟ قال: لا، ولكن اسقني ماءً قَراحاً، فإنّي مقتول صباحاً. ثم انطلق، فأسند في السَّد ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه أثره حيث أخطأ، فاتبعوه حتى وجدوه فدخل غاراً في السّد، فلما ظهروا للسّدّ علموا أنه في الغار فنادوْه، فقالوا: يا عمرو، قال: ما تشاءون؟ قالوا: اخرج، قال: فَلِمَ دخلت إذن؟ قالوا: بلى، فاخرج، قال: لا أخرُج، قالوا: فأنشِدنا قولك: [الوافر]

وَمَـقْـعَـدِ كُـرْبَـةٍ قـد كُـنْـتُ مِـنْـهـا ... مَـكَـانَ الإِصْـبَـعَـيْـنِ مِـنَ الـقِـبَـالِ[1]

قال: ها هي ذه أنا فيها. قال: وعنَّ له رجل من القوم، فرماه عمرو فقتله، فقالوا: أقتلته يا عدوَّ الله؟ فقال: أجَلْ، ولقد بقيتْ معي أربعة أسهم كأنها أنيابُ أمِّ جُلَيحة لا تصلون إلَيَّ أو أقتُل بكلِّ سَهم مِنها رجُلاً منكم، فقالوا لعبدهم: يا أبا نجاد، ادخُلْ عليه، وأنت حُرّ، فتهيأ للدخول أبو نِجاد عليه، فقال له عمرو: ويلك! يا أبا نجاد، ما ينفعك أن تكون حرّاً إذا قتلتك؟ فنكصَ[2] عنه، فلما رأوا ذلك صعدوا، فنقبوا عليه، ثم رمَوْه حتى قتلوه، وأخذوا سَلَبه، فرجعوا به إلى أم جُلَيحةَ وهي تَتَشوَّفُ[3]، فلمّا رأوْها قالوا لها: يا أمَّ جُلَيحة، ما رأيكِ في عَمرو، قالت: رأيي والله أنكم طلبتموه سريعاً، ووجدتموه مَنِيعاً، ووضعتموه صَريعاً؟ فقالوا: والله لقد قتلناه، فقالت: والله ما أراكم فعلتُم، ولئن كنتم فعلتُم، لربّ ثَدي منكم قد افترشَه، وضَبٌ قد احترشه[4]، فطرحوا إليها ثيابَه، فأخذتها فشمَّتْها، فقالت: ريحُ عِطْر وثوبُ عَمرو، أما والله ما وجدتموه ذا حُجْزة[5] جافية، ولا عانة وافية، ولا ضالة كافية.

[رثاء أخته ريطة له]

وقالتْ رَيطة أختُ عمرو ذي الكلب تَرْثيه:

---

(١) القِبال: الزّمام في النعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

(٢) نكص: نكل.

(٣) تشوّف: تنظر وتُشرِف.

(٤) احترشه: صاده.

(٥) الحُجزة: موضع التّكّة من الإزار.

[البسيط]

كُلُّ امْرِىءٍ لِمحالِ الدَّهْرِ مَكْرُوبُ ... وكُلُّ مَنْ غالَبَ الأَيَّامَ مَغْلُوبُ[١]
وكُلُّ حَيٍّ وإنْ غَزوا وإن سَلِمُوا ... يَوْماً طَرِيقُهُمُ في الشَّرِّ دُعْبُوبُ[٢]
أَبْلِغْ هُذَيْلاً وأَبْلِغْ مَنْ يُبَلِّغُها ... عَنِّي رَسُولاً وبَعْضُ القَوْلِ تَكْذِيبُ
بِأَنَّ ذَا الكَلْبِ عَمْراً خَيْرُهُمْ نَسَباً ... بِبَطْنِ شِرْيانَ يَعْوِي حَوْلَه الذِّيبُ[٣]
الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ يَتْبَعُها ... مُثْعَنْجِرٌ مِنْ نَجِيعِ الجَوْفِ أُسْكُوبُ[٤]
والتَّارِكُ القِرْنَ مُصْفَرّاً أَنامِلُهُ ... كَأَنَّهُ مِنْ نَقِيعِ الْوَرْسِ مَخْضُوبُ
تَمْشِي النُّسُورُ إليهِ وَهْيَ لاهِيَةٌ ... مَشْيَ العَذارَى عَلَيْهِنَّ الجَلابيبُ
والمُخْرِجُ العَاتِقَ العَذْرَاءَ مُذْعِنَةً ... في السَّبْيِ يَنْفَحُ مِنْ أَرْدانها الطِّيبُ[٥]

صوت

[البسيط]

يا دَارَ عَمْرَةَ مِن مُحْتَلِّها الجَرَعا ... هَاجَتْ لِيَ الهَمَّ والأَحْزَانَ والوَجَعا[٦]
أرى بِعَيْنِي إذا مَالَتْ حَمُولَتُهُمْ ... بَطْن السَّلُوطَحِ لا يَنْظُرون مَنْ تَبعا[٧]
طَوْراً أَرَاهُمْ وطَوْراً لا أُبِينُهُمُ ... إذا تَرَفَّعَ حِدْجٌ سَاعَةً لَمَعَا[٨]

الشعر للقيط الأياديّ يُنذر قومَه قصد كِسرى لهم، والغناء لكردَم بن مَعْبد هَزَج بالبنصر من روايتي حَبَش والهشامي.

(١) المحال: القوّة.
(٢) الدعبوب: الطريق الواضح المذلّل.
(٣) بطن شريان: وادٍ باليمن (معجم البلدان ٣/ ٣٤٠).
(٤) مثعنجر: سائل. وأسكوب: منسكب.
(٥) العاتق: الجارية أول ما أدركت.
(٦) الجَرَع: جمع الجرعة: الرملة التي لا تنبت شيئاً.
(٧) السلوطح: موضع بالجزيرة (معجم البلدان ٣/ ٢٤٢).
(٨) الحدج: مركب كالهودج من مراكب النساء.

خبر لقيط ونسبه والسبب في قوله الشعر

[توفي نحو ٢٥٠ ق.هـ/ نحو ٣٨٠ م]

[اسمه ونسبه]

هو لقيطُ بن يعمرَ، شاعر جاهليّ قديم مُقِلّ، ليس يُعْرَفُ له شعرٌ غيرَ هذه القصيدة وقِطَعٍ من الشعر لطافٍ متفرقة.

[كسرى يغزو إياد]

أخبرني بخبر هذا الشعر عَمّي قال: حدّثني القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدّثني أحمد بن عبيد قال: حدّثني الكَلبيّ عن الشَّرقي بن القُطامي قال: كان سببُ غزو كسرى إياداً أن بلادهم أجدبتْ، فارتحلوا حتى نزلوا بسِنداد[1] ونواحيها، فأقاموا بها دهراً حتى أخصبوا وكثرُوا، وكانوا يَعبدون صنَماً يقال له ذو الكَعبين، وعبدته بكرُ بنُ وائل من بعدهم، فانتشروا ما بين سِنْداد إلى كاظِمَة وإلى بارق والخَورنق[2]، واستطالوا على الفُرات، حتى خالطوا أرض الجزيرة، ولم يزالوا يُغيرون على ما يَلِيهم من أرض السَّواد، ويَغزون ملوك آل نصر، حتى أصابوا امرأةً من أشراف العجم كانت عَروساً قد هُدِيَتْ إلى زَوجها، فَوَلِيَ ذلك منها سفهاؤهم وأحداثُهم، فسار إليهم مَنْ كان يليهم من الأعاجم، فانحازت إيادٌ إلى العراق وجعلوا يعبُرون إبلهم في القراقير[3] ويقطعون بها الفُرات وجعل راجزهم يقول: [الرجز]

---

(١) سنداد: منازل لإياد وهي أسفل سواد الكوفة (معجم البلدان ٣/ ٢٦٦).

(٢) كاظمة: ماء في طريق البحرين من البصرة (معجم البلدان ٤/ ٤٣١). وبارق: ماء بالعراق بين القادسية والبصرة (معجم البلدان ١/ ٣١٩). والخورنق: قرية على نصف فرسخ من بَلْخ، والخورنق موضع بالكوفة (معجم البلدان ٢/ ٤٠١).

(٣) القراقير: جمع القرقور: السفينة الضخمة الطويلة.

بِئْسَ مُنَاخُ الحَلَقَاتِ الدُّهْمِ ... في سَاحَةِ القُرقورِ وَسْطَ اليَمِّ[١]

وعَبروا الفراتَ، وتبعَهم الأعاجمُ، فقالت كاهنة من إياد تسجعُ لهم:

إنْ يَقْتُلوا منكم غُلاماً سِلْما ... أو يَأْخُذُوا ذاكَ شَيْخاً هِمَّا
تُخَضِّبُوا نُحُورَهُمْ دَمَّا ... وتُرْووا مِنْهُمُ سُيُوفاً ظُمَّا

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن مِحْجن بإبل لأبيه فلقيته الأعاجم، فقتلوه، وأخذوا الإبل ولقيتهم إيادٌ في آخر النهار، فهزمت الأعاجم.

قال: وحَدَّثني بعض أهل العلم أن إياداً بيَّتتْ ذلك الجمعَ حين عبروا شطَّ الفرات الغَربيّ، فلم يفلِت منهم إلا القليلُ، وَجمعوا به جِماجَمهم وأجسادهم، فكانت كالتل العظيم، وكان إلى جانبهم دَيْر، فسمِّي ديرَ الجماجم[٢]، وبلغ كسرى الخبر، فبعث مالكَ بنَ حارثة، أحد بني كعب بن زُهير بن جُشَم في آثارهم، ووجَّه معه أربعة آلاف من الأساورة. فكتب إليهم لَقيط: [البسيط]

يا دَارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحتَلِّها الجَرَعا ... هَاجَتْ لِيَ الهَمَّ والأَحْزَانَ والوَجَعا

وفيها يقول ـ قال الشَّرقي بن القطامي أنشدَنيها أبو حمزة الثماليّ ـ: [البسيط]

يا قَوم لا تَأْمَنُوا إنْ كُنْتُمْ غُيُراً ... على نِسَائِكُمْ كِسْرَى وما جَمَعا
هُوَ الجَلاءُ الَّذي تَبْقَى مَذَلَّتُهُ ... إنْ طَارَ طَائِرُكُمْ يَوْماً وإنْ وَقَعا[٣]
هو الفَنَاءُ الَّذي يَجْتَثُّ أَصْلَكُمُ ... فَمَنْ رَأَى مثلَ ذا رَأْياً ومَنْ سَمِعا
فَقَلِّدوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ... رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعا
لا مُتْرَفاً إنْ رَخَاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ... ولا إذا حَلَّ مَكْرُوهٌ بِه خَشَعا
لا يَطْعَمُ النَّومَ إلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ ... هَمٌّ يَكَادُ حَشَاهُ يَقْطَعُ الضِّلَعا
مُسَهِّدُ النَّوْمِ تَعْنِيهِ ثُغُورُكُمُ ... يَرُومُ منها إلى الأعداءِ مُطَّلَعا
ما انْفَكَّ يَحْلُبُ هذا الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ ... يَكُونُ مُتَّبِعاً طَوْراً ومُتَّبَعا
فَلَيسَ يَشْغَلُهُ مَالٌ يُثَمِّرُهُ ... عَنْكُمْ ولا وَلَدٌ يَبْغِي له الرِّفَعَا
حتى اسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لا قَحْماً ولا ضَرَعا[٤]

(١) الحلقات: جمع الحلقة: الإبل الموسومة بالحلقات.
(٢) دير الجماجم: موضع بظاهر الكوفة (معجم البلدان ٢/٥٠٣).
(٣) طار طائركم: أصابكم الحظّ.
(٤) الشزر: الفتل. والمريرة: طاقة الحبل. والقحم: العجوز. والضَرَع: الضعيف الجبان.

كَمَالِكِ بنِ قِنَانٍ أو كَصَاحِبِهِ زَيْدِ القَنَا حينَ لاقَى الحَارِثَيْنِ مَعَا
إذ عَابَهُ عَائِبٌ يَوماً فقالَ لَهُ دَمِّثْ لِجَنْبِكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجَعا[1]
فَسَاوَرُوهُ فَأَلْفَوْهُ أَخَا عَلَلٍ في الحَرْبِ يَخْتَتِلُ الرِّئْبَالَ وَالسَّبُعا[2]
عَبْلَ الذِّرَاعِ أَبِيّاً ذَا مُزَابَنَةٍ في الحَرْبِ لا عَاجِزاً نَكْساً ولا وَرَعا[3]
مُسْتَنْجِداً يَتَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمُ لو صَارَعُوهُ جَمِيعاً في الوَرَى صَرَعا
هذا كِتَابِي إليكُمْ والنَّذِيرُ لَكُمْ لِمَنْ رَأى الرَّأْيَ بالإبْرام قد نَصَعَا
وقد بَذَلْتُ لكم نُصْحِي بلا دَخَلٍ فاسْتَيْقِظُوا إنَّ خَيْرَ العِلْمِ ما نَفَعا

وجعل عنوان الكتاب: [الوافر]

سَلاَمٌ في الصَّحِيفَةِ مِنْ لَقِيطٍ إلى مَن بِالجَزِيرَةِ مِنْ إيَادِ
بِأَنَّ اللَّيْثَ كِسْرَى قَدْ أَتَاكُمْ فلا يَحْبِسْكُمُ سُوقُ النِّقَادِ[4]

[معركة مرج الأكم]

قال: وسار مالك بن حارثة التغلبيّ بالأعاجم حتى لقي إياداً، وهم غارُّون[5] لم يلتفتوا إلى قول لَقيط وتحذيره إياهم ثِقةً بأن كسرى لا يقدُم عليهم. فلقيهم بالجزيرة في مَوضع يقال له مَرْج الأكم، فاقتتلوا قِتالاً شديداً، فظفِر بهم وهزَمهم، وأنقذَ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفُرات، ولحقت إيادٌ بأطراف الشأم ولم تتوسّطها خوفاً من غسّان يوم الحارثين، ولاجتماع قُضاعة وغسّان في بلد خوفاً من أن يصيروا يداً واحدةً عليهم، فأقاموا حتى أمنوا. ثم إنهم تطرّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة، ففي ذلك يقول الشاعر: [الكامل]

حَلُّوا بِأَنْقَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ مَاءُ الفُرَاتِ يَجِيءُ مِن أَطْوَادِ[6]

(١) دَمّث: مَهّد.
(٢) الرّئبال: الأسد.
(٣) عبل الذراع: ضخمها. والمزابنة: المصادمة. والورع: الجبن.
(٤) النِّقاد: جمع نقد: نوع من الغنم قبيح الشكل.
(٥) غارّون: غافلون.
(٦) الأطواد: الجبال.

صوت

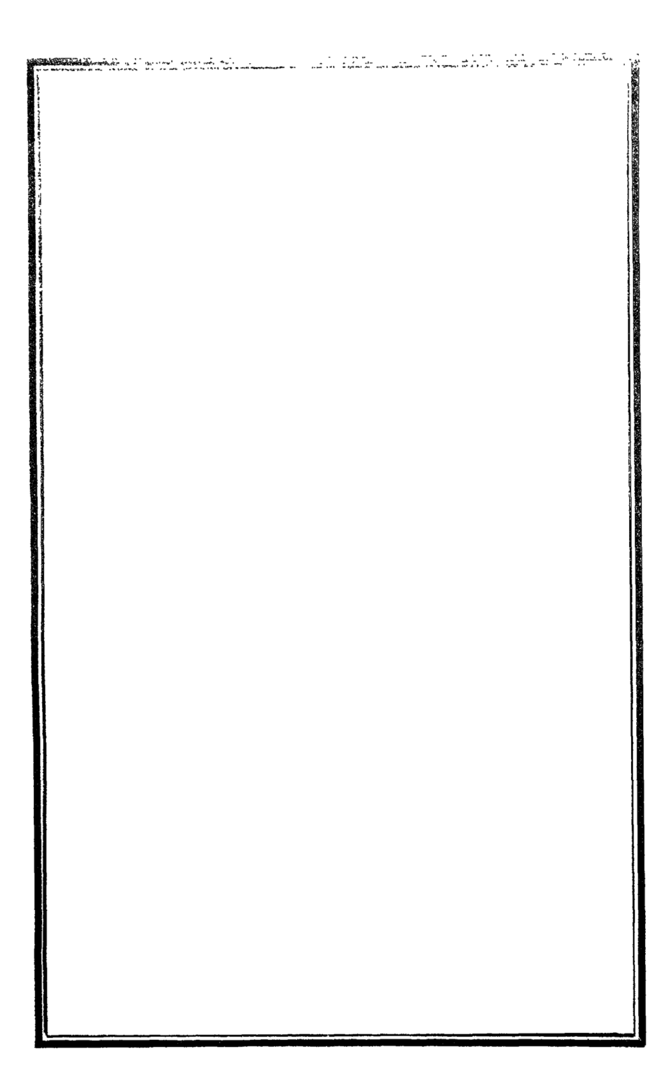
أَلِلْبَيْنِ يَا لَيْلَى جِمَالُكِ تُرْحَلُ ... لِيَقْطَعَ مِنَّا البَيْنُ ما كَانَ يُوصَلُ؟
تُعَلِّلُنَا بِالوَعْدِ ثُمَّتَ تَلْتَوِي ... بِمَوْعُودِها حَتَّى يَمُوتَ المُعَلَّلُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الحَبْلَ أَصْبَحَ وَاهِناً ... وأَخْلَفَ مِنْ لَيْلَى الَّذِي كُنْتُ آمُلُ
فلا الحَبْلُ مِنْ لَيْلَى يُؤَاتِيكَ وَصْلُهُ ... ولا أَنْتَ تَنْهَى القَلْبَ عَنْها فَيَذْهَلُ

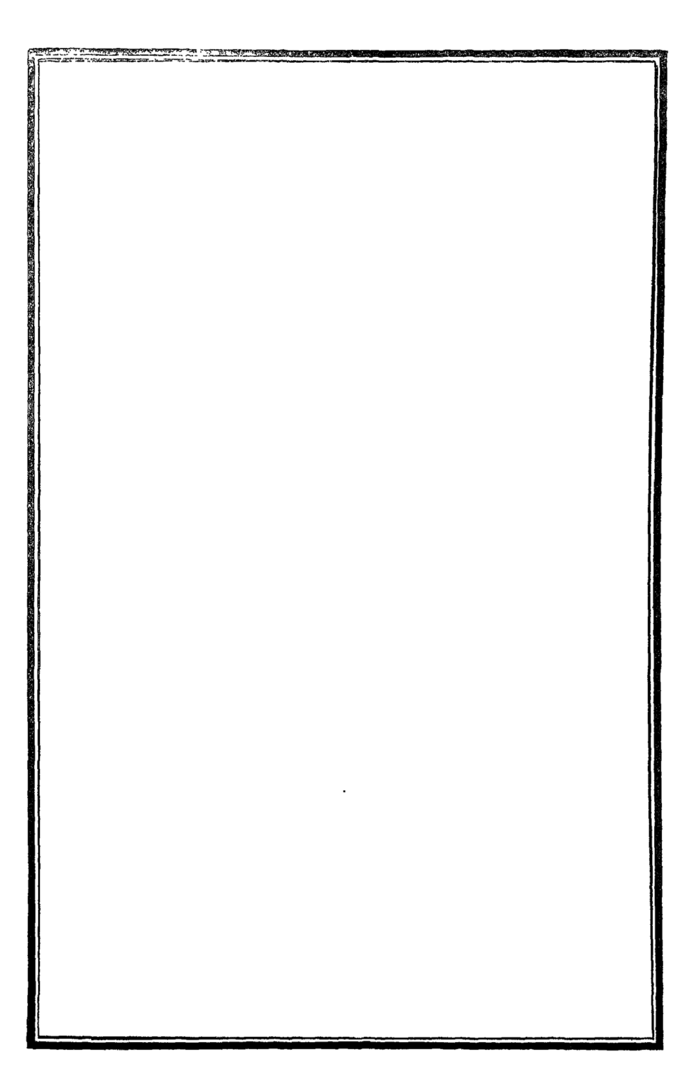
عَروضه من الطويل، الشعرُ لنُصيب الأصغر مولى المَهدي، والغناء ليحيى المكيّ خفيف رَمَل بالبنصر، وكذا نِسبتُه تدلُّ عليه.

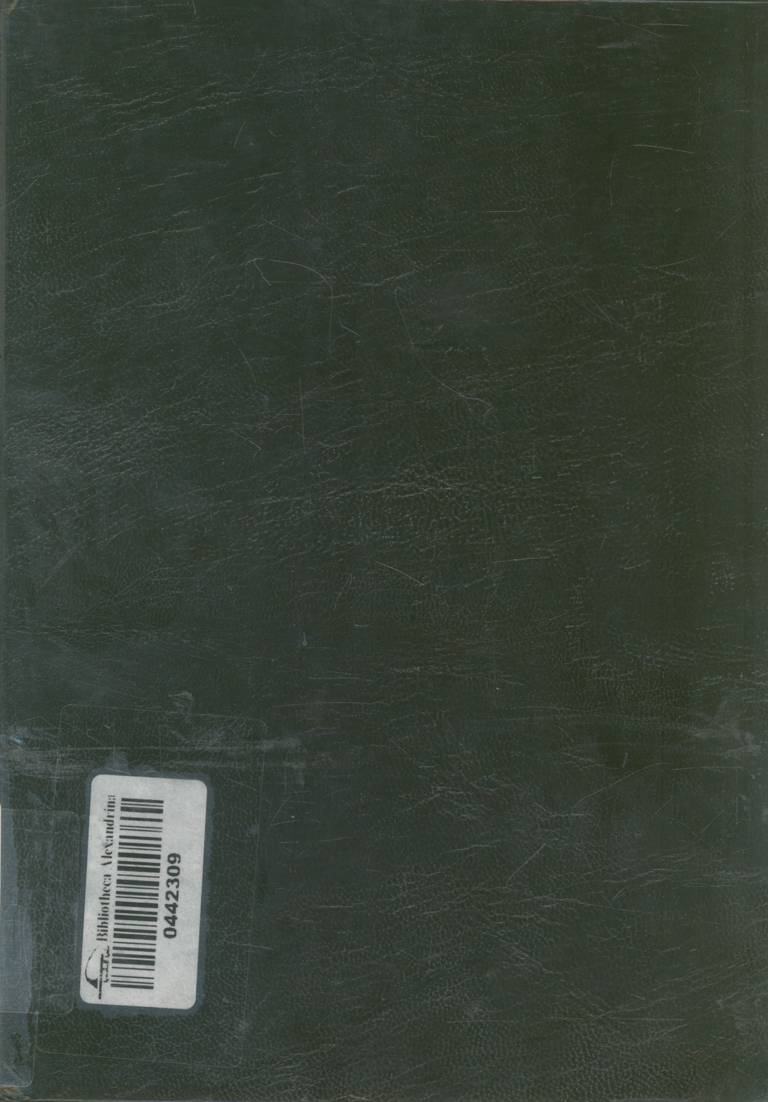
وذكرَ عمرو بن بانة في نسخته أن خفيف الرَّمل لمالك وأنه بالوسطى، والصحيح أنه لابن المكي.

انتهى الجزء الثاني والعشرون ويليه الجزء الثالث والعشرون
وأوله أخبار نصيب الأصغر

تراجم هذا الجزء






Bibliotheca Alexandrina
04442309